سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي

تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة الثالثة- العدد الرابع عشر- خريف ٢٠٠٦

موقع المجلة على الإنترنيت

www.sardam.info

المراسلات

عن طريق مدير التحرير

nawzadaa@yahoo.com

آسيا سيل: 07701420909

سانا تيل: 07301180142

تصميم الغلاف: *قادر ميرخان*　　***المصمم المنفذ:*** *جمال حسين*

المشرف على الطبع: *فرهاد رفيق*

محتويات العدد

سردم العربي، العدد 14- 2006

دراسات وبحوث

دراسات تاريخية

ملف الانفال

دراسات ادبية ونقدية

شعر

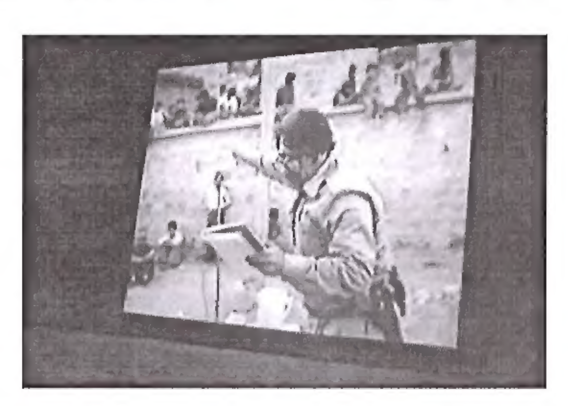
قصة

مسرح

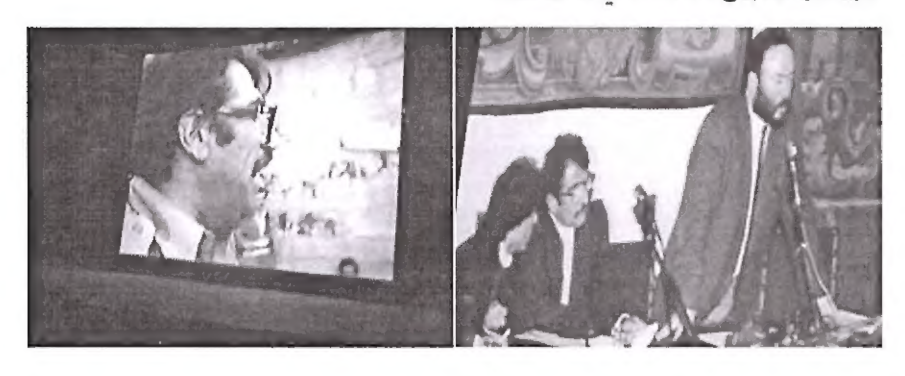
محتويات العدد

"التحليق في سماء مختلفة"

فلم وثائقي عن حياة الشاعر شيركو بيكه س



"التحليق في سماء مختلفة" عنوان الفلم الوثائقي حول حياة الشاعر شيركو بيكەس الادبية والسياسية، انتج هذا الفلم من قبل هيئة فنية من الفنانين الاوروبيين وقام باخراجه المخرج الكردي سيروان رحيم، يستغرق الفلم ٨٠ دقيقة بعد المونتاج، يقول المخرج ان هذا الفلم الوثائقي اخرج خصيصا للمشاهد الاوروبي وسيترجم الى العديد من اللغات العالمية الحية وسيعرض في المهرجانات التي ستقام خارج البلد، اعتمد المخرج بالدرجة الاساس على الافلام الوثائقية التي كان بعضها بحوزة الشاعر، كذلك على الصور والوثائق المحفوظة في الارشيف ابان الثورة الكردية في الثمانينيات بالجبال. عرض الفلم لاول مرة بتأريخ ٢٠٠٦/٩/٧ في السليمانية.





قضيـــة لا بـد منـهـــا..

مفاهيم خاطئة

عن النزاع الكردي - التركي في تركيا

هاوري رنجدر

HAWRRE_RANJDER@YAHOO.COM

مجله الإستراتيجية الجديدة - أميركا (٢١ آيار ٢٠٠٦)

((كل الأمم الأخرى أخوتي، وإن كانوا أعدائي، لا أريد وطن أحد، ولا أنتهك حقوق أحد، ولحقوق شعبي ووطني — سأبقى أناضل إلى الأبد...)) الشاعر المناضل الراحل إبراهيم أحمد.

إن نقطة اختياري لهذا الموضوع هو سبب رئيسي واحد وأسباب فرعية أخرى عديدة، والسبب الرئيسي هو أنني كوردي وجزء من الأمة الكوردية، البالغة نسمتها أكثر من خمسة وأربعين مليون نسمة، وأنظر إلى قضايا أمتي الكوردية بمنظار قانوني دقيق وحساس ومتابعة كل ما يجري لها، ولا أريد لأمتي أن تتناثر كما تناثرت قبلها أمم، فنحن أمة واحدة غير قابلة للتجزؤ وليست عليها مساومة أينما كنا واستقرنا.

وبالوصول إلى هذه النقطة من الكلام تصبح المعاني صعبة وسوف تحتاج إلى الدقة كثيرا، لأننا نتطرق إلى مشكلة العصر، إنها في الحقيقة معضلة الشرق الأوسط وأوربا وحتى أميركا وهو موضوع المعارضة والمقاومة الكوردية لتركيا والسفر من خلالها، تتطلب الوقوف في محطات كثيرة وبالتأكيد أن هذا السفر طويل جدا ويتعب الفكر والوجدان ويدفع بالمرء بعض المرات إلى دخول في حالة تطرف قومي خطير، وأنا أقول إن قليلا من الصبر باق عند الكورد، ولكن على أي حال يجب التفكير في هذه المعضلة بشكل إنساني وليس بشكل عاطفي والحكم عليها بالقانون وجعل المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة من المبادئ العامة لهذه المعضلة والتي تنص بما يلي: ((إن حق التحرير الوطني إن هو إلا امتداد لحق الشعوب في الدفاع عن النفس))، وهو الحق الرسمي والشرعي والطبيعي والأصيل الذي منحته المادة المارة ذكرها للشعوب المظلومة في العالم وإعطائها الحق في الكفاح السياسي والمسلح الشرعيين لتحرير بلدانهم من جور المحتلين الغزاة، ولا بد من أن هذه الجمل الصارخة الغريبة الطبع التي هنا لم آت بها للإثارة والبدء بطرح عنصريات قرن الواحد

والعشرين كما تفعل الدول المحتلة لكوردستان العظمى (تركيا – إيران – سوريا – العراق)، وبالتأكيد سوف لن أرحب برياح العنصرية، فكانت العنصرية وتجاهل الآخر وعدم الاعتراف بحقوق الآخرين الساكنين في الوطن الواحد وما تزال هي أساس وجوهر كل المشاكل العقيمة والسخيفة مع كل من تركيا وإيران وسوريا والعراق !!... وبالطبع فإن كل دولة من الدول المذكورة كانت وما تزال لديها خططها ومشاريعها الرامية إلى تصفية الجنس الكوردي وإبادته بل ويمكن القول بمسحه عن الوجود، ولكن أخصص هذه السلسلة من الكلام للحديث عن الجانب التركي الآن وسرد كل شيء أو ما يدور حول كل شيء.

إن تركيا أقدمت على كل نوع من أنواع العنصريات تجاه كل الأقوام الأخرى الساكنين في تركيا وبالأخص الكورد (الخصم الفولاذي للملعون أتاتورك)، وتحاول تركيا بكل طاقتها وتكرس كل من جيشها وأمنها وعساكرها وكلابها لمسح الكورد من مجموع سكان تركيا!؟.. وهذا واضح للكل، بأن العمليات العسكرية التركية التي يقوم بها الكلاب المسعورة المدفوعة من أنقرة بحجة تحقيق الديمقراطية والأمان ما هي إلا عمليات تطهير عرقية منظمة موجهة ضد الكورد الساكنين داخل السياج العثماني العتيق، وتدعي تركيا أيضا بأنها تقاوم الإرهاب على أرضها، بشنها حملات تعسفية ضد المقاومين الكورد في شمال كوردستان (كوردستان تركيا) وتقتل الأطفال والشيوخ والنساء والشباب والقرويين البسطاء دون تمييز، الذين همهم الوحيد لقمة العيش اليومي، وهكذا فإن الكماليين الأتراك يجيدون الكذب وإطلاق الدعايات والخزعبلات عن أنها تعمل على دحر الإرهاب من المنطقة، فمتى أصبحت مقاومة شعبية إرهـــــابـــا !!؟... إن من المؤكد ما سيجري لحكومة أنقرة لتركيا نفس مصير العفلقي صدام حسين في العراق، إذا ما استمرت على ما تقوم بها يوميا من عمليات القتل الجماعي والتصفيات الجسدية والإعدامات والقصف العشوائي للقرى والقصبات والمدن الكوردستانية، ولكن سقوط تركيا في أيدي الأحرار ليس بالشيء المستحيل، وربما لن يكون هذا ممكنا في الوقت الحالي أو في المستقبل القريب، ولكن (فالدهر يومان؛ يوم لك ويوم عليك)، وسوف يأتي ذلك اليوم عاجلا أم آجلا ليكون على حكومة تركيا، كما كان عسلا عندما كان على البعث الفاشي في عام ٢٠٠٣ وما قرار البرلمان الفرنسي إلا بداية لسقوط الحكومة الكمالية في تركيا سياسيا. وسوف نتطرق معا إلى مفاهيم عدة، ولنترك الحكم لأصحاب الضمائر الحية في هل الإرهاب بلحمه ودمه وكل ما يقصد به هو المقاومة الكوردية ضد طغيان الجيش التركي الكمالي الفاشي، أم أن الإرهاب هو حكومة أنقرة بالوصف والعنوان!؟...

قبل البدء بكل شيء سنراجع معا بشكل سريع جدا بعض الأدلة التاريخية عن المنطقة وأهلها وعن بعض أمور أخرى:

١-لمن ترجع ملكية منطقة جنوبي شرق تركيا (شمال كوردستان) في التاريخ؟

إن ما يقوله الله الخالق العظيم (تعالى) لا مرد له ولا شك فيه، وما من نقاش حول يقينيته، فيقص

علينا الكتاب المقدس (الإنجيل) حكاية النبي نوح (عليه السلام) في سفر التكوين، حيث حفظ الرب سيدنا نوح (ع) وعائلته وحماه بطريقة أسطورية من الفيضان العظيم، حين انتهى ذلك الفيضان الهائل، وجاء الفلك الذي وهبه الله لنوح (ع)، ليستقر في مكان ما في شمال كوردستان حيث كان مكان عيش ومستقر الميديين (الكورد) وهذا نص الكتاب المقدس لما جاء بشأن ذلك: ((ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك، وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه...))...((... وأستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط...)) سفر التكوين:٨\١\٤. ويقع جبال أرارت في شمال كوردستان (ما تسمى اليوم بشرق تركيا) وهو قسم مهم من كوردستان الأم، وهذا حدث مهم جدا في تاريخ البشرية حيث أن الجبل الذي أستقر عليه سيدنا نوح (ع) يسمى (جبل جودي) وهذه الحادثة هي واحدة من أكبر المداولات حصلت بين الرب والبشر في هذه المنطقة الدرامية، ((وتخبرنا قواميس الكتاب المقدس، أن ميديا كانت بلادا آسيوية قديمة، تقع في جنوب بحر الكاسب، شمال عيلام، شرقي جبال زاكروس، وغربي بارثيا، أنها كوردستان الأم اليوم، وكانت ميديا معروفة بأحصنتها العجيبة الخيالية، وأرض غنية، وثروات كبيرة، في ذروة مجدها كانت تحكم من اليونان إلى طهران — الكورد في الإنجيل - دوكلاس لايتن)).

٢-هل للكورد الحق في شمال كوردستان (كوردستان تركيا)؟

منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، كما تروي قصص التوراة، عاش الميديون في منطقة كوردستان اليوم، أن بعض كورد اليوم الذين يعيشون كلاجئين مشردين في الخيام والأكواخ في معسكرات خارج حدود وطنهم كوردستان هم من هؤلاء الميديين القدامى، فقد بنى الأجداد الأقوياء المدن والحصون والقلاع واستعملوا الجياد والعربات وأقاموا المعابد الجميلة المزينة للعبادة، وحال الكورد القدامى كحال بقية أمم الدنيا، فقد عبدوا الطبيعة وكان أكبر ألهتهم إله النار، وكانت بيوتهم مبنية بشكل فريد وبصورة فريدة في ذلك الزمان.

وعاصر الكورد حروب الغزو التي شنها الغزاة المختلفين باختلاف أقوامهم وألوانهم، وقد شهدوا المستعمرين يربحون ويخسرون كوردستان ولكن ليس كليا بسبب وعورة المنطقة وطابعها التضاريسي الصعب المحشو بالجبال العظيمة العالية من جانب، وبأس أهلها وقوتهم العجيبة وخبرتهم الطويلة في استخدام الخطط العسكرية ضد الغازي المحتل واضعين بيئة منطقتهم في الحسبان الكبرى من جانب آخر، وحافظ الكورد، حفدة الميديون الأوائل، على ملكيتهم لكوردستان منذ أقدم العصور، وكانت حيازتهم للأرض مستمرة وإن شهدت موجات غزو عديدة وإحدى هذه الموجات كانت موجة الغزو العثماني — الكمالي لكوردستان في القرنين الماضيين والتي مازالت مستمرة. وتدعي تركيا الكمالية بأنها تملك كوردستان ولا يوجد أحد غيرها مالك..!؟، فإذا كان الأمر هكذا فأن الحق يكون إلى جانب المكسيك عندما تطالب بمساحات كبيرة من الولايات المتحدة، وكذلك الأمر بالنسبة للأسبان فيحق لهم أن يطالبوا بالمكسيك ويحق للعرب أن يطالبوا بأسبانيا التي حكموها لفترة، وبموجب هذا المنطق فأن الولايات المتحدة يجب أن يعاد للهنود الأميركيين.

وقد حافظت كوردستان على طابعها المميز، ومن المقرر أن كوردستان، وفقا إلى مصادر كثيرة جدا ومنها بالأخص فصول (الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد)، هو المكان الذي أقامت في القبائل الميدية، وهو كوردي من حيث أصله الجغرافي، وهكذا، فمن الناحية التاريخية نرى أن الميديين (الكورد) القدماء، قد كانت كوردستان وطنهم ولا يوجد له تفسير آخر — وشهدت التوراة والإنجيل لذلك — وهي الآن محتلة من قبل تركيا وإيران وسوريا والعراق.

٣-لماذا لا يسمح للكورد بأن يعيشوا في وطن خاص بهم بسلام بعيدا عن الاضطهاد الذي تعرضوا له عبر الأجيال..؟

إن الكورد قد عاملوا كل من الأقوام (الأتراك العرب والفرس) خلال الحقب التاريخية المختلفة معاملة حسنة جدا لا تمييز فيها ولا عنصرية ولا طائفية بل اعتمدت على العدالة والمساواة والإنسانية، أما الذين اضطهدوا الكورد عبر الأجيال ومارسوا ضده كل أنواع التمييز والاضطهاد واللاإنسانية هم من مختلف الأقوام وبالأخص الترك والفرس والعرب، فليس من واجب الكورد أن يدفع ثمن جرائم اولئك الناس، فهم يقتلون ويذبحون الكورد في الأجزاء الكوردستانية المقسمة، ويلقبون الكورد بالإرهابي أو المخرب أو المتمرد أو ... و أو ... وإلى ما لا نهاية من الأسماء المسماة جزافا بحق هذا الشعب التواق إلى الحرية والحياة الكريمة والضمانات الإنسانية الذي يحفظ لهم ماء وجههم ويخلص حياتهم من الخطر، ومن العجائب الذي تحدث عنه أحد الأميركيين وهو ستانلي هانسن (عريف في الحرس الوطني الأميركي) قائلا: ((أدت المعاهدة الباطلة — لوزان ١٩٢٣ — إلى أن يدفع الشعب الكوردي ثمن الاضطهادات التي يعانيه منذ حين طويل مجانا ودون مقابل بل رافق ذلك خسارة الكورد لوطنهم الأم كوردستان))، وطبقا للذي تحدثنا عنه من الأسطر السابقة، فإن إنشاء دولة خاصة بالكورد في كوردستان يشكل خطرا مباشرا وكبيرا وعظيما على حياة الدول المجاورة لها (العراق — إيران — سوريا — تركيا)، بسبب لما للكورد من المقدرة على التطور في كل النواحي وبالأخص الناحية الإنسانية نحو قدر أفضل من خدمة الإنسانية ومساعدة الشعوب الصديقة المضطهدة، وتطبيقا شاملا لمبادئ الديمقراطية والحرية، والكل لديهم يقينا غير مشكوك بذلك، فالدول المحتلة لكوردستان تخشى أية خطوة نحو التقدم والازدهار، لأن هناك شعوبا أخرى سوف تطالبها بإقامة كيان خاص بها، وعليه يصبح السؤال لماذا لا يسمح للكورد أن يعيشوا في وطنهم بسلام بعيدا عن الاضطهاد القومي لهم...؟

٤-هل يمكن أن نرجع أيمان الكورد بكوردستان العظمى (الوطن المقدس) واعتبار قضيتهم قضية إنسانية بحتة لا غير؟

أن إيمان الكورد بحقيقتهم القومية ووطنهم كوردستان، إيمان يرتكز إلى عوامل موضوعية تضرب في أعماق التاريخ وفي الواقع الذاتي لشعب كوردستان، ويخطئ ((من ينسب فضل حمل الكورد على الإيمان بكوردستان إلى المحتلين والغازين لوطنهم، وعلى اعتبار قضية بلادهم قضية غامضة لا يمكن حلها أبدا..!، كما

يخطئ من يعتقد أن الخطر الاحتلالي هو صاحب الفضل الوحيد في توعية الكورد وتوحيدهم معنويا، وكأن لولا الاحتلال لما كان هناك أمة كوردية ولا أمان كوردية نحو الاستقلال والوحدة والحرية، فإن كان الاحتلال عاملا في توعية الكورد جزئيا على حقيقتهم، فإن الوعي الكوردي القومي لم يكن مجرد رد فعل للحروب وتطور القضية دوليا أو لظروف آنية، ذلك أن بذور القومية الكوردية في كوردستان وخارجها، بدأت تنمو بشكل عجيب ومتدرج من قبل أن يتفتح الخطر (التركي والإيراني والعراقي والسوري)، وكانت أماني الحرية والاستقلال والوحدة تسبق السعي لحماية الذات من الطمع الغزوي الذي أخذ يشتد في القرن الماضي وما زال، وحتى لو زال الخطر الغزوي وتحررت كوردستان الأم كاملة واستقلت البقاع التي لا تزال تحت نير الاحتلال في إيران وتركيا وسوريا، لما يتنازل الكورد عن إيمانهم القومي. وليست أمنيات التحرر والاستقلال والوحدة، عند الكورد مجرد وسيلة عابرة، ينتهي أمرها بتحقيقها بل هي سعي دائم نحو حياة أحسن تتحقق بها الذات الكوردية باستمرار وتعبر عن انطلاق متواصل للنفس الكوردستاني نحو ما هو أحسن لها وللعالم...

وبعد الانتهاء من هذا العرض التاريخي الموجز، فهناك مسألة مهمة جدا تخص الجزء الشمالي من كوردستان (كوردستان تركيا)، وهي مسألة (تشريد السكان الكورد وتدمير أراضيهم الزراعية والصناعية):

وضعت القيادة العليا لحكومة أتاتورك خطة عامة لتشريد الكورد أسمتها (بير ميلت) – (قومية واحدة)، بعد ثورة الشيخ المجاهد سعيد بيران عام ١٩٢٥، ورسموا الخطط لطرد الكورد منذ ذلك الحين من تركيا أو تتريكهم، وجاء في رسالة أحد قادة الحكومة الكمالية وهو الجنرال قوبلاي قبل مصرعه على يد المقاتلين الكورد الثائرين: ((أننا كنا قد خططنا للنتيجة الحتمية لتحقيق أهدافنا في هذا الجزء الكوردي وهي تتريك سكانه أو أجلاء أصحابه أو قتلهم كالأرمن – مذبحة الأرمن..!؟، وأنا أنظر إلى أولئك القرويين الكورد على أنهم – مجرد صداع سياسي وقومي وليست مشكلة إنسانية أو ضميرية))، هكذا هم الكماليين في محاولة هزيلة متأخرة من النقد !!.. ولا يقتصر الحكام الكماليون على إنكارهم حق العيش للفرد الكوردي في تركيا، بل ويتعدى ذلك، حتى أنهم استولوا على أغلبية الأراضي الكوردية وقطع أرزاق الكورد بتهمة دعمهم للمقاومة الكوردية بمنتجات الحقول هناك، ولم يقفوا عند هذا الحد، وأخذوا يلاحقون الكورد إلى الجبال للنيل من حياتهم نهائيا، كي يكملوا خطة جدهم (أتاتورك).

وقبل مدة من الزمن استجوبنا أحد الشباب الفارين من مذبحة (ديار بكر) التي حصلت في الآونة الأخيرة في كوردستان تركيا وبالتحديد في نوروز-ربيع عام ٢٠٠٥ (و لا أذكر أسمه هنا أمانة للتاريخ وللعهد الذي أعطيناه)، وقد أقسم اليمين بأن يقول لنا الحقيقة دون إضافات ودون خوف وتردد فتحدث إلينا قائلا: ((هذه الحادثة حدثت بعد انتفاضة ديار بكر بخمسة أيام أي يوم (٢٦ آذار ٢٠٠٦)، كنت نائما تلك ليلة في الفراش إلى جنب والدي، وإذا بوالدي

أيقظني من نومي ولم يكن الفجر قد طلع بعد، فقال لي: ((ولدي قم وأنظر خارجا إن ما يجري في القرية يشبه كأنه هناك تفتيش أو اقتحام وهناك أصوات غير مألوفة تشبه أصوات المكبرات الصوتية، وإذا نحن في الفراش، فدخل علينا عدد من الجنود الأتراك كاسرين باب بيتنا، فأمرنا أحدهم بالخروج إلى وسط القرية حيث هناك باحة شبه كبيرة، وعندما خرجنا رأينا بأن هناك الكثير من العسكر ومعهم كلاب بوليسية، وعددهم يناهز الألف ونصف ألف مصاحبين بمدرعات ودبابات يمكنك سماع صوت محركاتها من داخل القرية، وكان أولئك العسكر يصدرون الأوامر بواسطة مكبرات الصوت إلى سكان القرية، بأن: ((يخرجوا بسرعة))..((وأن يغادروا منازلهم)).. وقالوا أيضا: ((لا تنتظروا.. أسرعوا... لا تحملوا شيئا توجهوا إلى وسط القرية... بسرعة ... بسرعة... خذوا أولادكم معكم ولا تعارضوا الأوامر...!!؟)) وكان الجو باردا جدا وكنت أرتعد تحت غطائي من البرد، هزني أبي بيديه الخشنتين وطلب مني بأن الحق بوالدتي فقد هربت والدتي إلى الجانب الآخر من القرية حيث أن هناك لنا معرفة بإحدى العوائل التركية، فقلت للضابط أنني ذاهب لأجلب أمي، فقبل، وكان الجنود في كل مكان منتشرين، ووالدي كان في أشد حالة من الذعر، والنساء كانوا يطلقن أصوات ذعر، وكان هناك بعض من أهالي القرية يبكون خوفا مما سيحدث لهم، وقد حاول والدي أن يتكلم مع أحد الضباط القريبين منه، فلم يرد عليه وأمر احد جنوده بأن يسكته..!؟، و أنا كنت داخل بيتنا منتظرا فرصة هرب ذهبية، بينما كان شقيقي الأكبر وأختي موجودين في تلك اللحظة في بيت أحد أقربائنا في أحدى القرى القريبة منا، ولم يكن هناك أحد يعرف بالموضوع هذا، وفجأة سمعت صوت دوي طلق ناري، وكان ذلك إشارة للبدء بالتصفية الجماعية، وكانت ساعة الجريمة النكراء، ووجه القتلة الأتراك الكماليين فوهات أسلحتهم نحو الأهالي، في باحة القرية، وأطلقوا النار على الجميع دون تمييز، ومنعوا الناس من الهرب، الرجال يسقطون، والنساء والأطفال يسقطون، ويسقط الشيوخ والعجزة أيضا، صراخ، أصوات مخنوقة، أيد متشابكة، كابوس أو مشهد من مشاهد يوم القيامة...!؟ وإلى يميننا، كان الطريق متفرع إلى عدة قرى أخرى، حاول بعض الأهالي الفارين اللجوء إليها، لقد نفذ الجندرمة الإرهابيين الأمر بدقة متناهية، وصرعوا ما يقارب ١٠٠ شخص تقريبا، وقد كانوا يبحثون عن البقية، والجرحى قتلوهم أيضا، ونسفوا بعض المنازل بالمتفجرات دون سبب وجيه أقدر على ذكره، وقد قصفوا قرية مجاورة لقريتنا بالطائرات واهدموا العديد من البيوت فوق رؤوس سكانها الذين كانوا غارقين في النوم وقتذاك، وكنت على أمل من أن أرى والدي مجددا وكنت بانتظاره دائما ولكن لم يأت لحد الآن...!!؟؟)). هذا هو سيناريو الكماليين يوميا، همهم الأهم وصداعهم القوي هو قتل الكورد دون تمييز.

بالرجوع السطحي إلى ما تطرقنا إليه في أعلاه من موضوع مفهوم وسهل ومواد أولية للعملية الرئيسية والتي هي الفهم الكلي لما يحدث ويرتكب من انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم كبرى واضحة

في تركيا من جانب حكومة أنقرة بحق الكورد، وهذه المقارنة والمناقشة المتواضعة هي ككل مادة مقارنة في الدنيا تقوم على حقائق ودلالات ثابتة وحكم الضمير الحر الحي، وبتداول موضوع آخر مهم والذي يساعد بشكل كبير وبقدر جيد فهم النزاع الكردي – التركي، والذي هو؛ (هل أن النزاع الكردي – التركي، نزاع في سبيل التنمية الاقتصادية والديمقراطية؟)

ليست القضية، كما تزعم السلطة التركية الفاشية كثيرا، بأنها صراع في سبيل التنمية الاقتصادية، ولكن حقا ما من أحد ينكر بأن تركيا ليست متقدمة نوعا ما في المجالين التقني أو الصناعي، إلا أن هناك سؤالا يفرض نفسه كثيرا عند التحدث عن الاقتصاد التركي، وهو؛ ما هو نسبة العاملين في المجال الاقتصادي في اسطنبول مثلا من الأتراك والكورد وبقية القوميات الأخرى في تركيا؟..، إن أكثر الناس الذين يزورون يرون قصة العمال الكورد كيف يعملون بكد وجهد عجيب وكم هم حريصون على أعمالهم وقد دل آخر استطلاع لفرع نقابة العمال التركية بأن هناك نسبة تتراوح بين (٧٠٪ إلى ٧٣٪) من العمال هم من الكورد !!.، فأين ما يقال عن أن (الكورد طعن قاصم في ظهر الاقتصاد الوطني التركي..!!)، ولكن بالرغم عن كل ما يقال عن الكورد إلا أن هناك قناعات جمع كثير من الناس تحديدا في العراق بغض النظر عن قومياتهم بأن الكورد هم أناس يتقنون العمل في المجال الاقتصادي في الشرق الأوسط ويحبون العمل على دوام مستمر وبالإمكان أجراء استطلاعات نوعية وكمية عن هذه القضية.

أما الجانب الآخر من القضية هذه؛ فهو (هل أن - تركيا دولة ديمقراطية ؟!)

أن تركيا تدعي وتمثل أمام العالم بأن الصراع مع الكورد هو في سبيل الديمقراطية..!، فالموضوع ليس هكذا بتاتا، صحيح أن لتركيا مؤسسات برلمانية وأخرى مدنية، ولكن حبرا على ورق، وأنها تشبه لوحة مكتوبة بالخط الكوفي سئمت من نفسها، فما ديمقراطيتها أكثر من أنها بارود عثماني، تطلق بالتقسيط، وتقتل بالتقسيط؟!.. والديمقراطية في تركيا ما هي إلا فرفصة في حدود الخط الكوفي، وكانت الديمقراطية في زمن الاحتلال البدائي تذكارا جميلا من سعادة الملك جورج ملك بريطانيا العظمى ١٩٢٣ عندما قسموا كوردستان الأم بمعاهدتهم المشؤومة (معاهدة لوزان)، فقد أعطوا كوردستان المقدسة للفاشية الشرق الأوسطية ولكن ليس كتذكار هذه المرة، بل كملعب للهو وقضاء الوقت وإبادة الجنس البشري هناك أيضا، كما هو الأمر والحال في كل أجزاء كوردستان المحتلة، إن تركيا فرضت على الكورد في شمال كوردستان (تركيا) و المقيمين فيها منذ قيامها وحتى الآن حكما عسكريا قاسيا ومارست ضدهم جميع أشكال التمييز التي تتنافى مع أبسط قواعد الديمقراطية والتي تكفل حرية الإنسان والمساواة بين المواطنين بغض النظر عن الانتماء القومي أو الديني. والحديث عن الديمقراطية هنا يجلب بهذا السؤال الذهني ويطرحه وهو؛ هل أن إنكار وجود شعب بأكمله مثل الشعب الكوردي هو ما يسميها تركيا صراع من أجل الديمقراطية..؟!، أم منع المواطنين

من تسمية أبنائهم بأسماء كوردية أو زج المواطنين في السجون والمعتقلات لمجرد تكلمهم بلغتهم الأم..؟!، وإذا كانت هناك حقا مؤسسات قانونية فأين حكم القانون؟، فلم تستجوب المحاكم التركية في تاريخها جنديا أو ضابطا أو كلبا كماليا جراء قتله مدنيا كورديا، فهناك جرائم قتل وإبادات ترتكب يوميا ضد الإنساني الكوردي البريء، وكل يوم وهناك قصة جديدة تروى عن القتل الجماعي للنساء والأطفال والشيوخ وعن صلب الشباب الكورد وكأن صلابي المسيح قد رجعوا ليصلبوا يوميا مسيحا كورديا...!!، ولكن أصل الموضوع عند الديمقراطية فهو بالعكس تماما، فأن الكورد كانوا وما زالوا يناضلون من أجل تحقيق حلم الديمقراطية في كل أنحاء تركيا وثم الشرق الأوسط والعالم، وإن لما تدعيها حكومة أنقرة لكذب وباطل وما يبنى على الباطل فهو باطل. وبشأن أمر المؤسسات، فليست المؤسسات البرلمانية والمدنية هي الحل كما يتصوره الأميركيون والأوربيون، لأن المؤسسات تلك تقف مسؤولياتها عند حدود قبر أتاتورك، وهذا كل ما في الأمر، وإن صوت المواطن العادي ليس متمثلا في البرلمان التركي تمثيلا عادلا ولا يعبر عن تطلعاته ولو بحجم ذرة ..!، بل أن المؤسسات التركية تعبر عن إرادة ومصالح الجماعات العنصرية الصغيرة، كونها تملك السلطان الاقتصادي وتتمتع بالنفوذ البربري الوقح والعسكري الهمجي والمنزلة السياسية الحاسمة، .. ومن أجل طمأنة الأوربيين بقدرة تركيا على التغيير والسير قدماً لتأخذ مكانها ضمن الإتحاد، بادر رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان لزيارة مدينة ديار بكر كبرى المدن الكوردستانية، واعترافه بشكل صريح بوجود مشكلة كوردية في تركيا رغم إنكار السياسيين والعسكريين الترك بعدم وجود مشكلة من هذا النوع على مدى العقود الماضية، ليس هذا وحسب بل عدم جراة أي سياسي تركي المجاهرة بذلك خوفاً من بطش العسكر ، وبهذا سجل السيد أردوغان سابقة ايجابية وشجاعة نادرة ستخدم تركيا على المدى البعيد، كما وعد بحلها بالطرق السلمية الديمقراطية،وأضاف قائلاً : علينا بالمزيد من الديمقراطية من أجل حل المشكلة الكوردية، وهنا سجل السيد أردوغان اعتراف ثان بعدم وجود ديمقراطية حقة في تركيا، فأستحسن الكثير من محبي السلام هذه المبادرة علها تطوي الصفحات المريرة من تاريخ العلاقة بين الكورد والدولة التركية على مدى التاريخ الدموي المنصرم، لكن بحالة من الشك والترقب في آن واحد، والخشية من ذلك هو أن تكون هذه التصريحات في المحصلة النهائية، ليست سوى كلام يطلق في الهواء لتخدير النفوس ومراوغة سياسية تركية جديدة يراد بها فقط العبور للضفة الأخرى وإرساء سفينتها على الشاطئ الأوربي، لكن الواضح والمعروف بأن أوربا لا تأخذ أو تبني سياساتها ومواقفها على الأقوال فقط ، بل تود أن ترى تحويل الأقوال إلى أفعال ملموسة على أرض الواقع. وإذا كانت لتركيا آذان فلتسمعني الآن وأما بالنسبة للسياسيين الأميركيين والأوربيين فإذا كانوا يفقهون حرفا مما أقول فيجب أن يعرفوا الحقيقة من الباطل وأن يفضلوا الشرف والإنسانية على السياسة، فإن هناك فرقا شاسعا وكبيرا ما بين

الملاهي الليلية وبيوت الدعارة والفساد و بين الديمقراطية والاقتصاد...!؟

أليس عدم اعتراف الكورد بشرعية سيطرة تركيا على القسم الشمالي لكوردستان موقفا سلبيا بعيدا عن الإيجابية..؟

إن الحقيقة هي أن كل رفض هو أيضا قبول، وكل قبول هو أيضا رفض، ففي كل اختيار بين ضدين، إن رفض الواحد هو بالضرورة قبول بالآخر..!، ليس هناك رفض مجرد، ولا قبول مجرد، السلبية وجه الإيجابية الآخر، والإيجابية وجه السلبية المقابل، ولا ينفصل أحدهما عن الآخر.

محك الإيجابية والسلبية ليس هو، إذن قيام عملية الرفض أو عملية القبول، هذا المحك الشكلي والآلي ليس صالحا، ويجب استبداله بمحك أصدق منه، فما تراه يكون..؟ المحك الحاسم هو طبيعة المرفوض والمقبول، وهو أيضا طبية الدافع على الرفض والباعث على القبول..!، فمن رفض الخطأ تمسكا منه بالصواب، أو قاوم الظلم تعلقا منه بالعدل، كان موقفه إيجابيا في جوهره، ولئن بدا سلبيا في شكله، وكذلك فمن رفض حبا منه بالرفض، أو لنزعة في نفسه تحدو به إلى المعارضة في كل شيء من أجل المعارضة كان موقفه سلبيا، سواء أكان الموضوع الذي يرفضه شرا أو خيرا، وأما من رفض شيئا ما عن تمييز واع، وعن قناعة بأنه جدير بالرفض، فأن رفضه إيجابي على الرغم من سلبية مظهره.

على ضوء هذه المبادئ إننا نقول «لا لحكومة أنقرة المحتلة – لا لتركيا» لأننا نقول (نعم) لكوردستان وطن الكل. إننا نقول (لا) لتركيا، ولا للاحتلال الذي تجسده تركيا، لأننا نقول (نعم) لحق شعب كوردستان في تقرير مصيره، ولحق الأمة الكوردية في تحرير جزء من وطنها. إننا نقول مجددا (لا) لتركيا الكمالية الشوفينية، وللاغتصاب المستمر الذي تجسده، لأننا نقول (نعم) للمبادئ التي لا بد لأي نظام سياسي، كي يكون عادلا وسليما وثابتا وشريفا، من أن يرتكز عليها قاعدة راسخة.

أننا نقول (لا) لتركيا، لأن في قرارة نفوسنا تعلقا ايجابيا بحقوقنا القومية المشروعة، وتعلقا إيجابيا مثله بمبادئ العدالة والاستقامة في العلاقات الدولية، واستعدادا إيجابيا للصراع من أجل الذود عن هذه المبادئ وتلك الحقوق.

« لأننا إيجابيون، وإيجابيون بحق نعم بحق، نحن نقول (لا) لوجود الديكتاتورية التركية الفاشية، ولبقائها، ولكل ما ترمز إليه تلك الحكومة الديكتاتورية وكل ما تجسدها.»...

هل عدم الاعتراف بتركيا موقف غير واقعي..؟

هناك نقطتان لتحديد ماهية الواقعية، وهما:

١. إن الواقعية هي الاعتبار بالواقع في كل ما يضعه المرء من خطط وبرامج، إنها تقدير مجموع طاقات التي يمتلكها صاحب قضية ما، والتي يستطيع أن يستخدمها في سعيه لبلوغ غرضه، وهي أيضا تقدير مجموع الطاقات المناوئة، وهي أخيرا الموازنة و المقارنة بين ذلك المجموع من الطاقات.

٢. إن الواقعية هي الاعتبار التي تصلح مقياسا لبرامج العمل وخططه وتوقيته وأهدافه الآنية المرحلية، ولا تصلح لتحديد الأغراض القصوى

والغايات النهائية للعمل الإنساني، أي أن المحافظة على البقاء، والدفاع عن النفس، مثلا، هما من الأغراض الأخيرة لكل كائن واع، فردا كان أم دولة. أنهما لا يخضعان لحساب الواقعية، إن الواقعية قد تحدو بي إلى تبديل بعض خططي أو كلها، لكي أتجنب أخطارا لا قدرة لي على مصارعتها أو لا موجب لتعريض نفسي لها، والواقعية قد تحدو بي أيضا إلى تغيير بعض أهدافي المرحلية في هذا العمل أو ذاك، وتكييفها وفق المعادلة الآنية للقوى المتناحرة، لكن الواقعية لا تستطيع أن تحملني على التخلي عن أغراضي الكبرى (كالبقاء مثلا)، - لأن ذلك خارج عن نطاق اختصاصها وانطباقها — فالواقعية هي ((مبدأ نهجي)) وليست ((مبدأ غايوي)).

وقياسا على ذلك: فقد يكون من شأن الواقعية الكوردستانية أن تناقش، وأن تعارض، خطة ما لتحرير كوردستان كليا، وقد يكون من شأنها أن تقترح بدلا عنها خطة كوردستانية أخرى لتحرير كوردستان. ولكنه ليس من شأن الواقعية في أي حال من الأحوال أن تناقش غرض تحرير كوردستان في حد ذاته — لأن هذا غاية تعلو على حساب الواقعية، و لا يطالها منطق الواقعية لا من قريب ولا من بعيد.

بل أن الواقعية من واجبها — حين تدعو إلى الإقلاع عن برنامج ما لأنه في نظرها غير واقعي، أن تبحث وتفتش عن برنامج آخر، أكثر منه واقعية، يضمن لنا الوصول إلى الغرض الأخير الذي لا تنازل عنه: ((الا وهو تحرير كوردستان))، أما حين مدعو الواقعية ليناودا بالتخلي عن ذلك الغرض الذي لا نرضى عنه بديلا، لا لسبب إلا لأن برنامجنا على ما يبدوا لهم عاجزا عن إيصالنا إليه، فأننا إن تخلينا عن تحرير كوردستان، يعني إننا تخلينا عن جوهرنا وإننا قلبنا الأمور رأسا على عقب، وأننا سخرنا الغايات للوسائل، وأننا سمحنا للنهج بأن يتحكم في الغاية...!

أليس الحصول على ((نصف الكعكة)) أفضل من خسارتها كلها..!؟

٣-أن ما يتضمنه منطق ((نصف الكعكة)) ينطوي على اعتبار الخسارة الكلية واقعة لا محالة وهذا منطق انهزامي ومخالف لمنطق التاريخ، ذلك لأنه ما من شعب ناضل في سبيل حقه وأصر على تحقيق أهدافه المشروعة إلا وأنتصر في النهاية برغم الصعاب والعقبات.

٤-إن منطق: ((نصف الكعكة)) يعني بوضوح التنازل الكامل عن الحق الكوردي في كوردستان وعن حق الكوردستانيين في العودة وبقائهم مشردين والتراجع أمام الغزو و الاحتلال غير المشروعين والرضوخ أمامهما وتحقيق أهدافهما..!

٥-أن سياسة المرحلية المرغوبة هي المرحلية التصاعدية التي تبني في كل مرحلة على ما شيدته في المرحلة السابقة، وتمهد في كل مرحلة لما ستبينه في المرحلة اللاحقة، وأن المرحلية التي تنادي بها سياسة ((نصف الكعكة)) هي مرحلية مغلقة تهدي إلى طريق مسدود بوجه الآمال الكوردية..!، المرحلة الأولى فيها تنفي المراحل اللاحقة لها — (بدلا من أن تمهد لها الطريق وتفسح لها مجال التنفيذ، وتوفر لها شروط التطبيق). هذه المرحلية المغلقة ((تطوق))

نفسها تطويقا كاملا وتاما في سياج المرحلة الأولى، لأنها تكفي بالخطوة الأولى، وتعني مسبقا أنها لن تمضي بعدها في المسير نحو الهدف الأخير، أنها تقتنع بتصغير مساحة كوردستان التي اغتصبها الدول (تركيا – إيران – سوريا – العراق) تصغيرا جزئيا، مقابل التخلي نهائيا عما تبقى من حقنا كله ككورد في كوردستان العظمى، ولقاء الاعتراف بالاحتلال غير الشرعي، ولقاء عقد الصلح معها.

٦-إن سياسة ((نصف الكعكة)) لا ترفع شعار ((خذ الآن ما تستطيع أخذه، وتهيأ في الوقت عينه لتأخذ غدا ما تبقى))، وإنما شعارها ((أكتف بما تستطيع أخذه بل وبأقل منه، وتنازل لخصمك منذ الآن وإلى الأبد عما تبقى لك..!!!))، ليس شعارها: ((صارع للحصول دفعة فدفعة على حقك، إلى أن تبلغ آخر الأمر كاملا غير منقوص، وفق خطة محكمة))، وإنما شعارها: ((ساوم للحصول على قسط ضئيل من حقك، وتخل، لقاء هذا القسط الضئيل، عن حقك بالكامل، ليست هذه مرحلية التخطيط، وإنما هي مرحلية التفريط ... ليست هذه مرحلية الصراع، وإنما هي مرحلية استسلامية))...

٧-إن اختيار الكورد في كوردستان تركيا وإيران وسوريا، طريق الكفاح المسلح يتنافى جذريا وبصورة مطلقة مع سياسة المساومة ((نصف الكعكة)) لأنها سياسة انهزامية واستسلامية.

أليس (الحل الوسط – المساومة) أسلم حل للنزاع في شمال كوردستان في تركيا..؟

صحيح أن هناك ظروفا قد يكون الحل الوسط فيها أنسب الحلول لجميع الفرقاء، ولكن بين القول بإمكان الحل الوسط في بعض الحالات والنزاعات، والقول بوجوب السعي نحو الحل في كل الحالات، يوجد فرق شاسع، فأين يقع الخط الفاصل بين الحالات التي لا يجوز ذلك فيها؟

الحل الوسط قد يكون جائزا عندما تكون القضية المراد حلها نزاعا عرضيا على حقوق نسبية أو على مصالح جزئية أو جانبية، والنزاع بالتالي يكون قائما ضمن إطار أوسع منه، فأن الفريقين يساومون على ما تبقى من حقوق ومصالح، أما بالنسبة للقضايا المصيرية، حيث لا يدور الصراع والنزاع حول حقوق نسبية أو جانبية بل على الحق المطلق بالبقاء، أو حيث يدور الصراع لا حول مصالح أجنبية، بل حول مصالح جوهرية يتوقف عليه البقاء نفسه، كأرض الوطن – وكذلك القضايا المصيرية التي يتمتع بها أحد الفرقاء فيها بالحق المطلق في أرض وطنه وبقائه، بينما يتميز موقف الفريق الآخر بالاغتصاب المطلق لحقوق سواه – في القضايا المصيرية هذه، لا يجوز التفكير بالحل الوسط، ناهيك عن القبول به والدعوة له. ذلك لأن نقطة التوسط بين المطلق والمطلق ليست نقطة نسبية، قد تتساوى المسافة بينها وبين كل من الطرفين المطلقين: وإنما نقطة التوسط بين المطلق والمطلق هي نفسها مطلقة..!، و لا بد من أن تكون أما في صف هذا المطلق أو في جانب ذاك.

كذلك الحال في الصراع بين الخير والشر، فالتسوية التوسطية تجوز في نزاع طرفين كل منهما مزيج من الخير والشر، وإن تفاوتت معادلة المزج بينهما في الحالتين. وبين الطرفين النسبيين، يجوز ابتداع حل

وسط نسبي يوفق بينهما، ويكون بالنسبة لكل طرف خيرا له من الطرف الآخر، أما بالنسبة للخير المطلق والشر المطلق، فمثله كمثل ما بين صاحب البيت واللص الذي كسر الباب أو تسلل من النافذة واستولى على محتويات المنزل – فليست التسوية الوسطية تسوية غير منحازة لهذا الفريق أو ذاك، بل إنها التسوية المنحازة إلى جانب اللص وإلى مبدأ السرقة العبث بالقانون، ومتجنية على صاحب المنزل وحقه بأملاكه.

أما بالنسبة إلى دعوة الحل الوسط في قضية كوردستان تركيا لا تجوز...!، لأن جوهرها تمسك شعب بحقه في وطنه ومصيره القومي، واغتصاب شعب دخيل لذلك الحق، وبالتالي فأن الحل الوسط بين الحق المطلق والاغتصاب المطلق إنما هو عقاب لصاحب الحق المسلوب أو المغتصب، ومهما كبرت أو صغرت رقعة الاحتلال، فالمطلوب من الفريقين معا أن يقبلا ببقائها محتلة..!؟.

هل يعطي مرور الزمن المكسب – شرعية للوجود التركي في شمال كوردستان..؟

(ملاحظة: كذلك الحال بالنسبة إلى بقية الدول المحتلة لكوردستان العظمى)...

هناك ثلاثة شروط مطلوبة في الحيازة التي يستند إليها مرور الزمن:

١-ينبغي أن تكون الحيازة علنية و لا تجري لحساب الغير.

٢-ينبغي أن تكون الحيازة سلمية لا يرافقها العنف.

٣-ينبغي أن تكون الحيازة متواصلة ولا نزاع فيها.

ولدى التدقيق في هذه الشروط الثلاثة، يتضح أنه لا يكفي لتحويل وضع اليد إلى مرور زمن مكسب انقضاء فترة زمنية معينة كما ذهبت إلى الحكومة التركية الفاشية. وفي القرار التحكيمي الصادر في (١٩١١\٦\١٥) في النزاع القائم بين الولايات المتحدة الأميركية والمكسيك في القضية المشهورة (قضية شاميذال) نظرت الهيئة التحكيمية فيما إذا كانت الحيازة التي تتذرع بها الولايات المتحدة غير مضطربة ومتواصلة وسلمية، فتبين أن أيا من هذه الشروط لم تتوفر.!، و لا سيما أن الحيازة لم تكن سلمية. وخلصت إلى القول بأن أحدى الصفات التي يقوم عليها مرور الزمن مفقودة، وهذا يعني أن لا حق إلا إلى جانب المكسيك، ومن حسنات القرار التحكيمي ذلك أنه أظهر بوضوح إن عدم انقطاع الحيازة – هو شرط من شروط تحقق مرور الزمن.

إن في تاريخ كوردستان والإجراءات الدولية عناصر لا يمكن أن تعتبر إلا كأفعال تقطع مرور الزمن، فبدءا من المؤامرة الدولية (معاهدة لوزان ١٩٢٣) قد قسمت (بريطانيا – تركيا – فرنسا – سوريا – العراق – إيران) بموجبها كوردستان الأم إلى أربعة أجزاء مختلفة، بينما كانت المعاهدة الدولية المقدسة و الشرعية (سيفر ١٩٢٠) تفضي إلى إقامة دولة كوردستان دون خلاف..! كون كوردستان كانت لديها كل مقومات وشروط دولة مستقلة من أرض وشعب وسلطة سياسية حكيمة آنذاك، ولكن استخدم المجتمع الدولي كل أنواع الخداع ضد شعب كوردستان كله، وبالأخص تركيا وبريطانيا، وقد مر زمن طويل على تلك القضية وهي بالنسبة إلى شروط الحيازة القانونية الثلاثة مفقودة ١٠٠٪ وتعتبر احتلال بالرجوع إلى كل قوانين الكون، وكيف

بالآن، فتركيا تريد أصلا إنكار وجود الكورد ومنطقتهم كوردستان داخل تركيا — هذا لا يعني حيازة غير شرعية لشمال كوردستان، بل هذا يعني بكل صراحة القضاء على الشعب الكوردي بالكامل ومسحهم من التاريخ كليا، فعدم انصياع الشعب الكوردي للضربة التي حلت به وعدم توقفه عن المطالبة بالعودة إلى الوطن المغتصب يقطعان مرور الزمن، وكذلك تقطع مرور الزمن قرارات الأمم المتحدة التي تؤكد حق الشعب الكوردي في شمال كوردستان (في تركيا). وإذا كانت أميركا أو الاتحاد الأوربي وغيرهم يدعون حماية حقوق الإنسان وحق تقرير مصير الشعوب في العالم ويلتزمون بالميثاق الدولي (ميثاق الأمم المتحدة) الذي وقعوا عليه وانضووا تحت لواء المنظمة الدولية، فلماذا لا يقولون كلمتهم في الموضوع الكوردي — التركي، أوليس لهذه القضية من أهمية إنسانية بحتة، فإن ما فعلتها قوات التحالف عام سنة ٢٠٠٣ في القضاء على النظام الفاشي في العراق كان قرارا صائبا وصحيحا، وكانت لقوات التحالف أمور عديدة لإسقاط حكومة صدام حسين، ومنها ما كانت إنسانية صرفة، فيجب على الدول الراعية لحقوق الإنسان في العالم حسب ما وقعوا عليه من مواثيق دولية لحماية و خلاص الشعوب المضطهدة من جلاديها — إن جاز التعبير، أن يقفوا وقفة الشرفاء إلى جانب الكورد في تركيا بحزم وأن يصروا على تركيا لمنح الكورد كامل حقوقه القومية والوطنية.

وعلى كل حال من الأحوال، فأن احتلال تركيا لشمال كوردستان وقيامها بجميع أشكال التمييز العنصري ضد الكورد واغتصاب الأراضي الكوردية، لم يكسبها ملكية الأراضي المغتصبة بمرور الزمن لسبب كاف لوحده، وهو عدم توقف الشعب الكوردي هناك عن الاحتجاج، ومن ثم لم يكن من المستطاع أن تنتقل السيادة الكاملة إلى تركيا في مثل هذه الظروف...!

﴿ المقاومة الكوردستانية لتركيا ﴾

((لقد أصبح حق التحرير الوطني اليوم يحظى باعتراف عالمي شامل أو يكاد، وليس هناك من يعارض مبدأ الكفاحين السياسي والمسلح...)) — الأستاذ المرحوم الشهيد ئارام.

ما هي الأسباب الدافعة للمقاومة الكوردستانية المسلحة ضد تركيا؟

١-إن تركيا كيان غير شرعي في شمال كوردستان، وقام على اغتصاب الأرض الكوردية بالقوة وبالتواطؤ مع القوى الاستعمارية في الماضي القريب.

٢-إن تركيا تحدت المجتمع الدولي والأمم المتحدة وجميع مقرراتها المتعلقة بالقضية الكوردية، وبنت جميع مواقفها على أساس ((الأمر الواقع)) المكتسب بقوة السلاح والعدوان. بالمقابل فأن الأمم المتحدة لم تستطع حتى الآن أن تضع حدا للغطرسة التركية ولاستهانتها بحقوق الشعب الكوردي في تركيا.

٣-إن تركيا لم تحظ بموافقة الشعب الكوردي في كوردستان أبدا، صاحب الأرض الأصيل، بل أن هذا الشعب أعلن معارضته ومقاومته للمشروع الكمالي الاستعماري منذ معاهدة لوزان الوقحة وحتى الآن بدءا بالاحتجاج والإضراب والتظاهر والمقاطعة وانتهاءا بالكفاح المسلح.

٤-إن القانون الدولي لا يسمح للمجرم أن يحتفظ بمكاسب ناجمة عما أرتكبه من جرائم كبرى وباقيا دون عقاب، ويبقى العمل العدواني في العلاقات الدولية غير قانوني حتى لو أيدته دول أخرى.

ولما كان استمرار السيطرة على مغانم العدوان يعني استمرار العدوان نفسه، فإن تحرير الأرض المغتصبة بواسطة العدوان هو امتداد الحق الطبيعي في مقاومة العدوان الأول، إنما التحرير الوطني والدفاع عن النفس وجهان لحق طبيعي واحد.

ما هي أهداف حركة المقاومة الكوردستانية..؟

لقد حددت حركة المقاومة الكوردستانية هدف كفاح الكوردستاني المسلح بالآتي:

١-تحرير أرض كوردستان بكامله وممارسة سيادة الشعب الكوردستاني عليه.

٢-الحق للشعب الكوردستاني في أن يقيم لنفسه وعلى أرضه المجتمع الذي يرتضيه، وأن يقرر موقعه الطبيعي والسياسي في المجتمع الدولي.

٣-التأكيد على الشخصية الكوردستانية والوقوف في وجه أية محاولة لإذابتها أو الوصاية عليه.

ولا بد من تحقيق النصر وبلوغ الهدف من ضرب العدو في جميع مواقعه، وفي مواقع الارتباط بين حلقات قواه، وذلك باستعمال الأسلحة العسكرية والسياسية والإعلامية، ضمن خطة واحدة متكاملة ترمي على نزف قواه وبعثرتها وتحطيم الروابط والأهداف المشتركة بينها. هذا نضال طويل الأمد دون توقف، ولكن معركة طويلة مثابرة مصممة، لا بد لها أن تحدث مع الوقت أثرها بسبب ما تنزفه من الموارد.

وان للمعركة الطويلة ميزة أخرى، هي أنها تتيح الفرص للعالم أجمع لكشف ما تفعله تركيا الكمالية، وما تسببه من أضرار وارتباكات لمصالح دول كثيرة وأمنها، وما تسببه من خطر على السلام العالمي، مما يؤدي بالتدريج إلى زوال صورتها المزيفة..!، وظهورها على حقيقتها الشوهاء، وعزلها عن مراكز السلطة، واتخاذ الاحتياطات دون بلوغها تلك المراكز، وكل ضعف يصيب الكمالية الفاشية، لا بد أن يظهر أثره في حكومة أنقرة القمعية، لأن الكمالية الفاشية هي المستودع الذي تستمد منه تركيا جميع قواها، وقدرتها العسكرية الهمجية والسياسية العنصرية، (وأن الشعب الكوردستاني يمثل جانب المقاومة والكفاح والتحرر وأن تركيا تمثل فيها جانب الاعتداء والاغتصاب والتحلل من كل المثل التي تحكم العلاقات الإنسانية الفاضلة).

كيف تنظر المقاومة الكوردستانية السياسية والمسلحة إلى الكمالية وتركيا..؟

١-تقسيم كوردستان الذي جرى عام ١٩٢٣ هو تقسيم دنيء ونجس، وإن قيام حكم تركيا في شمال كوردستان باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن ولمغايرته إرادة الشعب الكوردستاني وحقه الطبيعي في وطنه ومناقضته للمبادئ التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة وفي مقدمتها حق تقرير المصير.

١-تعتبر معاهدة لوزان باطلة وكل ما يترتب عليها، وإن دعوى الترابط التاريخية بين الكورد (مما يسميهم الكماليون بأتراك الجبال) والأتراك لا تتفق والحقائق التاريخية، ولا مع مقومات الدولة القومية في تركيا في مفهومها الصحيح.

٢-الشعب الكوردستاني، عبر عن ذاته بالثورة ورفض كل الحلول البديلة عن تحرير شمال كوردستان تحريرا كاملا ويرفض المشاريع الرامية إلى تصفية القضية الكوردية أو تدويلها.

من هم أداة الكفاح الكوردستاني المسلح والسياسي..؟

إن أداة الثورة هي الجماهير الكوردستانية بغض النظر عن قومياتهم ودياناتهم ومذاهبهم، من كان منها داخل كوردستان أو خارجها، ملتحمة التحاما عضويا وثيقا فيما بينها وملتفة حول ميثاق الثورة الكوردستانية، ومعبرة عن إرادتها من خلال قيادتها الكوردستانية الشجاعة، تسندها وتشترك معها في النضال الجماهير الكوردستانية في بقية الدول الأخرى المؤمنة كل الإيمان بأن ثورة الشعب الكوردستاني في تركيا هي التعبير الحي عن الإرادة الكوردستانية الحية التي ناضلت منذ مطلع القرن الماضي في سبيل حريتها ووحدتها وعدالة مجتمعها، والتي آمنت حتى بأن لا وحدة ولا حرية ولا عدالة اجتماعية إلا بتحرير الأرض المغتصبة، تضاف لها القوى العالمية الشريفة التي ترفض السيطرة التركية على مقدرات الشعوب والتي تؤمن بأن تحرير كوردستان هو وجه من وجوه حق تقرير المصير للشعوب المضطهدة.

أن جماهير شعبنا الكوردستاني تشكل مادة الكفاح المسلح والسياسي وأن المقاومة الجادة للاغتصاب والعدوان لا يمكن أن تصل إلى أهدافها إذا لم تعتمد على الجماهير الكوردستانية، وأن المقاومة الشاملة التي يتجند في صفوفها أوسع قاعدة من الجماهير هي الضمانة الحقيقية التي تمكن هذا الشعب من بلوغ الهدف.

هل تقتصر المقاومة الكوردستانية على المقاومين خارج كوردستان؟

إن حركة المقاومة الكوردستانية تضم جميع قطاعات الشعب الكوردستاني داخل كوردستان وخارجها، أن مشاركة الجماهير الواسعة في المقاومة السلبية والإضرابات والتظاهرات في جميع أنحاء شمال كوردستان (جنوب شرق تركيا) وأن مشاركة الطلائع المقاتلة من هذه الجماهير في العمليات العسكرية الفعالة أكبر هناك أكبر دليل على أنها مقاومة شعبية حقيقية، ومن جانب آخر فأن شمول الكفاح للكوردستانيين الشردين والمهجرين خارج كوردستان لا ينتقص من المقاومة شيئا، فهؤلاء أبناء الأرض شردوا وهجروا عنها بقوة السلاح والإرهاب التركي وان اشتراكهم في حركة المقاومة ودعمهم لها وحمايتهم لها برهان ثابت على تصميم وإصرار الشعب الكوردستاني على تحرير أرضهم من الاحتلال التركي.

ماذا تقصد حركة المقاومة الكوردستانية بتحرير كوردستان..؟

تهدف حركة المقاومة الكوردستانية إلى إعادة السيادة الكوردستانية على شمال كوردستان (الجزء الكوردستاني الواقع في تركيا)، وهذا يتضمن القضاء على الكيان الكمالي الفاشي الذي أقام على أرض كوردستان ما سمي بـ(شرق تركيا) بالعنف والإرهاب والإجلاء والتشريد، والقضاء على الكيان يعني إزالة ما يسمى بالسيادة التركية على الأرض الكوردستانية بالمؤسسات التي تمثلها هذه السيادة.

أما بالنسبة للأقوام الباقية الساكنين في كوردستان تركيا (وبالأخص الأتراك منهم) فأن المعارضة الكوردستانية لم تستهدفهم في الأصل، بل استهدفت ولا تزال المؤسسات الكمالية المتمثلة بتركيا، ولهذا فأن المعارضة الكوردستانية لا تنظر بعين الحقد والكراهية ضد الأفراد من الأتراك، سواء منهم المقيمين في كوردستان أو مقيمين في مواطنهم الأصلية في تركيا، ولكنها في الوقت ذاته فأنها تعمل على درء المخاطر والقضاء عليه وبالتالي فالحرب مع تركيا هو حرب ضد كيان عنصري غاصب محتل وعدواني وليس ضد قومية معينة مثل الأتراك.

ما هي الآثار القانونية للمقاومة الكوردستانية؟

١ إن المقاومة الكوردستانية تكرس الوجود السياسي لشعب كوردستان في تركيا، ذلك أن حفاظ الشعب على كيانه المادي شرط مسبق لاحتفاظه بحقوقه القانونية كشعب.

٢-يصعب التسليم بمبدأ مرور الزمن حين يكون الحق متعلقا بوجود شعب كامل وبحقه على أرضه ومع ذلك فأن رضخ هذا الشعب ولم يعترض على ما خسر من حقوق ولم يقاوم المعتدي، فأن كل هذا يشجع المعتدي على المضي قدما في العدوان وترسيخ وجوده وتعطي المبرر للمجتمع الدولي للقبول بالأمر الواقع وتكريسه، أما الشعب الكوردستاني فقد عبر عن رفضه للاحتلال وعن مقاومته له مقاومة مسلحة وسياسية.

٣-أن أحد شروط اكتساب الدولة المعتدية حقوقا على الأرض المحتلة هو الحيازة الهادئة التي تحقق إذا ما توافرت مجموعة من الأعمال السلبية والإيجابية التي تعبر عن استقرار في أوضاع الأرض المحتلة وتسليم بالواقع الجديد، وبسبب المقاومة الكوردستانية المسلحة فأن عنصر الحيازة الهادئة لن يتحقق، وبغياب هذا العنصر يخسر عنصر الزمن قيمته وتنتفي الحيازة القانونية للأرض ومعها الحق بالسيادة والاحتفاظ بالأرض المغتصبة، ويساعد هذا في المستقبل إذا كانت هناك نية دولية لحل القضية الكوردية سلميا!؟

وفي نهاية مشوارنا هذا، آمل في أن يكون لهذا الحديث الواقعي الموجز عن بعض جوانب النزاع القائم في تركيا بين الكورد والحكومة الفاشية في أنقرة الكمالية دور في إضافة تفسير جديد للمعضلة الكبيرة، فإن لكل إنسان ضميرا حيا يحكمه ويتابع ما يجري كل يوم من كوارث وإبادات وتصفيات جسدية كمحاولة جبانة صادرة عن عدة دول لدفن الأمة الكوردية مهما كلفهم الأمر، ولا تهتم تلك الدول بأي نوع من أنواع الحكم الإنساني، ولا تلتزم بأخلاقيات الحياة ولا تعترف بالديمقراطية التي أصبحت مهما كالتنفس يحتاج الإنسان إلى استنشاقه في اللحظة الواحدة مرتين، لكي يحافظ على نفسه الإنساني الخالص.

وإذا كانت هناك مهام إستراتيجية أخرى لدول أوربية أو عربية أو تركيا أو إيران (حيث الإمبراطورية الصفوية والعثمانية الفاسدة والجذور الكمالية العفنة) ، فنحن لسنا من مستعمرات تلك الدول، بل نحن نتفهم آلام الآخرين لأننا تألمنا قبلهم.. نتفهم جروحهم لأننا جرحنا قبلهم.. نتفهم خسائرهم لأننا خسرنا قبلهم.. وأكمل وأقول

أتأسف لسكوت المجتمع الدولي لما يجري هناك في كوردستان تركيا من جرائم لا تختلف عما اتهم به الديكتاتور العراقي صدام، وبقاء العائلة الدولية صامتة عما يحصل للكورد من تعذيب وتصفية وتطهير عرقي وعما ينتهك من حقوق ذلك الشعب في كل لحظة في حياته، وأرجو من أصحاب الضمائر الحية المؤمنين بحرية الشعوب أن يساعدوا شعب كوردستان بكل ما يستطيعون، والسعي قدما نحو التوصل إلى حل عادل ومتوازن للقضية الكوردية في تركيا، وأوجه ندائي هذا إلى الاتحاد الأوربي على وجه الخصوص، وأطلب من حلف ناتو أن تعيد النظر في عضوية تركيا في الحلف، لأن الحلف أتى إلى الحياة لحماية الشعوب من الظلم، وليس تمكين قوى الظلم ومساعدته بقدر أكثر، وجعله قادرا أكثر على قتل الأبرياء وتصفية الشعب المضطهدة... وأن لحضراتكم - أيها السيدات والسادة — ضمائر حية وعقول سالمة طيبة لتحكموا على من هو الإرهاب (المقاومة الكوردستانية) أم (جلادي الحكومة الكمالية الفاشية في تركيا)؟

قضايا كردية معاصرة

كركوك – الانفال – الكردو وتركيا

تأليف: د. جبار قادر

دار آراس للطباعة والنشر

اربيل ٢٠٠٦

المجتمع المدني ودور المنظمات غير الحكومية في سوريا

الحركة الكردية في سوريا والمجتمع المدني مثالا

الفصل الثاني



فاروق حجي مصطفى

المقدمة:

في الفصل الأول من ورقتنا تحدثنا عن علاقة الحركة الكردية في سوريا بالمجتمع المدني وقلنا أنها تعتبر جزءاً منه لأنها تسعى بالدرجة الأساس إلى بناء عقد اجتماعي جديد في مناطق تواجدها (الجزيرة،كوباني (عين العرب)،كرداغ (عفرين)) إضافة إلى كونها تساهم مع الأطراف السياسية السورية الأخرى إلى بناء المواطنة الحقة وتأسيس ثقافة جديدة بعيدة عن الإقصاء والتهميش واحترام حقوق الإنسان بمفهومها العام الحديث – بما فيها التمتع بشكل العيش وفي أي مكان وشكل ممارسته لحقوقه القومية والدينية والاجتماعية – وترجمت الحركة الكردية الأساسية نشاطها على ارض الواقع من خلال وصولها مع القوى العربية وغير العربية السورية إلى عدد من التفاهمات سميت ب"إعلان دمشق" وقبلها تتالت اللقاءات والحوارات سواء أكان في منتدى الأتاسي أو في منتدى رياض سيف إلى درجة أسست هذه القوى (العربية والكردية) كيانا موحدا ومنسجما إلى حد بعيد مع نفسها من خلال لجنة تنسيق العمل الوطني،ومن بعدها " إعلان دمشق".

ما بعد إعلان دمشق:

يجد الكرد نصيبه في مبادئ إعلان دمشق في بندين،بند يخص الأقليات القومية حيث يقول:"ضمان حرية الفرد والجماعات والأقليات القومية في التعبير عن نفسها والمحافظة على دورها وحقوقها الثقافية واللغوية و إحترام الدولة لتلك الحقوق ورعايتها في إطار الدستور وتحت سقف القانون ".وبند خاص بالقضية الكردية حيث يقول:" إيجاد حل ديمقراطي عادل للقضية الكردية في سوريا بما يضمن المساواة التامة للمواطنين الكورد السوريين مع بقية المواطنين من حيث حقوق الجنسية والثقافية وتعلم اللغة القومية وبقية الحقوق الدستورية والسياسية والإجتماعية والقانونية على قاعدة وحدة سوريا أرضا وشعبا، ولا بد من إعادة الجنسية وحقوق المواطنة للذين حرموا منها وتسوية هذا الملف كلياً.."(١). يمكن القول إن إعلان دمشق كان اللحظة الفاصلة أو مرحلة الفرز الطبيعي بين القوى الكردية نفسها وبينها وبين القوى العربية،إذ ما بعد الإعلان أصبحت الشكوك تراود الأطراف وأصبحت التهم الجاهزة تطلق جزافاً من هنا وهناك. ثلاثة أطراف كردية أعلنت فور صدور بيان إعلان دمشق واتهمته بأنه،أي مبادئ الإعلان، لم ينظر إلى القضية الكردية على إنها قضية أرض وشعب، وبنظر هذه الأطراف فإن الكثير من الفصائل العربية المنضوية تحت سقف "الإعلان" هي ليست ديمقراطية و أنها تمارس سياسة السلطة،لأن الموقعين على الإعلان اختزلوا حل القضية الكردية بتأمين حقوق المواطنة فقط، ورأى حزب يكيتي الكردي هذا الإعلان بأنه قد"حدد سقف حقوق الكرد بالمواطنة وهذا يعتبر إجحافاً بحق شعبنا الكردي الذي يعيش على أرضه التاريخية وله خصوصيته القومية، ونحن نعتبر أن القضية الكردية هي ليست قضية مواطنة فحسب،بل هي قضية أرض وشعب ويجب أن تحل مثل معظم قضايا الشعوب حسب القوانين الدولية "(٢)، وشاطر حزب يكيتي، حزب آزادي الكردي، واعتبر إعلان دمشق بأنه" لا تعكس وحقيقة الوضع الكردي كثاني قومية في البلاد،وبما يشكل قضية ارض وشعب،وإنما حاول(البيان المشترك)و(إعلان دمشق) إدخال الوضع الكردي برمته ضمن دائرة حق المواطنة، وعلى أنه قضية مساواة في الدستور بين المواطنين السوريين "(٣) وبنظر هذا الحزب(آزادي الكردي) فإن هذا "من شأنه نسف مبررات الحزب السياسي الكردي" برأي، فإن هذا الحزب، قد وقع في تناقض مع مفهوم الحزب السياسي،كونه، يعتبر إنشاء الأحزاب السياسية يكون فقط لتأسيس دول قومية وتحقيق الحقوق القومية ويبدو إن هذا الحزب لا يستطيع الفهم أو الفصل بين ما هو وطني وبين ما هو قومي، فكيف لإعلان دمشق وتناوله للقضية الكردية أن ينسف مبررات الحزب السياسي الكردي.أما الطرف الثالث فرحب بالإعلان بوجهه العام لكنه رفض ما جاء في الإعلان بخصوص الوجود الكردي بقوله" نرفض ما جاء به بخصوص الوجود القومي الكردي، معتبرين بان هذا الوجود غير قابل للتفاوض،بينما الحق قابل

للتفاوض والتوافق، وإعلان دمشق تجاوز الوجود ولم يعترف به،ليتوقف عن بعض الحقوق المتوافقة مع رؤية غير ناضجة وغير ديمقراطية للمسألة القومية بما هي مسألة وطنية"(٤).بيد أن القوى الكردية المتمثلة في إعلان دمشق وهي قوى أساسية وتاريخية تملك تجربة سياسية وصاحبة فكر ناضج دافعت بقوة عن إعلان دمشق واعتبرته مكسبا وطنيا مهما، وهو أتى نتيجة إدراك هذه القوى السورية الوطنية طبيعة المرحلة الحساسة للبلد سوريا وان الإفراط بمثل هذا المكسب أو الابتعاد عنه من شأنه خذلان القضية الديمقراطية كما لا ينسجم هذا التوجه(رفض الحالة التلاحمية) مع الفكر السياسي الجديد المبني على الحوار ومحاكمة العقل بدلا من لغة المهاترات والتشكيك بنوايا الناس والقوى الديمقراطية، كون المهاترات لم تجلب للسوريين أي مكسب وهي أخذت رقما قياسيا على المشهد السياسي السوري، هذا على المستوى السوري العام، أما على المستوى الكردي،فيقول إسماعيل عمر(٥) وهو يرد على الطرف الكردي غير المنضوي في الإعلان:"الإعلان يعتبر بمثابة عنوان لمرحلة اسمها.العمل الديمقراطي السلمي، وان مضمون الوثيقة الصادرة عنه عبارة عن مجموعة مبادئ عامة،يمكن الانطلاق منها إلى التفاصيل والبرامج، ولذلك فإن الهدف من الصيغة المتعلقة بالقضية الكردية هو مجرد الاعتراف بوجود هذه القضية باعتبارها قضية الشعب الكردي والإقرار بضرورة حلها ديمقراطياً وبشكل عادل...(والصيغة) فإنها جاءت صيغة توافقية أرادت منها القوى غير الكردية أن تكون ضمانة للوحدة الوطنية،أما الجانب الكردي فقد أكد على عبارة (بما يضمن) بدلاً من (بما يتحدد) لكي يؤكد بأن تلك الحقوق لا تعني جميع مستلزمات الحل الديمقراطي للقضية الكردية،بل جزءاً منها".

نقاط الخلاف:

ثمة نقاط ملتبسة وغير واضحة بين الأحزاب الكردية وربما ليس بوسع أي طرف سماع طرف آخر عما يقلقه من بنود ومبادئ إعلان دمشق،فالأطراف الثلاثة فهمت فهما ملتبساً لمبادئ إعلان دمشق —الذي عرضناه أعلاه- ولم تستطع هذه الأطراف قراءة أهمية الإعلان إلا من الزاوية الكردية،لذا فهمت هذه الأطراف بأن مبادئ إعلان دمشق اعتبر الكرد من الأقليات القومية وان البيان تجاوز الوجود الكردي و أنكر بان للكرد خصوصيتهم القومية ويعيشون على أرضهم التاريخية، ويشكلون القومية الثانية في البلاد.هذا الفهم الخاطئ-بتصوري- أحدث شرخاً وتمايزا بين القوى الكردية،لكنه غير عميق فهو قابل للحل، وإصرار هذه الأطراف على هذا الفهم خلق للكرد وضعا مختلفا عن السابق حيث وجدت القوى الكردية نفسها أمام اتجاهين، اتجاه يوازن بين الوطني والقومي ويرى بان ثمة علاقة جدلية بينهما، واتجاه يتمسك بخيوط الوهم على أساس إن إعلان دمشق نهاية التاريخ وان الحقوق القومية للكرد أصبحت في خانة المصادرة ولهذا السبب ابتعدت شيئاً فشيئاً عن مقصد وجودها وعن حراك المعارضة السورية ومطلبها في تحقيق الديمقراطية ودولة القانون.

الحل وفك العقدة بين الكورد:

سؤال يتبادر إلى الذهن،أين يكمن الحل؟ في الحقيقة ثمة نقاط عديدة تشترك بها كل القوى السورية (الكردية والعربية والآشورية) مثل مستقبل سورية وضرورة حدوث تغييرات وإصلاحات ومكافحة الفساد وإلغاء القوانين الاستثنائية وصدور قوانين عصرية للأحزاب وفتح مجال لبناء دولة المؤسسات والعمل جديا نحو سياسة فصل السلطات،باختصار تريد وتجتمع كل القوى على تحويل البلد من دولة أمنية الى دولة قانون وصون حقوق الأفراد والمجتمع.هذه النقاط كلها محل إجماع لدى كل القوى أما ما تفترق فيه القوى السورية فهو وضع الكورد ومستقبلهم، ونتيجة النقاشات التي تدور بين الفصائل الكردية، تدفع بعض القوى إلى الابتعاد عن الديمقراطية وعن مفاهيم المجتمع المدني وتضع نفسها في الصورة على أنها متطرفة وغير مهتمة بالتلاحمية والتعايش المشترك،في الحقيقة تلك الأطراف ليست كذلك، لكن عيب هذه القوى التي تعمل خارج العمل الجماعي هو عدم قدرتها على استيعاب المرحلة والاهتمام بأولويات النضال وكيفية رسم المستقبل. نستطيع القول إن القوى الكردية استطاعت أن تحل جزءاً من عقدها من خلال وصولها إلى عدد من النقاط في إطار مشروع قابل للنقاش بين القوى الكردية وسمي هذا المشروع ب"رؤية مشتركة للحل الديمقراطي للقضية الكردية في سوريا " والذي نص في مجاله السياسي:" * الإقرار الدستوري بالوجود القومي الكردي كثاني قومية في البلاد،وتأمين ما يترتب على ذلك من حقوق (سياسية وثقافية واجتماعية)،وحل القضية الكردية حلاً ديمقراطياً عادلاً على قاعدة وحدة الوطن.* إشراك الكرد وتمثيلهم في المؤسسات الدستورية المركزية والمحلية تبعاً لواقعهم السكاني* إعادة النظر في التقسيمات الإدارية في المناطق الكردية،وتطوير الإدارة المحلية فيها بما يتلاءم مع خصوصيتها القومية.

إحداث وزارة خاصة لها مديرياتها في المحافظات المعنية تهتم بشؤون القوميات والأقليات القومية"(٦)

في الحقيقة يمكن حصر الخلافات بين الكرد في نقطتين، والنقطتان في طريقهما إلى الحل لأنه بالأساس الخلافات ليست بين قوى تؤمن بالتغيير وقوى لا تؤمن بالتغير بل بين وجهين لعملة واحدة:

النقطة الأولى: كل القوى الكردية أيدت إعلان دمشق وأيدت العمل الجماعي المشترك بوجه عام، إنما خلاف الأحزاب الكردية (وكما تحدثنا بالتفصيل في أعلاه) على ما جاء في إعلان دمشق حول القضية الكردية، بررت هذه الأحزاب بأن ما جاء في الإعلان كان نتيجة الحامل الإيديولوجي لبعض الجهات العربية المنضوية في الإعلان والذي من خلاله يريد هذا البعض أن يعصب عينيه عن الحالة الكردية دون أن يبدي أي استعداد لتفهم المطالب والأهداف الكردية من الحراك السياسي،لكن هذا الموقف أيضا أفاقه مفتوحة أمام الحل لأن المشروع الذي قدماه الإطاران الكرديان سيقطع الطريق أمام كل محاولات الشرذمة وسوف لن تكون هناك حجة قوية لدى هذه الأحزاب في الشارع

الكردي خصوصا إذا حاولت قوى الإعلان (العربية والكردية) تبني هذا المشروع الكردي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا المشروع مطروح للنقاش وقابل للتطوير بما ينسجم مع الأفكار العصرية المتزنة والأهم من كل ذلك اذا كانت هناك الرغبة الجدية لدى الكورد للوصول إلى صيغة تناسب واقعهم ولا تعكر الأجواء أمام حلفائهم من العرب والمكونات السورية الأخرى،سوف تصل القوى الكردية إلى صيغة غير معكرة الأجواء لأن سقف المطالب الكردية هو تأمين الحقوق القومية ضمن إطار وحدة البلاد وتحقيق الديمقراطية لتكون تمهيدا لخلق مجتمع مدني في سوريا حيث الأخير لا يتحقق دون خلق مناخ ديمقراطي فهو يتواجد بوجود الديمقراطية ويحافظ على شروطها فيما بعد.

النقطة الثانية: مسألة الديمقراطية ودور الأحزاب في بنائها وكيفية تحقيقها على ان الديمقراطية تنتعش في ظل نقاش هادئ ومتوازن ومسؤل بين القوى كافة وبين القوى السياسية والدولة ومنظمات المجتمع المدني وهذه المسألة ضرورية لخلق المجتمع المدني لأن المنظمات الديمقراطية تلعب دور الوسيط بين الدولة والمجتمع عموماً (حسب الآن تورين)، هنا أيضا لا نستبعد التفاؤل لكن سيستغرق وقتا طويلاً وذلك بسبب الذهنية الكردية والوعي الكردي الراهن،إنما هذا الوقت لا يؤثر بشكل من الأشكال في الحراك الديمقراطي والمدني في سوريا.بدون شك إن عنوان المرحلة الكردية هو نقاش بيزنطي ومسألة الوصول إلى الاستقرار تحتاج وقتا ومساحة من الحوار لأن ثمة عقبات تقف عائقاً أمام إنضاج الحوار وتطويره بين الكرد من جهة وبينهم وبين القوى العربية من جهة أخرى.

الإشكاليات وعوائق الحوار الداخلي:

في الحقيقة أن الكرد، وكل الكرد بدون استثناء، هم أول مكون سوري رحب بفكرة المجتمع المدني في الأيام الأولى من طرحها من قبل بعض المثقفين والسياسيين العرب في حين النسبة الكبيرة من الشارع العربي كانت ممتعضة من طرح هذه الفكرة وتفريغها من أهميتها، وبمساعدة أتباع السلطة (المثقفين الحزبيين، الصحف والتلفزيون) نظر هذا الشارع إلى فكرة المجتمع المدني على أنها من صنع الأمريكان والمتآمرين، بمعنى إن أدوات السلطة استطاعت أن تعمل في الوسط العربي لكنها لم تستطع أن تسيء إلى هذه الفكرة في الشارع الكردي، فكانوا من الداعين لإحياء المجتمع المدني ودخلت هذه المفردة في خطابات وأدبيات الأحزاب الكردية كلها.ومرد ذلك يعود إلى سببين:الأول: إن — وهذا يعرفه المتابع للشأن الكردي في سورية - القوى الكردية منذ تأسيسها كان نضالها ينسجم مع مفهوم المجتمع المدني، فهي كانت تعتبر نفسها جزءاً من مؤسسات المجتمع المدني في سورية منذ أواسط القرن الماضي (إذا أراد بعض علماء الاجتماع السياسي تأرخة المجتمع المدني في سوريا)، وأصرت هذه القوى على النضال من أجل الديمقراطية في البلاد وبناء علاقات صحيحة بين المجتمعين الكردي والعربي والأقليات القومية الأخرى المتعايشة مع الكرد. ووقفت هذه القوى ضد محاولات شق صفوف المجتمع

في مناطق وجودهم. طبعاً هذا الفعل الكردي الايجابي مستند إلى موروث سياسي وكفاحي منذ فترة مقاومة " الانتداب" في الأراضي السورية.

والثاني: أراد الكرد دائماً، وفي كل مراحل حياتهم السياسية، ان يكونوا جزءاً طبيعياً وقانونياً من النسيج السياسي و الاجتماعي والاقتصادي السوري،من خلال العمل على إعادة مذاق التلاحم والدور الذي كانوا يتمتعون به وفقدوه على حين غرة نتيجة الظروف الاستثنائية التي حكمت المجتمع السوري بعد السبعينيات من القرن المنصرم. هذا المذاق التلاحمي أصبح هاجساً كردياً ومطلباً ملحاً فناضلوا طيلة وجودهم كقوى سياسية على الأرض، على أن تكون جزءاً من الحياة السياسية السورية،فمثلاً وهذا دليل على ان القوى الكردية لم تفكر يوما بان تكون قوى تفكر من خارج الملعب السوري،عند ظهور "الجبهة الوطنية التقدمية في بداية السبعينيات طالبت القوى الكردية بأن تنضم إلى «الجبهة الوطنية التقدمية» ومازال بعض الفصائل تحلم ببلوغ هذا الهدف، على رغم دخولها «إعلان دمشق» وخسرت على المستوى الذاتي الكردي لأنه في المرحلة الأولى وبعد ازدياد التنظيمات الكردية عددياً على الساحة الكردية، ضغط الشارع على الساسة الكرد ليعملوا لأنفسهم اطاراً أو جبهة لتنظيم وتوحيد الخطاب والنشاط الكردي،فمبرر هؤلاء السياسيين إن مقولة الجبهة(بما معناه) هي مصدرها آتٍ من الصمود والتصدي فنحن لسنا في هذا الموضع وتأسيس جبهة خارج عن إرادة السلطة يعني إننا سنعمل في مواجهة الجبهة وحيث جبهة السلطة ليست للبعث إنما هناك شيوعيون وناصريون وفصائل أخرى وكلهم أصدقاء لنا وبرروا أيضا إن الوضع السياسي السوري الإقليمي لا يتحمل أن تكون هناك جبهة معارضة لأن "العدو "سيستغل هذا الوضع وسنخسر الوطن، في حين أصرت تنظيمات هذا الإطار على إقصاء القوى السياسية الكردية وتهميشها. بل إن بعض هذه التنظيمات الرسمية كانت تعتبر مسألة وجود الكرد في الجبهة المذكورة بمثابة تعامل مع الشيطان.فما كان أمام القوى الكردية أي خيار إلا النضال ضد ما اعتبرته نزعة عنصرية في صميم القوى السياسية السلطوية، لذا اتفقت مع بعض القوى العربية على حصر نضالها في عدد من المفاهيم والمبادئ عرف بـ «إعلان دمشق». هذا الإعلان الذي رحب به غالبية المثقفين «العضويين» (والمقصود بالمثقف العضوي هنا هو ما عناه غرامشي)، وغالبية المنظمات الحقوقية وأنصار المجتمع المدني وطلاب الإصلاح والتغيير انتقدته(للأسف) بعض التيارات الكردية التي وجدت على الأرض للتو، أي بعد أحداث القامشلي واغتيال الشيخ معشوق الخزنوي، وبعد أن طغت ثقافة الشعبوية والشعاراتية في أوساط الكرد، والتي كان سببها معروفاً، وهو الأمية السياسية والقراءة الخاطئة للمشهد السياسي المحلي والإقليمي والعالمي. وهو الأمر الذي أبعد هذا الخط من الحركة الكردية ومن المشهد السياسي السوري وعن الحراك المدني، فبقي هذا الخط يغني على ليلاه في إطار محلي كردي ضيق، وسانده بعض الكورد في المهجر الأوروبي، الذين لم يدرسوا في جامعاتها أو استفادوا

من خبراتها السياسية ومن مفاهيم المجتمع المدني لديها، ولم يحتكوا مع مثقفيها، وإنما ذهبوا بحثاً عن لقمة العيش أو تحسين حياتهم المعيشية. وكان غالبيتهم يعملون في المطاعم وفي محطات المحروقات، وكان الخاسر الوحيد بالنتيجة هو الحراك السياسي في بلدنا سورية.

ذروة الإشكالية والوصول إلى الحل:

في اعتقادنا إن أحد أسباب إبتعاد بعض القوى السياسية الكردية عن الحراك السوري العام على رغم أنها جزء منه هو قصر النظر السياسي، فنرى إن هذه القوى تزايد على القوى الكردية الأساسية على مستوى المفردات والشعارات، مثل مفهوم الشعب والقومية، والقومية الثانية في البلاد، وحق تقرير المصير للشعوب، وهل الكرد شعب قائم على أرضه التاريخية أم لا؟ مع أن كل الكورد مقتنعون بأنهم شعب مقيمون على أرض آبائهم وأجدادهم، والفارق الوحيد بين هذه القوى هو أن القوى الرئيسية التي تنظر إليها القوى المستجدة والحماسية والانفعالية على أنها تعمل من تحت عباءة النظام، لا تكرر هذه المفردات على أساس أنها حقيقة قائمة وربما تكرارها يسيء إلى الحركة أكثر مما يفيدها ويخلق إحراجا لبقية القوى الحليفة. فهذه القوى لا تحبذ اللعب على عقول الناس الذين تحيرهم كيفية تأمين المأكل والملبس وتعليم الأولاد، على خلاف القوى الطارئة على الساحة، والتي تريد ابتلاع الساحة ومصادرة إرادة الناس وضياعهم في دوامة الأزمة السياسية.

هذه القوى السياسية التي تؤمن بخط "الهجوم عبر المواجهة "(بحسب انطونيو غرامشي) تبدو وكأنها تفتقر إلى الثقافة السياسية، والى قراءة تجارب النضال السلمي للشعوب، وهي مصرة على البقاء أسيرة لثقافة اليسار الطفولي. وفي المحصلة، فان هذه النزعة نوع من البحث عن السلطة، تحت إغراء سببه القراءة الخاطئة للتطورات السياسية في المنطقة والعالم.

بعض الأحزاب الكردية التي لا تمتلك أفقاً سياسياً (هنا يشبه وضع الأحزاب الكردية وضع التنظيمات في تونس في الستينيات والسبعينات من القرن المنصرم)، تتصور أن المسافة باتت قريبة من تشكيل الدولة القومية، وأصبح بعضهم يطرح مقولة «فيدرالية كردية» في سورية، كما في بعض أدبيات التنظيمات غير المنضوية تحت «إعلان دمشق». مع إن القوى الكردية كانت حريصة على عدم طرح شعارات تكون سبباً في ابتعاد القوى السياسية السورية عن بعضها،أضف إلى ذلك إن القوى الكردية الأساسية وصاحبة التجربة السياسية مع القوى العربية والموجودة على الأرض والتي تنشط في كل مناطق سورية وتشارك في اجتماعاتها، لم تتحدث يوماً عن الشعارات غير القابلة للتنفيذ، وأصرت على إن تسمي «الشعب الكردي في سورية»، وكانت الأحزاب الكردية تحرص على عدم تسمية نفسها باعتبارها حزب (س) الكردستاني، بل كانت تقول: حزب (س) الديمقراطي الكردي في سورية.

في الحقيقة إن عدم الانتباه للمفردات الخطابية والسياسية، وعدم قراءة الزمان والمكان، أوقع بعض القوى الكردية في سورية في تناقض مع الحراك السياسي الكردي، وبالتالي بات هذا الحراك لا يخدم المجتمع المدني.

ونعتقد إن تخبط بعض القوى الكردية وابتعادها من الناحية الفعلية عن حراك المجتمع المدني سببه يتعلق بالبنية القانونية للسلطة، ويتعلق بالوضع الكردي وحاله المأزوم أصلاً، بمعنى آخر إن أسباب تناقض ممارسة بعض القوى الكردية مع حركة المجتمع المدني يعود إلى أن الدستور لم يأخذ على عاتقه أن يكون مرجعا قانونيا وسياسيا للمجتمع المدني عمليا. فتعدد الأحزاب و الطروحات والصراعات الحزبية التناحرية احيانا، وعدم التزام بعض القوى الجديدة بالرؤية الموحدة، وعدم معرفة دور الأحزاب في بناء الديمقراطية والمجتمع المدني، إضافة إلى عدم وجود رؤية ناضجة وشفافة بشأن مستقبل الكورد وضرورة التلاحم مع القوى العربية لتكون لبنة وأساس بناء عقد اجتماعي بين الكورد والعرب.

هذان السببان يحولان دون تكيف واندماج المجتمع الكردي السياسي مع نظيره العربي، مع أن برامج كل الأحزاب السياسية ولغة تخاطبها لا تفتقر إلى مفاهيم المجتمع المدني والديمقراطية وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة وحرية الرأي والتعبير وفصل السلطات وبناء دولة المؤسسات والبحث عن الحكم الرشيد.

خطاب القوى الكردية:

ومجمله نظري، ينسجم إلى حد بعيد مع مفاهيم المجتمع المدني، وهذا سيسهل ويحلحل الوضع وسيكون مساهما ومساعدا للوصول إلى صيغة جامعة بحيث أن الكل سيرى صورته في هذه اللوحة، إلا انه يبقى من دون معنى عندما يغيب عن التطبيق. بقي القول ان لدى الكرد ثمة ماكينة تعمل على مدار الأيام لخلق رؤية موحدة لكي تتوازن طروحاتهم النظرية مع العملية، وهذا معقول خصوصا إذا كرسوا وقتهم لقراءة وإجراء حوار جدي حول مشروع الرؤية المشتركة الكردية ؟

الخلاصة:

يمكن القول إن القوى الكردية، خصوصا القوى المنضوية تحت لواء إعلان دمشق وساهمت فيه على إنها أساس الإعلان و مسؤولة عنه خلقت وضعا متطورا على الساحة السياسية الكردية وبدأ الكرد يتلمس بعض من فضائل هذا التطور:

١- وجود الكرد في إعلان دمشق وعملهم المسؤول جنبا إلى جنب وحد الصف السوري المعارض ووضع المعارضة في خانة أخرى أصبح ينظر إلى المعارضة السورية بمنظار آخر ففي حين كان ينظر إلى المعارضة السورية على إنها معارضة هشة ومشتتة وممزقة وحمقاء في بعض الأحيان أصبح ينظر إليها على إنها كتلة متماسكة وناضجة وعقلانية غير متهورة تفضل مصالح الوطن العامة على المصلحة الحزبية الضيقة الخاصة وانكشف للرأي العام على إنها ليست أنانية تلهث وراء السلطة والمال خصوصا في إصرارها على التغيير الديمقراطي السلمي التدرجي غير تابعة لأي طرف دولي خارجي وتعمل بموجب "ريمونت كونترول" من الخارج، فمصدر قوتها وعي الشارع واستحقاق المرحلة السورية ومدى اهتمامها بمفاهيم وقوة المجتمع المدني والتي سوريا لها تجربة غنية في هذا المجال.

٢- وجود الكرد في الإعلان عكس الآية لدى البعض من الأطراف السورية المتحاملة إزاء الكرد حيث بوجود الكرد في إعلان دمشق، برهنوا على أن كل التهم الموجهة إليهم كانت باطلة وان اتهام الكرد على أنهم

أنانيون أو يريدون تمزيق البلاد وإلصاقها أجزائها من شمالها بدولة أجنبية باطلة ولا معنى لها، وكما اثبتوا انهم يعون طبيعة المرحلة والخطورة التي تمر بها البلاد هذا من جهة ومن جهة أخرى ينسف التهمة التي لصقت بهم على أنهم انعزاليون ومتعصبون وإنهم يعملون لحسابات الأطراف الخارجية.

٣- وبفضل وجودهم في إطار الإعلان للمرة الأولى وجدوا مدافعا عربيا سوريا(رياض سيف) عن القضية الكردية بجدية ولولا هذا الوجود لما كنا رأينا أيضاً بيانات صادرة عن القوى السورية وموقعة من القوى العربية والشخصيات العربية تطالب بإلغاء الإحصاء الاستثنائي وإطلاق سراح السجناء السياسيين الكرد في سجون البلاد.

٤- أهم ما كشفه الإعلان جلياً هو إظهار الكورد على انهم اتجاهان سياسيان، اتجاه يعمل بصمت ويرفض سياسة الشعارات والصبيانية ويدعو إلى التلاحم المتقدم الذي يحمي الخصوصيات الاجتماعية، وهو اتجاه أصحاب المصلحة في التعاطي مع المسائل في سورية بروح وطنية جامعة لأنه لا يرى بتاتا إن يوماً من الأيام ستحل القضية الكردية على طاولة مكانها ليس في دمشق، وهو تيار تقدمي ووطني وله تجربة سياسية طويلة. أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه يحمي نفسه من خلال استغلاله للتناقضات الحزبية الكردية ويستغل العواطف وحماسة الكورد البريئة المصنوعة من طين الريف، وهو اتجاه يريد ان يصبح الكورد جسراً ليعبروا عليه لتحقيق مصالحهم الحزبية الضيقة. ومن سوء حظ هذا الاتجاه إن الشارع الكردي بدأ يعي ويدرك مصالحه وهو غير مهيأ لا للتهور ولا إن يكرر أخطاء الماضي.

٥- "إعلان دمشق" يشكل بداية حسنة لخروج الكورد من إطار مدنهم (القامشلي،كوباني،عفرين) وأرضية خصبة لاندماجهم مع المشهد السياسي والديمقراطي السوري، لأن استحقاقات المرحلة الكردية تفرض أن يخرج الكورد من عزلتهم السياسية ومن انطوائيتهم السلبية والمؤذية.

الهوامش والمصادر:

١- بنود إعلان دمشق الصادر في ١٦-١٠-٢٠٠٥

٢- تصريح صادر عن اللجنة السياسية لحزب يكيتي الكردي في سوريا في ١٦-تشرين الأول-٢٠٠٥

٣- توضيح من حزب آزادي الكردي في سوريا حول ما جاء في إعلان دمشق في ١٨-١٠-٢٠٠٥

٤- بيان صادر من مكتب العلاقات العامة لتيار المستقبل الكردي في ١٨-١٠-٢٠٠٥

٥- إسماعيل عمر رئيس حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا-يكيتي- في حوار مع موقع عفرين في الشهر الثالث من عام ٢٠٠٦

٦- من الرؤية المشتركة الصادرة في ٢٠-٤-٢٠٠٦ من قبل التحالف الديمقراطي والجبهة الديمقراطية الكرديين في سوريا.

٧- أجوبة سكرتير حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا-يكيتي- محي الدين شيخ آلي في حوار أجراه موقع آفستا معه في حزيران ٢٠٠٦.

* ملاحظة: هذا الفصل الثاني من الورقة التي قدمت إلى مؤتمر انعقد في مدينة توليدو الأسبانية في ١٠-١٣ أيار الماضي بناءً على دعوة من المركز الدولي للسلام - توليدو- أسبانيا،و نص الورقة المتعلقة بالشأن الكردي وعلاقته بالمجتمع المدني في سوريا الذي قرا في المؤتمر بغياب صاحب الورقة الكاتب والصحافي فاروق حجي مصطفى الذي تم حرمانه من حضور المؤتمر المذكور بفعل قرار منع المغادرة العائد للسلطات الأمنية العليا في سوريا على خلفية آرائه وكتاباته في صحف لبنانية وخليجية واجراء حوارات مع عدد من قيادي الحركة الكردية في كردستان.

الفيدرالية.. خير لابد منه



نزار حيدر- واشنطن

أكثر من عشر مرات، ورد التأكيد على وحدة العراق في الدستور.

كما أكدت كل القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن، بشأن العراق، على وحدة هذا البلد.

فاذا جمعنا الارادتين العراقية والدولية الى بعض، يتضح لنا جليا أن وحدة العراق أمر مفروغ منه، لا يجازف أحد بتهديدها، ما يعني أن حجة الذين يعارضون الفيدرالية في العراق الجديد، من كونهم حريصون على وحدة البلاد وأنهم يخافون على العراق من خطر التقسيم والتجزئة، انها حجة داحضة، لا تستند الى أي مبرر، وانها مجرد أباطيل يتسترون وراءها ويخفون خلفها أجندات طائفية وعنصرية معروفة لكل ذي عين بصيرة، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ان من يعارض الفيدرالية في العراق الجديد، والتي تعني النظام اللامركزي، يخفي وراء كل هذا التهويل من خطر التجزئة والتقسيم، مشروعا واحدا لا غير، انه مشروع العودة بالعراق الى سابق عهده، تحكمه الأقلية بنظام سياسي مركزي حديدي، يهمش المواطن، ويقضي على كل محاولات المشاركة في الحياة السياسية العامة، ويعيد العراق في ظله الى ما يشبه الصندوق الحديدي، تحكمه دولة

المنظمة السرية، الخارج منه مولود، والداخل اليه مفقود، كما كان حاله خلال النيف والثلاثين عاما المنصرمة.

كنت أتمنى أن يتسلح هؤلاء بشجاعة أكبر تؤهلهم وتمكنهم من الافصاح عن حقيقة ما يدور في خلدهم من أجندات سياسية، تضمر للعراق وشعبه الشر، والا متى كان هؤلاء حريصين على وحدة العراق أكثر من غالبية المجتمع العراقي؟.

ان أخطر الأشرار يمارسون جرائمهم تحت مسميات مقدسة، اذ لا يوجد أحد في هذا العالم يضمر شرا ويفصح عنه، انما يحاول دائما التستر عليه بشعارات براقة تكسب ود الناس وعواطف الرأي العام لصالحه، وهذا ما يفعله اليوم على وجه التحديد، الذين يخالفون الفيدرالية في العراق الجديد ويحاولون عرقلة تمرير قانونها في مجلس النواب، انهم يرفعون لافتة وحدة العراق ليتستروا خلفها بأجنداتهم العنصرية والطائفية، وكأنهم أحرص على وحدة العراق من دون كل العراقيين.

ان عودة سريعة الى تاريخ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، يتضح لنا جليا بأن هؤلاء هم أول من دعا البريطانيين، ابان الاحتلال البريطاني للعراق مطلع القرن الماضي، الى فصل البصرة عن بلاد الرافدين لتأسيس امارة فيها يحكمونها هم دون سواهم من العراقيين، كما انهم لم يكونوا متحمسين كثيرا لضم ولاية الموصل الى الدولة العراقية حديثة التأسيس، والتي كانت تضم الى جانب محافظة الموصل الحالية، منطقة كردستان بكل محافظاتها، ولولا كفاح الأغلبية من الشعب العراقي(الشيعة) لتأسس العراق من منطقة الفرات الاوسط فقط، دون أن يشمل ولايتي الموصل والبصرة.

كانت محاولات أجدادهم تنصب على اقتطاع أي جزء من أرض العراق الحالي، ليقيموا عليها امارتهم، كما فعلت القبائل في منطقة الخليج، الا أن نضال الأغلبية من العراقيين حالت آنئذ دون تقطيع أوصال بلاد الرافدين، وحافظت على وحدة شعبه وترابه.

لقد اعتمد مشروع نضال الأغلبية في العراق، منذ البداية، على أساس وحدة العراق بحدوده الجغرافية الحالية، رافضا كل شكل من أشكال الابتزاز القائم على أساس انتزاع أي شبر من أرضه، أو التنازل عنه، وان كل شبر اقتطع من أرض العراق بعد ذلك، انما في ظل المشروع القومي العربي الذي قاده، منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة وحتى سقوط الصنم في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣، هؤلاء الذين يتباكون اليوم على وحدة العراق.

أين كان هؤلاء من وحدة العراق، عندما تنازل نظام صدام حسين عن سيادة العراق على جزء كبير من شط العرب الى ايران ابان عهد الشاه المخلوع؟ وأين كانوا عندما عاد وثبت تنازله هذا بعيد حرب تحرير الجارة الكويت من احتلاله الغاشم؟ واين كانوا عندما تنازل الطاغية عن سيادة العراق على أراضي شاسعة في الغرب والجنوب ووهبها الى الجيران؟ وأين كانوا عندما وقع في خيمة صفوان على تلك الوثيقة المذلة التي باع فيها النظام البائد الأرض والعرض للأجنبي؟ وأين كان المتباكون على وحدة العراق يوم أن قرر النظام البائد سحب كل

الدوائر الحكومية من محافظات كردستان، ليمهد بذلك الى انفصالها، لو كان في نية الكرد آنئذ الانفصال عن العراق؟.

لقد عد المتباكون، كل تلك القرارات وقتها، تعبيرا عن ثورية النظام وقوميته الأصيلة وشعوره العالي بالمسؤولية ازاء وحدة العراق، فغنوا لها وصفقوا، أليس كذلك؟.

كانوا لا يترددون في تأييد الطاغية بكل قراراته التي عرضت سيادة العراق لمخاطر جمة، أما اليوم فتراهم يبكون وينتحبون على حدود رسمها الاستعمار، وعلى علم اخترعه الطاغوت من دون أن يأخذ فيه رأي الشعب العراقي، ويذرفون دموع التماسيح على وحدة لم تهددها الأغلبية من الشعب العراقي في اي وقت من الأوقات.

بصراحة، انها محاولة بائسة ويائسة من الطائفيين والعنصريين للاستحواذ على العراق وخيراته مرة أخرى، ليعود العراق بستان لهم يتصرفون به كيف ومتى يشاؤون، يهبون منه لمن يشاؤون أنى يشاؤون، ولكن، عليهم أن يطمئنوا، فلقد ولى ذلك الزمن والى الأبد، فلم يعد العراق تملكه فئة معينة، ولم يعد يحكمه انقلابيون، ولم تعد خيراته تصرف على فئة دون أخرى، ولم يعد العراقيون فئتين، حاكمة الى الأبد، ومحكومة الى الأبد، ولم تعد الأغلبية مقموعة ومسحوقة بسبب انتمائها المذهبي، كما لم تعد الأقليات، خاصة أكبر الأقليات (الكرد) محرومة ومسحوقة بسبب انتماءاتها الاثنية، اذ بات العراقيون متساوون في الحقوق والواجبات، وفي التمتع بخيرات البلاد، في اطار شراكة حقيقية في السلطة، لا فضل لأحد منهم على الآخر، الا بالخبرة والنزاهة والكفاءة والانجازالوطني والحرص على خدمة البلاد والعباد.

ان قبول هؤلاء بالفيدرالية لكردستان ورفضهم لها في المناطق الاخرى من العراق، دليل صارخ على طائفية منطلقاتهم، وهذا يعني أنهم لا يرفضونها كمبدأ يهدد وحدة العراق مثلا أو ما أشبه، وانما يرفضونها لشريحة معينة دون أخرى، وأنا أجزم هنا، وأقول، لو كان النفط في المنطقة الغربية من العراق، لما تردد هؤلاء في اعلان الفيدرالية بل الانفصال عن العراق ومن جانب واحد، لحظة واحدة، ولكن ماذا عسانا أن نفعل وقد حبى الله تعالى جنوب العراق وشماله بخيرات وفيرة ميزهما عن أي أرض في الدنيا، بما فيها المنطقة الغربية من بلاد الرافدين؟.

يقولون بأنهم يقبلون الفيدرالية لكردستان لأنها أمر واقع لا مناص عنه، وهذا يعني بأنهم يقبلون بكل أمر واقع، بغض النظر عما اذا كان يدعم أو يهدد وحدة العراق، اذن، لتؤسس بقية محافظات العراق فيدرالياتها، وليظل هؤلاء يعارضون، لحين أن تتحول الى أمر واقع بعد نيف من السنين مثلا، وعندها سيقبل بها الجميع، لأنها ستكون، وقتها، أمرا واقعا.

أما انا، فلا أقبل بالفيدرالية لكردستان لأنها أمر واقع، وانما لأنني أعتبر الفيدرالية أفضل أنواع النظم السياسية والادارية لبلد كالعراق تتعدد فيه مكونات المجتمع العراقي لدرجة كبيرة.

لقد كنت من أوائل الذين أيدوا الفيدرالية لكردستان العراق يوم أن أقرها برلمان كردستان بداية التسعينيات من القرن الماضي.

وقتها لم تلق قبولا من أغلب القادة العراقيين، حتى من قبل الكثير من المتحمسين لها اليوم، ولقد انطلقت بتأييدي لها بعد أن درست كل المبررات التي ساقها قادة الكرد وزعماءهم والأكاديميين منهم، الى جانب دراستي لعدد كبير من النظم الفيدرالية في هذا العالم، وبعد أن اطمئننت بأن الفيدرالية مشروع وحدة وليس مشروع تقسيم أو تجزئة، وانها يمكن أن تكون حلا مناسبا لمشاكل العراق منذ التأسيس، بسبب الأنظمة المركزية الحديدية التي حكمت البلاد من العاصمة، مع الغاء كامل لارادة الأطراف، والغاء كل أنواع المشاركة الحقيقية والفعلية في القرار السياسي، وبعد أن شعرت بأن الفيدرالية يمكن أن تكون عاملا لاستقرار العراق ونهضته ونموه وازدهاره، وبعد أن اطمئننت بأنها ستساهم في تقسيم ثروات العراق على الجميع بشكل عادل وموزون، من دون احتكار أو استئثار، لذلك، قررت وقتها أن أدعم المشروع وأؤيده بكل أشكال التأييد.

ثم تطور المشروع في ذهني فبلورت نظرية فيدرالية المحافظات، والتي ما زلت اتبناها كنظام سياسي في العراق الجديد للمرحلة المنظورة، ولا أكشف سرا اذا قلت بأنني عملت المستحيل من أجل تثبيت النص الذي ورد في المادة (١١٥) من الدستور، والذي ينص على أنه (يحق لكل محافظة أو أكثر، تكوين اقليم بناءا على طلب بالاستفتاء عليه).

ولا أدري ان كنت سأطور رأيي خلال الفترة الزمنية القصيرة القادمة باتجاه تأييد مشروع فيدرالية الوسط والجنوب الذي يتبناه زعيم المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق السيد عبد العزيز الحكيم، الا أنني، لحد الآن، أتبنى نظرية فيدرالية المحافظات، من دون أن ألغي من ذهني نظرية فيدرالية الوسط والجنوب، اذ قد تستجد ظروف ومبررات تساهم في الاسراع في بلورة قناعات جديدة تصب لصالح الأخيرة، منها مثلا استمرار العنف والارهاب الذي يحصد أرواح العراقيين على الانتماء والهوية، واصرار الأقلية على رفض مشروع الفيدرالية والذي يستبطن بين ثناياه، محاولات خطيرة لاعادة العراق الى سابق عهده، ولذلك أعتقد بأن وحدة العراق اليوم مرهونة بتعقل الأقلية وقبولها الانصياع لارادة الأغلبية من العراقيين، وان أخشى ما أخشاه هو أن يتحول اصرار الأقلية على معاكسة ارادة الأغلبية، سببا مباشرا في دفع الأغلبية (الشيعة والكرد) الى تبني خيار الانفصال كأفضل وسيلة للتخلص من شبح عودة الماضي بكل مآسيه وآلامه، في ظل نظام شمولي مركزي حديدي تتحكم فيه الأقلية.

ان أمام العراقيين اليوم فرصة تاريخية كبيرة، قد لا تعوض، لاعادة بناء العراق الجديد على أسس ومتبنيات سياسية جديدة، تلغي الثوابت القديمة التي تأسس عليها العراق الحديث، وذلك من خلال تمرير قانون الفيدرالية في البرلمان، لسنه، الأمر الذي يحتاج الى تحالف قوي بينهم جميعا، حتى ينجحوا في التصدي لكل العراقيل التي تضع العصي في طريق

القانون، والتي لا تريد للعراقيين أن ينعموا بخير النظام الفيدرالي.

ان الفيدرالية خير لابد للعراقيين أن ينعموا به، ولا يحق لأحد أن يحرمهم منه، بحجج واعذار واهية، كما لا يحق لأقلية أن تحرم الأغلبية من التمتع بحقوقها الدستورية، وان العراقيين جميعا حريصون على وحدة العراق أكثر من أي واحد آخر، ففي ظل العولمة والاندماج لا يعقل أن يفكر أي واحد من العراقيين بالانفصال، لأنهم يعرفون جيدا بأن العالم اليوم هو عالم الدول الكبيرة أو المتحدة، بل انه عالم اندماج حتى الشركات والمؤسسات، وكلنا يقرأ ويسمع يوميا عن أخبار اندماج المؤسسات بعضها مع البعض الأخر لتقوى على الصمود في وجه تحديات العولمة، فكيف يعقل أن تفكر شريحة من العراقيين بالانفصال عن العراق، في ظل العولمة ونظام القرية الصغيرة؟ وهي على يقين من أن الدولة الصغيرة ستضطر لأن تكون محمية لدولة عظمى أخرى اذا أرادت أن تعيش بسلام في هذا العالم، ولعل نموذج دول الخليج الصغيرة، التي لا ترى بالعين المجردة على الخارطة الا بالمجهر، خير دليل على ذلك.

وان أكبر دليل على حرص العراقيين على وحدة العراق وسعيهم لانصاف بعضهم البعض الآخر، هو تبنيهم للفيدرالية على أسس جديدة، تختلف عن أغلب أنواع الفيدراليات القائمة في العديد من دول العالم، فهم لم يتبنوا، مثلا، النموذج القائم في دولة الامارات العربية المتحدة، والذي يحصر تملك خيرات البلاد بالأرض التي تحتضنها، فمثلا ليس لامارة (الفجيرة) حق دستوري يذكر في بترول امارة (ابو ظبي) وهكذا، ولذلك نرى ونلمس البون الشاسع في مشاريع التنمية وكذلك في المستوى المعيشي لسكان كل امارة من الامارات السبع، لدرجة أن العالم، خاصة عالم المال والاقتصاد، لا يعرف من أسماء الامارات السبع التي تتشكل منها الدولة سوى امارتين أو ثلاث هي الأغنى من بين شقيقاتها الأخريات.

أما العراقيون فكانوا أكثر انصافا مع بعضهم، وأكثر حرصا على وحدة بلادهم، وأكثر التزاما برفاهية أنفسهم جميعا من دون تمييز عرقي أو جغرافي، فاعتبروا أن (النفط والغاز هو ملك كل الشعب العراقي في كل الأقاليم والمحافظات) كما نصت على ذلك المادة (١٠٨) من الدستور.

ولو لم تكن في مواد الدستور سوى هذه المادة، لكفى بها دليلا على حرص العراقيين على وحدة بلادهم وانصاف بعضهم البعض الآخر، فهي وحدها حجرا صلدا يلقم بها العراقيون فم كل من يتحجج بحرصه على وحدة العراق لعرقلة تبني قانون الفيدرالية، فان من يبيت الانفصال في مشروعه السياسي، لا يمكن أن يقبل بمثل هذا النص الدستوري الذي يوحد العراق جغرافيا وعند توزيع الثروات الطبيعية، وكلنا يعرف فان أكبر الخصام هو على النفط والغاز، ليس في العراق فقط وانما في كل العالم.

فالى من يعرقل تمرير القانون، أقول؛

اقرءوا الدستور جيدا، لتقدموا الشكر الجزيل والثناء الجميل للعراقيين الذين أكدوا التزامهم بوحدة العراق وبمبدأ المساواة فيما بينهم على كل

الأصعدة والمستويات، ابتداءا بالمواطنة وانتهاءا بالنفط والغاز، مرورا بكل الحقوق والواجبات التي نص عليها الدستور.

خاصة الأغلبية من العراقيين، وأقصد بهم الشيعة، انهم آخر من يفكر بالانفصال عن العراق، لأنهم الأغلبية، ومن المعروف فان كل أغلبية في العالم لها الحق في حكم البلاد ولذلك لا تفكر بالانفصال، انما الذي قد يفكر بذلك هي الأقليات في أي بلد، فهل يعقل أن تفكر الأغلبية بالانفصال وهي التي تطمح الى المشاركة في السلطة بعد عقود طويلة من الحرمان والاقصاء؟ بالتاكيد لا يعقل ذلك.

كذلك، فاذا كان في العراق من يفكر بالانفصال، لحقق ذلك منذ زمن، في ظل ظروف سياسية معقدة مرت على البلاد، فالكرد مثلا، مروا بظروف مؤاتية لصالح مشروع الانفصال اذا كانوا يفكرون بذلك، وكذلك الشيعة وهم الذين يمتلكون بمناطقهم الكثير الكثير من الخيرات، والعديد من المقومات التي تؤهلهم لاقامة أقوى دولة في المنطقة، الا أنه ليس أحد من العراقيين حدث نفسه بالانفصال لأن الجميع على يقين بأن قوتهم في وحدتهم، وأن تكاملهم في الحفاظ على وحدة العراق أرضا وشعبا.

وبصراحة أقول، فان مشروع ما يسمى بالمصالحة الوطنية اليوم على المحك، فاذا تعامل المعترضون بايجابية مع قانون الفيدرالية المقدم للبرلمان للتصويت عليه، فان ذلك دليل حرصهم على احترام ارادة الأغلبية التي اختارت ذلك، وبعكس ذلك، سيعني أنهم مستمرون في مساعيهم الرامية الى عرقلة تطلعات الأغلبية من العراقيين وآمالهم.

ان المصالحة ليست شعارا او مؤتمرا أو ندوة تعقد هنا أو هناك، انها ليست مواثيق تدون على الورق، يتنكر لها أصحابها حتى قبل أن يجف الحبر عليها، بل انها مواقف ايجابية من المصالح العليا للشعب العراقي، كما انها رضوخ وانصياع لارادة الأغلبية، وما قانون الفيدرالية الا محك لامتحان نوايا الجميع ازاء مصالح الشعب العراقي.

ان المصالحة بمعناها الحقيقي، التزام بالدستور ووفاء بالعهود، أولا وقبل أي شئ آخر.

كذلك، بصراحة اقول، ان الانفصال الاختياري أفضل بكثير من الاتحاد القهري، فما بالك بالاتحاد الاختياري الذي تبناه العراقيون جميعا ومن دون استثناء، من خلال التصويت على الدستور الذي أقر النظام الاتحادي الاختياري (الفيدرالي) للعراق؟ فلماذا اذن كل هذه العراقيل التي يضعها بعض أيتام النظام البائد، أو بعضا ممن فقد السلطة بسقوط الصنم، للحيلولة دون تطبيق الدستور والالتزام بارادة العراقيين التي صوتت بنعم كبيرة لصالحه؟.

ان كل تجارب الوحدة والانفصال في العالم، تثبت حقيقة مهمة جدا، ألا وهي أن الاتحاد او الانفصال اذا لم يكن اختياريا، فلن يدوم أبدا، وأمامنا تجارب يوغوسلافيا والاتحاد السوفياتي والمانيا وغيرها الكثير، ولذلك فان خير ما فعله العراقيون هو انهم اختاروا الاتحاد بملء ارادتهم ومن دون جبر أو اكراه أو فرض من قبل أية قوة.

ان أكبر خير سيجنيه العراقيون من النظام الفيدرالي هو تفويض السلطات الى الأطراف من المركز، فلم تعد السلطات المختلفة متمركزة في

العاصمة، بل ستوزع على الأطراف، وان نظام توزيع السلطات، هو من أهم شروط نجاح المؤسسات فضلا عن الأنظمة السياسية.

فلو تصفحنا وثائق الشركات والمؤسسات، لاكتشفنا بأن سبب نجاح أو فشل أية واحدة منها يكمن في تمركز أو توزيع السلطات، فالمؤسسة الناجحة هي التي تسعى دائما الى توزيع السلطات وتفويضها، أما الفاشلة فبالعكس، انها التي تسعى ادارتها الى تمركز السلطة بيد ثلة محددة، فتحتكر مصادر القرار وتستحوذ على أدواته ووسائله ما استطاعت الى ذلك سبيلا.

ان العراقيين يبغون من النظام الفيدرالي، ضمان المشاركة والمساواة في التمتع بخيرات البلاد، وانهاء سطوة المركز على الأطراف، وان كل ما دون ذلك من الأقاويل والتهم ليست الا باطلا في باطل.

ان الفيدرالية ستضع حدا لتكرار الأنظمة الديكتاتورية الاستبدادية، كما انها ستنهي عهد الأنظمة الحديدية البوليسية، الى جانب أنها ستنهي عهد السرقات المسلحة (الانقلابات العسكرية) التي ابتلي بها العراق منذ وقت مبكر.

أخيرا اقول؛

ان الفيدرالية للعراق الجديد هي الأخرى أمر مفروغ منه دستوريا، فقد تم تثبيتها في الدستور وفي القرار الدولي الصادر عن مجلس الأمن، واذا كان هناك من خلاف، فعلى التفاصيل وليس على أصل الموضوع، ولذلك فان من الأفضل للمعترضين أن يقبلوا بالمشروع عن طيب خاطر وبالتوافق مع الأغلبية، ليصطفوا مع ارادة العراقيين، فان ذلك خير لهم من القبول به مكرهين بالتصويت، اذ ليس أمامهم الكثير من الخيارات للتهديد بنسف القانون والحيلولة دون تمريره بالبرلمان، وعليهم ان يتذكروا بأن زمن التهديد والعنتريات، التي ما قتلت ذبابة، قد ولى مع نظام الطاغية، متمنين أن لا نسمع على السنتهم تهديدا أو وعيدا، اذ أن ذلك لا يرعب أحدا أبدا.

١١ ايلول ٢٠٠٦.

في العدد القادم

ملف حول القاص الراحل جليل القيسي

سيرة المناضل الكردي "أمين بروسك"

أحد المشاركين بثورة الشيخ سعيد بيران

د. محمد علي الصويركي

عمان- الأردن

مقدمة

فيما يلي لمحة موجزة من سيرة المناضل الكردي أمين بروسك الذي كان ضابطا في الجيش العثماني وخاض غمار الحرب العالمية الأولى دفاعا عن حياض دولته أمام دول الحلفاء، وضرب بشجاعته مثلا أعلى حتى لقب ب(بروسك) - أي الصاعقة باللغة الكردية - تقديرا لفرط شجاعته وبسالته في المعارك التي خاضها، وبعد هزيمة تركيا في الحرب الكونية الأولى التف حول مصطفى كمال (اتاتورك فيما بعد) وناضل معه في حرب التحرير ضد الحلفاء الذين احتلوا القسم الجنوبي من تركيا حتى تحررت تلك المنطقة من قبضتهم، وبعد أن استتبت الأمور أعلن مصطفى كمال إلغاء الخلافة الإسلامية وقيام دولة تركيا العلمانية بدلا منها. وتنكر لحقوق الكرد، فاضطر أمين بروسك إلى الالتحاق بصفوف الثورة التي أشعل نيرانها في ديار بكر الشيخ سعيد بيران ضد الدولة الجديدة، لكن هذه الثورة أخفقت في تحقيق أهدافها، وانتهت بإعدام قادتها في ساحات ديار بكر، و فر البعض إلى الدول المجاورة، وكان من بينهم (امين بروسك) الذي تنقل متخفيا ما بين إيران والعراق وسورية حتى استقر نهائيا في شرقي الأردن.

سيرة حياته :

ولد (أمين بروسك) في أواخر القرن التاسع عشر في (ارضوم) إحدى مدن كردستان الشمالية، وهو ينتمي إلى عشيرة (زركان) الكردية المعروفة في تلك الديار، وفي مسقط رأسه نشأ وترعرع وتلقى تعليمه في بيئة متدينة تعتنق الطريقة الصوفية النقشبندية، فكان جده (ملا يوسف النقشبندي) من أصحاب هذه الطريقة وله مدرسة دينية يعلم فيها علوم القران الكريم والحديث الشريف، وقد أثرت هذه البيئة الدينية على أفكاره وحياته فيما بعد.

بعد إكمال دراسته التحق بالكلية العسكرية في استنبول وبها اظهر نبوغا وتفوقا كبيرين على أقرانه من العرب والترك والكرد، وحصل على شهادتها بمرتبة الشرف الأولى، ليلتحق بعدها بصفوف الجيش العثماني برتبة ضابط، وخلال خدمته خاض مختلف حروب الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى على مختلف الجبهات بكل شجاعة وحقق انتصارات عديدة، وتقديرا لشجاعته في تلك المعارك منح ترقيات استثنائية، ولقب بالصاعقة (بروسك) حتى اصبح اللقب جُزءا من اسمه.

وفي أواخر العهد العثماني عين مديرا لمكتب استخبارات الشرق الأدنى في طهران.

المشاركة في حرب التحرير:

بعد هزيمة تركيا أمام الحلفاء عام ١٩١٨ واحتلالهم أجزاء عديدة منها،عمل الضابط مصطفى كمال (مؤسس تركيا الحديثة) على تجميع صفوف الأتراك والكرد معا لتحرير بلاده من المحلتين، فقام بالاطلاع على سير الضباط الذين حازوا على درجات الشرف والشجاعة من الترك والكرد واستقطبهم حوله، وكان من ضمنهم (أمين بروسك) الذي عمل في المكتب العسكري، ثم اصبح المرافق العسكري لمصطفى كمال.

استطاع مصطفى كمال من تجميع صفوف الشعب مستخدما العاطفة الدينية التي تجمع ما بين الشعبين الكردي والتركي، وواعدا الكرد بالحرية والاستقلال بعد تحقيق النصر، وكان يحلف لهم باغلظ الإيمان على القران الكريم بيده اليمنى وعلى صحيح البخاري بيده اليسرى، فوثق الكرد به والقوا بكامل ثقلهم إلى جانبه، وخاضوا معه معاركه ضد اليونانيين والإنجليز والفرنسيين، وشكلوا غالبية القطاعات من الجيش التركي أثناء معاركه ضد قوات الحلفاء، وقد أشاد قادة الأتراك بدور الكرد الكبير في تحرير تركيا أمثال مصطفى كمال، وعصمت اينونو، وفتحي بك، وحسين بك عوني الذي أشار في خطاب له في المجلس الوطني التركي الكبير"أن حق التكلم من فوق هذه المنصة هو للامتين التركية والكردية". كما قال وزير الدفاع التركي عند إلقاءه خطاباً على قبر الجندي المجهول: "اغلب الظن أن هذا الجندي هو كردي".

وخلاصة القول لقد شارك الكرد ومعهم أمين بروسك في حرب التحرير ضد الجيش اليوناني والذي عرف بالهجوم الكبير الذي أدى إلى سحق الجيش اليوناني وقتل منه نحو ١٢أ لف جندي.

ثورة الشيخ سعيد ١٩٢٥

بعد أن تمكن مصطفى كمال من تحرير بلاده، أعلن قيام دولة تركيا الحديثة ذات الاتجاه الغربي العلماني وقطع صلته بالإسلام وتراثه، وقام بإلغاء الخلافة الإسلامية. فكانت ردة الفعل قوية لدى الكرد نتيجة لهذا التحول الخطير، فأعلن الشيخ سعيد بيران في ٧ آذار ١٩٢٥ الثورة ضد مصطفى كمال، فتجمع حوله الكثير من المؤيدين الكرد، فقام (أمين بروسك) بأخذ إجازة وترك الجيش وانضم إلى صفوف الثورة، لكن هذه الثورة فشلت لأسباب كثيرة، فقام اتاتورك بسحقها بلا هوادة وعلق قادتها على أعواد المشانق في ساحات ديار بكر ومن ضمنهم

قائدها الشيخ سعيد، وأعلن اتاتورك جملة إجراءات لسحق تطلعات الشعب الكردي، فمنع التحدث باللغة الكردية، وانكر وجود الكرد وسماهم"أتراك الجبال"، ومنعهم من ارتداء زيهم الوطني، والتحدث بلغتهم، أو حتى إطلاق أسماء كردية على أولادهم. وهكذا قلب اتاتورك للكرد ظهر المجن وتنكر لوعوده السابقة بإعطائهم الحكم الذاتي كما تعهد في مدينة ازميت عام ١٩٢٢- أخيرا كشف عن هذه الوثيقة في مجلة تركية عام ١٩٨٨، والتي أكد فيها مصطفى كمال أن المجلس الوطني الكبير يتألف من الشعبين التركي والكردي، وانه يجب منح الحكم الذاتي للكرد في المناطق التي يشكلون فيها كثافة سكانية متميزة وقد هزت مأساة الكرد حينذاك زعيم الهند الكبير جواهر لآل نهرو فقال:"عمد الترك إلى سحق الكرد الذين سعوا بدورهم إلى نيل حريتهم، ومن الغريب أن تطلب الأمة المدافعة إلى قومية معتدية، ويقلب الكفاح من اجل الحرية إلى الكفاح من اجل التحكم بالآخرين".

اللجوء إلى إيران

استطاع (أمين بروسك) النجاة من حبل المشنقة، والهروب إلى إيران المجاورة، وهناك تقمص شخصية رجل موسيقي يعزف على آلة العود من خلال تعاونه مع صديق إيراني من الكرد الفيلية عرفه هناك يوم كان يعمل في طهران. وبعد مضي عام ونصف من إقامته هناك انكشف أمره لدى السلطات الإيرانية، فاستدعاه شاه إيران حينذاك (رضا بعلوي) واستفسر منه عن عدد الكرد؟ فأجابه على سؤاله: وذكر له أن هناك نحو مليون كردي يعيشون في إيران، ومن ضمنها أسرتك آل بهلوي (يقال انهم كرد سنة). وهنا أدرك الشاه خطورة كلامه، فأمره بالرحيل من البلاد على الفور، فتركها متوجها إلى الموصل في شمالي العراق، ومكث فيها قرابة العام والنصف أجرى خلالها العديد من الاتصالات مع الوطنيين الكرد في تركيا وحثهم على قتل الجواسيس والعملاء.

التخطيط لقتل مصطفى كمال

غادر (أمين بروسك) الموصل قاصدا دمشق عام ١٩٢٨ أو ١٩٢٩، واخذ يخطط لاغتيال مصطفى كمال، فأستأجر سيارة أجرة بقيمة (خمسين ليرة ذهب) حتى وصل إلى اسطنبول، وهناك أجرى بعض الاتصالات السرية مع الجنود الذين يعملون في حراسة اتاتورك وكان اغلبهم من الكرد الذين اختارهم سابقاً للعمل في حراسة مصطفى كمال يوم كان مرافقا عسكريا له، فقام المتعاونون معه بوضع قنبلة موقوتة في مقر(مصطفى كمال) لتنفجر الساعة الرابعة في موعد يكون موجودا فيه، لكن اتاتورك نجى من عملية الاغتيال بسبب عدم مجيئه في ذلك الوقت المحدد. فقامت السلطات التركية بأجراء تحقيق في الحادث أسفر عن معرفة من يقف خلفه وهو(أمين بروسك). وأعلنت عن جائزة قيمتها أربعمائة ليرة ذهب لمن يمسكه حيا أو ميتا.

استطاع (أمين بروسك) العودة من تركيا إلى دمشق سالماً، وفي إحدى تنقلاته في سورية استطاعت دورية فرنسية في منطقة الجولان من التعرف عليه، والقاء القبض عليه وتسليمه إلى السلطات التركية، وقدم هناك إلى المحاكمة التي حضرها حشد كبير

قدر بحوالي الفي شخص، واصدرت المحكمة عليه حكم الإعدام. وجرى إيداعه في سجن الأناضول الذي أمضى فيه قرابة الأربعة اشهر.لكن مدير السجن قام بتسهيل هروبه بحكم الصداقة الودية التي كانت قائمة بينهما، فتوجه (أمين بروسك) صوب إيران مرة ثانية، ثم لجأ إلى العراق، فسورية، حتى استقر به التطواف في الأردن.

اللجوء إلى الأردن

دخل (أمين بروسك) الأردن في حدود عام ١٩٣٦، فأقام أولا في مدينة اربد الواقعة شمالي الأردن، وتكنى بالشيخ احمد التركي، واخذ يلقي دروساً دينية في إحدى مساجدها القديمة، ونسج علاقات وصداقات متينة مع مجتمع اربد.

ثم انتقل إلى عمان، وهناك اخذ يعرف باسمه الحقيقي، وربما يرجع ذلك إلى وفاة مصطفى كمال اتاتورك، واطمئنانه إلى أن السلطات التركية لم تعد تلاحقه.

وفي أتون الحرب العالمية الثانية وقف الكثير من المثقفين العرب والمسلمين بجوار دول المحور(ألمانيا وايطاليا) نكاية ببريطانيا وفرنسا العدوتان التقليديتان للامة العربية والإسلامية آنذاك، وكان منهم (أمين بروسك) الذي أجرى اتصالات سياسية بهذا الشان. وكان يأمل من دول المحور إذا انتصرت إعادة الخلافة الإسلامية إلى سابق عهدها حسبما كانت تتزعم (ألمانيا) لهذا الرأي.

وقد شعرت السلطات البريطانية المستعمرة للأردن آنذاك بخطورة وجود العديد من المثقفين الوطنيين المؤيدين لدول المحور وكان يقف على رأسهم اللواء علي خلقي الشرايري فأودعتهم لدى سجن المحطة في عمان.

وقام اللورد (كارنتن) وهو ضابط استخبارات لشؤون الشرق الأوسط بطلب مقابلة (أمين بروسك) اللذان كانت تربطهما علاقات صداقة قديمة، وجرى بينهما الحوار التالي:

قال اللورد(كارنتن):أنا قادم لاخبرك بأمرين من حكومة بريطانيا التي تعرضهما عليك؟

الأول – التعاون مع بريطانيا ودول الحلفاء.

والثاني إلقاء القبض عليك وإيداعك السجن، فأيهما تفضل يا صديقي؟

فأجابه أمين بروسك: صحيح نحن أصدقاء، لكن مبادئنا مختلفة، أنني سأقف إلى جانب دول المحور لاعادة الخلافة الإسلامية إلى سابق عهدها.

لذا أمرت السلطات البريطانية بواسطة القائد (كلوب باشا) من إيداعه سجن المحطة في عمان كسجين سياسي، وخصص له غرفة خاصة، ومطبخ، وطعام خاص، وكانت له سيارة تخرجه إلى النزهة خارج السجن من حين إلى آخر. وقد تعرف وهو في هذا السجن على العديد من الشخصيات السياسية الأردنية، وأمضى فيه قرابة الخمس سنوات (١٩٤١-١٩٤٥).

بعد خروجه من السجن اخذ يتعلم اللغة العربية على يد الأستاذ حسن البرقاوي حتى أتقنها قراءة وكتابة. كما أن السيد علي الكردي –من كرد عمان قد اسكنه في غرفة خاصة في فندق يمتلكه اسمه (اوتيل الملك غازي)، وتكفل بنفقاته لمدة خمس سنوات تقديرا منه لهذا الضيف الكبير.

حوار يتحول إلى صداقة

اخذ أمين بروسك يكتب بعض المقالات في الصحف الأردنية، ومن بينها مقالا بعنوان:"عودوا إلى الشرق". فما كان من السلطات التركية الإ تقديم الاحتجاج لدى الحكومة الأردنية حول ما جاء فيه. فقام الأمير عبد الله بن الحسين - الملك فيما بعد- باستدعاء (أمين بروسك) إلى ديوانه، وعندما وصل أمين بروسك إلى الديوان مد يده لمصافحة الأمير، لكن الأمير اعرض عنه وقال له بلهجة فيها شيء من الغضب:"أنت يا أمين جالس في ديارنا، وعليك احترام حق الضيافة، وأنت بكتاباتك هذه تسيء إلى علاقاتنا مع تركيا؟ أو انك تخرج من هذه البلاد؟.

فأجابه أمين بروسك:"بعد أذن مولاي أنت تقول لي أن هذه البلاد ليست بلدي؟ أن هذه البلاد بلادي لأنها جزء من بلاد الإسلام الذي تمتد إليه تعاليمه السمحة، أما بموجب (معاهدة لوزان) فهي بلدكم، أما بخصوص تركيا التي اهاجمها كدولة صديقة لكم، فهناك فرق بيننا وبينكم؟ فأنتم حاربتموهم وهم مسلمون، ونحن حاربناهم وهم مرتدون. فقال الأمير:"هذا كردي مصيبة". فقال أمين بروسك:"اللهم اجعلني مصيبة على الكفار وليس على المسلمين".

بعد ذلك طلب الأمير عبد الله (مقالة) أمين بروسك واطلع عليها، وبعد أن أكملها ابتسم الأمير وانشرحت أساريره،ونهض من مجلسه وتقدم نحو أمين بروسك وقبله على جبهته، وقال له: "انك جريء ومخلص". فقال له أمين بروسك:"اللهم زدني جرأة وإخلاصا". ثم تصافحا بحرارة، ومنذ تلك الحادثة نشأت بينهما علاقات متينة، فصار أمين يدخل إلى ديوان الأمير في أي وقت يشاء. واخذ يلاعبه الشطرنج، وأحياناً كان الأمير يفضي إليه بأمور السياسة لا يعرفها أحد سواه.

تأييد ثورة مصدق

قام مصدق بانقلابه المعروف على الشاه في إيران في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، وعمل على تأميم النفط الإيراني، فبعث إليه أمين بروسك برقية تأييد جاء فيها شعراً:

لقفت عصاك عصيهم فتصايحوا

لا سحر بعد اليوم أنت مصدق

بعد استقراره نهائياً في مدينة عمان عاصمة الأردن عمل على توثيق عرى الصداقة مع أهالي عمان ومنهم الكرد على وجه الخصوص، وخلال نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ تبرع بمبلغ مادي إلي جموع اللاجئين الفلسطينيين، وتبنى طفلان فلسطينيان نكبتهم الكارثة، وبقي يشرف على تعليمهم وتربيتهم حتى بلغا مبلغ الرجال. ثم تزوج من أمراة فلسطينية من عائلة الدميري اصلها من مدينة الخليل، فأنجبت له ولدان وبنت، ومنهم الدكتور هاني بروسك، توفى يوم ١٩٧٤/٢/٢٨٧ ودفن في عمان. رحم الله أمين بروسك الذي ناضل بالسيف والقلم في سبيل أمته الإسلامية، وقوميته الكردية، فعليه سلام من الله ورحماته.

كركوك في العصور القديمة[1]



جمعة عبدالله

كركوك مدينة عتيقة في المناطق السهوبية (المتموجة) يحيط بها سلسلة حمرين على شكل قوس تسمى بأسماء مواقع مرورها (من غرب الخابور- مكحول الفتحة- حمرين تخوم خورماتو- دراوشكه (خانقين)- بشتكو- لورستان) التي تفصل بلاد العرب عن كردستان.

من نتائج الدراسات التي اجريت في المناطق المحيطة بهذه المدينة على آثار القرى الميزوليثية (المرحلة مابين العصرين الحجرين المتوسط والحديث) كقرية كريم شهر (جمجمال) والنيوليثية في العصر الحجري الحديث كقرية جرمو.

القريتين اللتين شهد الانسان خلالها حياة الاستقرار اثر ايام الثورة الزراعية في المرتفعات الشمالية لها وتزامنا فيما بين الالف العاشر والخامس قبل الميلاد حين اعتمد الانسان في انتاج قوتهم طوال هذه الفترة على الامطار بعد ان جرى تبدل جذري على وسائل عيشهم وتحولت من الصيدالى الزراعة، فان الخط البياني لانتقال هذا الانسان من هذه المرتفعات نحو السهول، وخاصة في نهاية حضارة تل حلف (اواسط الالف الخامس ق. م)، يشير الى انه نزل الجبال والكهوف ونزح من المناطق العليا متوجها نحو مناطق اكثر جنوبا بعد ماظهرت فيها

المواقع الغنية بترسبات غربي النهرين العظيمين دجلة والفرات وروافدهما العديدة.

العصر البرونزي/ المدن/ الزقورات

من نتائج الحفريات في المستوطنات المتطورة للعصر البرونزي في ضفاف الانهر تبين لدى المتخصصين في علم الاركيولوجيا ان سكانا من عصر ماقبل الكتابة في هذه المستوطنات هم الذين مهدوا الطريق لقيام المدن التي تميزت في مناطق اكثر جنوبيا وبنوا حضارتهم اعتمادا على الخلفية الحضارية لاجدادهم في الشمال، قد سبقت هذه المرحلة فترة وصول القبائل البدوية للساميين والهنود الاوروبيين الى وادي الرافدين. فان بناء اقدم المدن غير المسورة في الجنوب كان يستند براي ملوك دويلاتها على مجموعة من الاعتقادات الروحية البدائية، فاما كان هذا الاستناد تنفيذا لاوامر من الالهة حسب ادعاءاتهم حققوها على حساب الطاقات الشخصية لابناء الطبقات السودة في المجتمع، حيث كان من ابرز معالمها بناء الزقورات التي تمركزت منها بيوت هذه المعبودات او كان الغرض من بناء القلاع والحصون في الشمال هو لغرض تجميع اسباب الحياة للسكان فيها مع توفير وسائل الدفاع عن انفسهم بواسطتها.

كركوك/ وعصر التدوين

بهذه الطريقة بدأ سكان القرى مثل جرمو وكاني سور ومطاره يتمركزون في كركوك خلال عصر صناعة الفخار الذي يسبق عصر التدوين في سومر، ويرجح ان سكان مواقع اخرى كتل حسون وتل الصوان قد استفادوا من حضارة هؤلاء.

وبعد ان اغار ملوك سومر واكد الاوائل على بلاد (سوبارتو) الصيغة السومرية- الاكدية لمفهوم البلاد العليا، خلال الالف الثالث قبل الميلاد، فان اقدم سجلات الخطوط المسمارية تشير الى ان منطقة كرخي (كرخا/ قلعة) كانت تقع في ارابخا Arrapha باقليم كوثيوم Out-um وعلى هذا الاساس فان الكوتيين هم الذين انشأوا قلعة كركوك على اغلب الاحتمال، الا ان الحوريين شاركوهم السكن فيها وكذلك في المستوطنات التي تحيط بها مثل (نوزي) وكوروخاني منذ مطلع الالف الثاني قبل الميلاد نتيجة اجتياح الهنود- الاريين لمرتفعات زاكروس والمناطق الشمالية لوادي الرافدين.

كركوك/ العصر النيوليثي/ عصر التدوين

تشير الموسوعةالبريطانية الى ان مدينة كركوك تقع على مشارف سفوح جبال زاكروس باقليم كردستان العراق وهي تتوسط مجموعة معروفة من مواقع الستوطنات والقرى الزراعية في العصر النيوليثي التي يسبق زمنها عصر التدوين كـ (جرمو) من شمالها الشرقي ومطاره (متارة) في جنوبها وان من ابرز معالمها هي قلعتها العالية العظيم التي بنيت على جهة الشرق من الموقع الاثري القديم والصناعي الحديث المعروف بعرفه Arrapha (الصيغة المعربة لكنية ارابخا Arrapha التأريخية) كانت وماتزال تعبر عن عمل حضاري لستوطني منطقة كركوك الاوائل من السوبارتيين الذين تعلقت كنيتهم العامة سوبير او سابار .Su BIR Subar عند العراقيين القدماء بمفهوم جغرافي شملت اغلب المقاطعات من كردستان الحالية،

اشتهرت مع معبودها عند الاكديين بـ (علياتم elatum) ودونها حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق. م) بصيغة ماتو عليتوم (البلاط العليا) وكانت تشمل في العصر البابلي كلاً من اقاليم (ماراهشين، اوكيش، تاوار، كوتيوم، زامو، سيموروم، واربيلوم).

كوهستان.. بلاد الجبل

وصاغتها كل من الفرس ككوهستان والعرب كبلاد الجبل حيث عبر هذا المفهوم في كل الحالات عن الوضع الطوبوغرافي لتلك المقاطعات اكثر من ان تشير الى واقعها العرقي والقومي، وعندما استقر فيها الهند الآريون الاوائل اشتهرت على نفس الاساس بصيغة شيماليا Simalia الكنية التي كانت كذلك تعبر عن اسم معبودها سيماليا (اله الجبال المكسوه بالثلج).

واصبحت عند العرب مفهوما الى جهات الشمال وعند الكرد بصيغة (شەمال) يعني رياح الثلوج الباردة التي تهب من فوق الجبال كما اشتهر في الهند باسم هياليا او هيمالايا.

شەمال/ هملايا

خارطة للبحث (ضمن مجموعة خرائط نادرة آثارية للأقوام) تشير الى المواقع التي احتوتها الامبراطورية الميتانية منها/ ارابخا/ نوزي/ الالاخ، دونت كنية سوبار في نصوص اوغاريت (رأس شمر/ شمال اللاذقية) بصيغة (شبر Sbr) امادريمي ملك الالاخ (القرن الخامس عشر ق. م) فقد سجلها بصيغة سوبير Su. Bir.

ورغم سعة اراضي هذه البلاد واختلاف اللهجات والالسنة حيث كانت مجموعة المعالم عند السومريين والاكديين والبابليين والآشوريين، وبناء على هذا المفهوم فقد اطلق السومريون منذ مطلع العصر التأريخي اصطلاح Su. BIR ومن بعدهم الاكديون ثم الآشوريون اصطلاح سوبار، سوبور، سوبارتيوم، شوبارو او حتى شورا وعلى المناطق العليا لوادي الرافدين. ومن بين اقدم الوثائق التي اشارت الى (سوبير) هي سجلات لوكال (آني- موندو) حاكم مدينة آدابا (تل بسيمان).

المدن المجاور لملكة لجش (سجل الملك السومري) بدأ من الشرق نحو الشمال ومنها الى الغرب كالآتي (ايلام، ماراهش، كوتيوم، سوبير، آمورو، سوتيوم) مدرجا مقاطعة كوتيوم التي كانت ارابخا احد اقاليمها وقلعة كركوك مركزا من مراكزها منفصلا عن سوبير وبثت موقع سوبير بالترتيب في اقليم كونيوم وبلاد مارتو او امورو (اي بلاد العموريين في الغرب).

كوركوركو اي تيركيش ايرن، اي ان سوبير تشمل البلاد العليا لحد امبيلا (تل عطشانة شمال غرب حلب) وكل بلاد كوركور (الجبال) التي صاغ الحثيون اسمها كذلك بصيغة (كور اوگر) وشملت برأي ارنست هرتسفيلد مناطق الفرات العليا ودياربكر ووديان نهر مراد صو ومناطق پالا وتومانا بوسط كردستان.

اظهرت كتابات ملك ماري (المعاصر لحمورابي ١٧٥٠ ق. م) المكتشفه في مدينة اور على دلائل مهمة عن السوباريين في البلاد العليا.. شملت بلاد سوبار (شمال وادي الرافدين) الاراضي الواقعة بين مرتفعات زاكروس (كرمنشاه) والبحر الابيض المتوسط (قمر قميش والالاخ).

فلاشك من ان اهل اقليم كويتوم ومعهم سكان ارابخا وقلعة كركوك كانوا يشكلون الاكثرية من سكان سوبارتو الذين جاوروا زاموا (بلاد لولوبوم) من الشرق وسيموروم (وديان الزاب الصغير) من الشمال الشرقي وكل من اوربيللوم واوركيش من الشمال الغربي ومملكة خمازي من الجنوب حوالي جبال حمرين وكان موطنهم يعرف تارة كـ (مات كويتوم اي بلاد كوتيوم) وكـ (كوركوتيوم) اي جبال كوتيوم تارة اخرى. وبناء على هذه المعلومات كما اشار الاستاذ (الباحث) يمكن ايجاد دلائل تأريخية واضحة لموقع اقليم ارابخا في هذه الفترة المبكرة من عصر التدوين حيث كان يتحدد فيما بين سيموروم (نهر الزاب) وبالمان (نهري الوند وديالى) او بمعنى آخر بين اقليم اوربيللوم ومرتفعات حمرين فكان الحصن المتميز فيه بلاشك هو قلعة كركوك التي بنيت على الاغلب قبل هذا العصر (بين الالف الخامس والرابع) (٤٥٠٠-٣٥٠٠ ق. م). من المحاور المؤدية الى الزابين كما في (سجلات السومريين) الاسفل والاعلى. (الزابين) فان طريف سوبارتو كان يبدأ عاده بعد اقليم لوبدي.

لوبدي (پردان تپه جلولاء)

(پردان تپه جلولاء) مستمراً في اقليم ارابخا الذي اشتهر بكثرة غلاته ومزارعه حث كانت كركوك تشكل احد اهم المراكز التجارية فيه، ومن النصوص (الالواح) الكتشفة في نوزي (گاسور القديمة) اشارات واضحة الى ان الكوتيين الذين مثلوا اقدم السكان في كركوك والمناطق المحيطة بها، كانوا يمتهنون الرعي في سهولها الممتدة حتى (لويدي) ويتاجرون بالصوف واللحوم والمنتجات الحيوانية الاخرى التي اشتهرت بعضها باصطلاح.. اي شعر الماعز الكوتي.

ارا بخا ونوزي (كركوك وليلان)

وفي سبيل التحرر من عمليات التسوق والعبودية ولاجل وقف الغزوات الاكدية المتكررة على ارابخا والمناطق الشمالية لوادي الرافدين، حاول ملوك كركوك من الكوتيين بشكل خاص وملوك سوبارتو من الحوريين بشكل عام انهاء اسبابها في مهدها، فبدأ الكوتي اريدو بزير المعاصر لنارام سن يفرض سيادته اولا على مدينة Nippur (نفر) حيث نزل فيها كتابه مطولة وصف نفسه بالاكدية على انه ملك سومر وأكد وملك جهات العالم الاربعة.

شيلواخو (كركوك مدينة بني شيلوا)

اقليم ارابخا تشكل من (كاتحار، سيموروم، لولوبوم، خومورتوم، كيناش، كاكلان واوروبيللوم).

(لورستان/ بلاد كاردونياش (اي بلاد الخضوع لاله الارض)

تسمية كاثة (لورستانية) وكذلك تعني كاردونياس وهي من اسماء بابل، تسمية كاشية ملك الكاشي، ملك بلاد بابل، الذي تسلط على اشنوناك.

ملك بادات والون

ملك بادات والون، ملك بلاد كوتي، ويمكن تفسير هذا التوسع السلطوي للملومك الكاشين في ظاهرة تأريخية مرحلية الا وهي انتشار العناصر الهندية - الآرية بين سكان هذه المقاطعات وخضوعهم لبني قومهم من ملوك بابل التي حكموها باسم بلاد كاردونياش.

وعن طريقهم انتشرت الطقوس الدينية للهنود —الآريين بين السكان المحليين في جميع انحاء وادي الرافدين وشوهدت في سجلات بابل ونوزي واوركيش بجانب معبودات رافدية وزاكروسية.

كوتيوم/ بلاد الكرد الحالية

البلاد الكردية الحالية في غرب ايران وشرق وشمال وادي الرافدين كانت كلية تعرف باقليم كوتيوم في بلاد سوبارتو الذي كانت ومدينة كيرخي (كركوك) تمثل مركزه الرئيسي وهو بجانب ياراهش، سيموروم، وخومورتوم وحتى اوركيش وناوار اعتبرت عند السومريين والاكديين من البلاد العيا، وان ما يعتقده ارنست هرتسفيلد يكون مفهوم/ يديا يرادف كوتيوم في الالف الاول قبل الميلاد..

ميديا/ كوتيوم

وان الرقيمات المكتشفة في اقليم همدان (الاسماء) بان السكان في هذه الانحاء كانوا ايضا من الكوتيين.

اسماء هندوآرية لمعبودات مثل اله الشمس سورباش (اسور الميتاني) وآهورا الايراني آوور الكردي) واله الزوابع يورياش بورما Bypa الروسي Boran الكردي)..

خومورتوم

ان الطريق الآتي من اوربيللوم الى ارابخا كان يتفرع قرب كرخو (كرخيني= كركوك) الى فرعين، فرع يؤدي من خلال خومورتوم الى ارمان (حلوان) وفرع آخر يتعرج نحو بلاد اللولو زاموسوا (دربندي بازيان)

الرقيمات الحورية/ والقلعة

استنادا على الرقيمات الحورية التي دونها افراد اسرة وولو Walu في ديمتو (القلعة) والتي وقعت في بداية القرن الماضي بأيد اجنبية عديدة، اقرارها على ان هذا المستوطن العالي المسمى الان بقلعة كركوك كان يشتهر منذ الالف الثاني قبل الميلاد باسم ديمتو كرخي شيلواخو (قلعة مدينة بني شيلوا) التي تجسد باسم حاكمها الحوري القديم الملك شيوا تيشوب التابع للامبراطور الميتاني ساوشتارا في بارساستار ١٤٤٠ ق. م) ختم للاول في آثار مدينة نوزي.

وفي هذه الفترة شكلت كيرخي مع المستوطنات الحورية الاخرى مثل نوزي وكورخاني في اقليم ارابخا متمما للامبراطورية الميتانية التي تأسست بيد الشريحة الارستقراطية من الهنود والاريين الذين استقروا بين الحوريين والكاشيين والكوتيين في مرتفعات جبال زاكروس وشمال وادي الرافدين خلال الالف الثالث والالف الثاني قبل الميلاد واتخذوا من جميع اقاليم سوبارتو موطنا لهم واخضعوا الملوك الحوريين لسيادتهم وثبتوا لاول مرة في التأريخ اساس الانتماء الهندو —اري للغة الكردية.

نوزي/ اساس الانتماء الهندو- آري للغة الكردية

وقد شوهدت رسالة من رسائل الامبراطور ساوشتار الميتاني (القرن الخامس عشر) معنونه ال عامله اتخيا (اتخمي ستلا) ملك مدينة نوزي الحوري في جنوب كركوك ومختومة بختمه اكتشفت ضمن عدد كبير من الوثائق الرسمية المهمة التي حوت عشرات الاسماء الزاكروسيين (الكوتية

والحورية) والهندو آرية لسكان هذه المدينة. وقد اشارت سجلات قلعة كركوك الحورية الى ان ديمتو كيرخي شيلواخو (حصن مدينة بني شيلوا) كان يحوي عددا من المخازن الخاصة لحفظ المؤن عرفت عند البابليين بـ (بيتاكوباتة اي قبو الاغدية VanIt) وعلى كل حال فقد شكلت ارابخا بجانب لويدي (شهربان وجلولاء) في الالف الثاني قبل الميلاد ساترا طبيعيا امام مملكة كاردونياش التي تأسست في بابل..

بلاد مانئا
(ولاية كردستان سنندج الحالية في ايران)

اتوجه الاسكندر بعد معركة (تل جومل) قرب اربيل نحو بابل عن طريق ارباخي Arrhapa (ويقصد ارانجي او ارابخا ودون بطليموس بصيغة Arrhapa) حيث اصلح قلعتها اي (قلعة كركوك) ويضيف قائلا (ان على ارض ارباخي تشاهد نيران مشتعلة دائمه وتغطيها انهار من النفط) وهذا الكلام ينطبق تماما على موقع عرفه المعاصر. اما موقع باباكوركور فقد اورد بلوتارخ اسمه بصيغة كوركور Karkour على انها مع ارباخي تشكل جانبا من ساتراب ميديا

ميديا/ كركوك

وقد اضاف الميديون على نهاية الاسم اللاحقة الزاكروسية المحلية ak-uk فعدت التسمية كوركورك Kor Kour- ok او Kor Kour- uk كوركوروك لذلك فلا علاقة لهذا الاسم بالتسمية الآرامية للمدينة (كرخابيت سلوخ) كما يعتقد بعض الكتاب. كون الميدية اكثر قدما. حدد بطليموس موقع سكن الارابخيين في الجهة الشمالية من ديمتو (القلعة) في نهاية الالف الاول قبل الميلاد.

فاذا كانت مدينة كركوك (كوركورك) قد اصبحت مركزا من مراكز ساتراب ميديا منذ القرن السابع قبل الميلاد، فان الا سكيث (السكس) لابد وقد حلوا فيها في هذه الفترة بأمر من الميديين وكان الاندماج الثقافي بين هاتين الشريحتين من المستوطنين امرا طبيعا لانهما انحدرتا من نفس الارومه الايرانية عرقا ولغة، فبعد ظهور المعالم اللغوية المتأثرة بالمفردات الهندية الارية منذ الالف الثاني قبل الميلاد في هذا المستوطن الكوتي -الحوري الميتاني القديم التي وضعت اقدم قاعدة للغة الكردية دخلت الى جذور هذه القاعدة بعد مرور الف عام التأثيرات الثقافية الايرانية التي حددت تقاليد صرفها ونحوها. وهذه الظاهرة لابد وقد سادت لأول مرة في العصر الميدي وتكاملت خلال العصر الهيليني.

ومنذ عام ١٢٨ ق.م نشأت في اقليم ارابخا مملكة بدأت تقودها اسرة ايزدين السكسيه اشتهرت في المناطق الجنوبية الحارة منها في هذه الفترة باسم گرمكان Garmaka (گرميان الكردية) التي تحولت الى جرمكان.

گرميان/ جرمقان

(جرامقا) او جرميق في العربية، اما مناطق الوسطى المعتدلة التي شكلت كركوك مركزها واشتهرت عند السريان فسميت (شهرا- زوور) تيمنا بالقاب عدد من ملوكها التي اشتهرت بصيغة (شهرا او شهرات).. ظلوا البيزنطيين يطلقون على مركزه

تسمية (قلعة بيت ازدي) التي حلت محل التسمية الحورية دمتوكيرخي شيلواخو (قلعة بيت نبي شيلوا).. فان اسرة ازدين التي شاركت في تقوية الشروط القومية للكرد على الاقل كانت محتفظة لتقاليدها المزدية الايرانية Mazdazn التي جسدت الالوهية بنور السماء، وما ان حل القرن الاول الميلادي الا ونجد افراد الاسرتين الملكيتين قد تركوا تقاليدهم الدينية الوثنية واليهودية القديمة وجعلوا المسيحية دينا رسميا للدولة في هذا القسم في ميديا الذي اشتهر منذ هذه الفترة بـ (شهرزور) حيث اصبحت كركوك تشكل فيه مركزا لاقدم مطرانية لا على مستوى ميديا فحسب بل في عموم الشرق.

كانت مدينة نوزي (يورغان تپه/ قرب ليلان غرب كركوك) موطنا كوتيا باسم Gasar دخلها الحوريون في نهاية الالف الثالث ق. م وابقوا فيها مخلفاتهم الحضارية وتعتبر من اغنى المستوطنات الحورية سجلاتها المسمارية.

بدأ علماء الاثار الامريكان بالتحرى في هذا الموقع خلال الفترة الواقعة بين اعوام ١٩٢٥-١٩٣١ مكتشفين فيها بقايا من آثار تعود للفترات الواقعة فيما بين عصر ماقبل التأريخ والعصر الروماني- الفرثي والساساني. وفيما بين القرن السادس عشر والخامس عشر نشأ فيها مجتمع تجاري ومركز اداري مهم. لم تدرس الفنون الفخارية المستخرجة من هذا الموقع ومع ذلك هناك صنف خاص في اواني فخارية يعرف باواني نوزي (اواني ميتانية) وهي تتميز بمواصفات خاصة بعضها في صخور طويلة رشيقة وبقاعدة صغيرة وكؤوس عليها صور ورموز باللونين الاسود والابيض.

بالاضافة الى هذه الاعمال الفنية استخرج في موقع نوزي ٤٠٠٠ لوحه مدونه بالخطوط المسمارية ومعظم الاسماء فيها هي حورية ومن بين الموضوعات التي تناولها النصوص هي تلك التي تتعلق بقضايا ادارية وفيها فقرات تشبه الحكايات المعقدة لروايات للاباء الاولين المعاصرة لها في اسفار التكوين للكتاب المقدس.

كورخاني

اكتشف موقع كورخاني في جنوب غرب كركوك وعرف من قبل السلطات العراقية باسم (تل الفخار). نشر الدكتور ياسين محمود الخالص في المجلد الثالث من مجلة سومر عام ١٩٧٧ مقالا حوله بعنوان (كوروخاني) اشار فيه الى ان التل يبعد عن كركوك بحوالي ٤٥كم وعن نوزي بحوالي ٣٥ كم.

فبجانب الاختام الاسطوانية ظهرت هناك مجموعة من رقيمات طينية يبلغ ٦٠٠ رقيم ومواضيعها هي رسائل وعقود وقروض ومعاملات ووثائق بخصوص التبني ثم بيع وشراء الاراضي والمقايضة ونصوص دينية وقضائية واداريةو وقوائم لاسماء اشخاص مقترضين حبوبا، وان اللغة التي كتبت بها هذه النصوص هي حورية ونصوص الرقم تشبه بصغها كتابات منتصف القرن الخامس عشر ق. م التي اكتشفت في كل من كركوك ونوزي، يقول الدكتور (ان الاسم القديم لموقع الفخار هو من احدى النقاط المهمة التي ناقشها حيث يعتقد بان كوروخاني كان الاسم القديم لتل الفخار.. ثم

يضيف الدكتور عبدالاله فاضل: (هناك ادله اثرية قوية تشير الى ان الطبقة الثانية في كوروخاني وقصر الاخضر كانت معاصرة للطبقة الثانية وقصر نوزي، وقد لاقى كل من القصرين نفس النهاية من الحرق والتدمير وربما بنفس الوقت وبواسطة الاعداء.

ان الهجوم الخارجي وتدمير القصر في كل من نوزي كوروخاني ربما كان في اعمال الاشوريين الذين قضوا على الاتحاد الحوري –الميتاني في هذه المناطق وربما كان ذلك خلال حكم آشور ابو بلط الاول (١٣٦٤-٣٣٠ ق. م). يعتبر الميتانيون مع ابنائهم الذين مثلوا الطبقة العليا للمجتمع الكاشي في بابل من اقدم موجات الشعوب الهندو-آرية الذين وضعوا اسس القومية الكردية- ميتان/ كاش، القومية الكردية في المحيط الحوري في شمال وادي الرافدين. وقد درست العالمه الروسية يانكوفكا الحاله الاقتصادية والاجتماعية في هذا المستوطن والمستوطنات الاخرى في اقليم ارابخا. ان مستوطنا اخر باسم Ullubae كان قد اكتشف في شمال غرب مدينة دهوك وكان المقطع الاول من هذا الاسم يماثل اسم اولونوزي..

الكويتون: من الاقوام الزاكروسية الذين كانوا يسكون مع بدء عصر الكتابة في البلاد الواقعة بين بحيرة اورمية وسلاسل جبال حمرين التي عرفت بكونيوم وتمركزت في كركوك. وفي بداية الالف الثاني قبل الميلاد وكانت قبيلة التوركين الكوتية في اقوى القبائل التي صارعت كلا من النفوذ الاشوري والبابلي في هذا الاتحاد.

الحوريون: من الاقوام الزاكروسية الذين استوطنوا في كل من ارابخا (كركوك) ونوزي وكوروخاني، وكان شيلواتيشون من اشهر ملوك كركوك التابعين للامبراطور الميتاني ساونشتار في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، اما بكوك فهو احد الملوك الذين حملوا لقبا هنديا اريا مشتقا من اسم الاله (باكا Baga) الذي ادخل الكاشيون طقس عبادته الى بابل باسم بوگاش ذلك في الالف الثاني قبل الميلاد، وبكنية اسم بغداد/ باكا- بابل، هذا الاله بنيت مدينة بغداد Bagha-dat اي عطاء الله.

الزقورات: لاغراض الرصد والعبادة والحماية.

جرمو: اولى القرى الفلاحية في العالم، بداية ظهور الزراعة وتدجين الحيوان في العصر الحجري الحديث.. ان اهتدوا الى انتاج قوتهم بالتدجين بعد ان كانوا يحصلون عليه بالجمع والصيد اي في العصر (النيوليتي).

تلحونه وتل الصوان: من المواقع الاثرية في المنطقة، يقع الاول بين حمام العليل والشوره على طريق الشرقاط/ العاصمة الاولى لاشور، والتل الثاني في منطقة سامراء.

بلاد الجبل: تشير الخرائط القديمة (المرحلة) الى اسم (الجبل) تغير بلاد الكرد، كذلك كوهستان، ايونيا، ليديا، ميديا، آسيا، اسيا الصغرى، (اسيا يعني الشرق)، العراق العجمي، لورستان..

احدى خرائط البحث تشير الى الاراضي التي احتوتها الامبراطورية الميتانية مبينا فيها مواقع كل من: ارابخا، نوزي، والالاخ فيها (المتقاربة) في مفرق كركوك حاليا (بقاياه).

تل بسمايه: موقع التل بين الطريق العام العزيزية/ بغداد (مناطق حدود ديالى).

خوموروتم: تعني قضاء خورماتو (من توابع كركوك) ٥٠ كم، ومن اسمائها التأريخية، خورشيتو، دزخورشيتو (قلعة الشمس)، خير متر، (خاني جار) خان القار.

اشتونا: موقع اثري في منطقة ديالى (بين بعقوبة- بلدروز) وهي من ضمن تل حرمل، تل الضياعي، تل حيدر، (في منطقة بغداد الجديدة) من توابع السلالة البابلية الكاشية في بابل.

تل جومل: او كومل في مصادر اخرى منها (كموليليا) منطقة تجمع (المياه) وامرارها في نفق جبلي وعبارتها (جروان) لمشروع بافيان وهي من روائع الاعمال الهيدروليكية من بقاياه السلالات الحالية مرورا بـ(جروانه) تحريف لاسم باجوان، باحوران، باجلان الى وادي الخوسي (يعني بالشبكية) والكردية الوادي مصي في دجله والمنطقة خسرواباد العاصمة الرابعة لاشور وفي بعض المصادر خرساباد، من اسماء الموصل في عصر الامبراطورية الساسانية (هشت اباد) كذلك البصرة وتعني (اياد) المعمورة ومن اسماء البصرة (بسي، وي) اي بثلاث طرق، كما في المدائن في بغداد من توابعها (الصيرة) تعني ثلاث طرق (سي، ري) ودجلة العوراء (جيكور) اي تحول الفرعين الى فرع واحد هو شط العرب نتيجة اعمال الطمى وما المودة المتكونه في (جي، كور) والخرائط والبحوث (حضارة وادي الرافدين).

نوزي وكوروخاني: تبعد نوزي عن كركوك ١٥ كم تقع على طريق ليلان وهذا يحدد لنا المسافة بين كوروخاني ونوزي بـ ٣٥كم جنوبا بين خورماتوو ونوزي بـ ٣٥ كم جنوبا بين خورماتو و هفتغار (الداوودية)، وفي تلك المنطقة مجرى باسم (روخانه)، وفي نفس المسار اي (طريق كركوك- بغداد) هناك مواقع اثرية، هي علي سراي متارة (مكاره) مناره- تازه- تل عبدالعزيز.

هذا باختصار بحث قيم للاستاذ الفاضل وتعقيباتي في الهامش مع اضافات، واقتراحي هو اعادة طبع الكتاب لاهمية مواضعيه وما يحوي من اراء واسماء تأريخية وجغرافية واثارية لاقدم العصور مع التطور التأريخي والنشاط الانساني في التقدم والتطور ولفائدته للدراسات العليا ولطلاب المعرفة لما يحويه من الخرائط والاسماء لاهم مرحلة تأريخية في منطقة كركوك والمناطق المجاورة للشعب الكردي وكشف الغموض عن اهم المواقع.

هذا اولا اما ثانيا يشير البحث الى:

اصل اسم كركوك

ان سفوح جبال زاكروس الجنوبية الغربية التي تجري فيها مياه جبال زاكروس العظيمة المنحدرة الى وادي دجلة، تلك السفوح التي تقع بين هاتيك الجبال وهذا الوادي، وتشكل حاشية شرقية وشمالية للهلال الخصيب.

الاهمية الجغرافية للمنطقة: بمناخها المعتدل وامطارها الوافرة وارضها الخصبة وثروتها الزراعية، من الاقاليم التي اجتذبت منذ اقدم الازمنة سكانا او غزاة من كافة الانحاء، تمر فيها خطوط مواصلات برية نهرية ميسره بين مختلف الاقاليم المحيطة بها، من تلك الدول:

الدولة الاكدية والدول القوية التي اتت بعدها وحكمت بابل، نينوى، همدان، سوس، سلوقية، بلاد الروم، تبسفون.

ادى هذا الاهتمام بهذه المنطقة الى تأسيس مدن عديدة محصنة منذ العصور الاولى في موازاة محور سلاسل زاكروس الغربية، واقامة حاميات فيها الدفاع ومحافظة مواصلاتها حيال الغارات المتوقعة. ومن تلك الاماكن المحصنة التي كانت في الوقت نفسه قاعدة لحركات الجيوش، تعرف اليوم باسم بدره، مندلي، خانقين، قرهتپه، كفري، خورماتو، طاووق، تازه خورماتوو، جمجمال، كركوك، التون كوبري، اربيل، الموصل، تلعفر.

من ضمن هذه النقاط الستراتيجية وجد، اثناء التنقيبات الاثرية في (براك) في وادي خابور شرق الفرات، بلاط محصن شيده (نرم-سن) الاكدي (حوالي ٢٤٠٠ ق. م) ويعتقد بان القصر من انشاء هذا الحصن الواقع على خط المواصلات بين الاناضول وبين اكد حماية هذا الطريق التجاري ضد تحرشات الگوتيين وغيرهم من الاقوام الجبلية.

بلاد الماد/ والمؤرخ پوليبيوس

يقول المؤرخ الاغريقي (پوليبيوس) ٢١٠-١٢٠ ق. م في سياق تعريفه بلاد (الماد) في كتابه (التاريخ العمومي) ان (حدود الاقليم مستوره بمدن اغريقية بنيت بعد ان اخضعت البلاد من قبل الاسكندر لغرض الحد من تجاوز البرابرة المجاورين).

من هذه المدن المحصنة التي كانت تقوم بوظيفة مجابهة امواج الغارات المنطلقة من منافذ زاكروس نحو السهول الغربية واكثرها اهمية من حيث الموقع، كانت (اربخ) القديمة كركوك الحالية تقابل بوابة زاكروس الخطيرة (دربند بازيان).

بوابة زاكروس

(دربندبازيان) (دەربەندی بازیان)

وكان لقلعة كركوك في الوقت نفسه حصن امامي من شانه تسهيل مهمة كركوك وهو الذي نسمية اليوم (جمجمال) الواقع على طريق كركوك دەربەندی بازیان، وهو واقع ايضا على طريق طاووق دەربەندی بزيان وطريق طاووق/ جمجمال وادي الزاب الاسفل المارين شرق كركوك وبعيدا عن سيطرة حضها.

وهذا الوضع الجغرافي الذي كان قد ادى الى ان تكتسب طاووق اهمية كبيرة منذ بداية الفتح الاسلامي الدور المغولي على حساب تضاؤل اهمية كركوك.

كانت طاووق في العهد العباسي القاعدة الرئيسية لمنطقة كركوك.. وفي عام ٦١٥ ق. م استولى الملك (كياخسار) (اوخشتر) المادي (الكياني) على (اربخ) وكات يقصد فتح (نينوى) التي تم له فتحها مع حليفه الملك (بنيوپولد) البابلي ٦١٢ ق. م. والذي اعتقده ان اسم كركوك في عهد الماديين لايزال (اربخ) المؤلف.

يرى بعض المؤرخين ان ذكر مدينة (اربخ) جاء باسم (منس) ضمن المدن التي مر بها الاسكندر، اثناء زحفه من اربيل الى بابل ٣٣٠ ق. م.

اربيل/ الى بابل

ان موقع مدينة (ديمترياس) على ماری لايمكن تثبيته في الوقت الحاضر، ولكن مع النفط ومايجاوره

من نيران امر معلوم. مما لاشك فيه ان (اباگرگر) اما معبد الالهة (انيياش) فلم يعرف محله، ولكن (اينيا) لفظ

مغلوط مأخوذ من اسم (انائيتيس) وهواسم اغريقي محرف ان اللفظة الايرانية (اناهيتا) اي الهة المياه الابتشية. اما (سادارکي) الذي كان قصرا لـ(دارا) ابن گستاسب فلم يتمكن احد حتى الان من تثبيته.. وان لم يسعني تثبيت مكان تلك الحديقة المغروسة باشجار السرو، فان لي في الاسماء الاخرى التي لم تثبت اماكنها بعد رأيا، فمن هذه الاسماء ومعبد الآلهة (آينيا) والقصر الملكي (سادراكي) واني ارجيء البحث عنها الى بحثي عن (سهل السليمانية) واحصر البحث هنا عن تشخيص اسم (ارتكيني) والمنطقة التي تسمى بها.

سلوقس: الذي ادخل اسمه الاراميين في تركيب (كرخ سلوخ) يجب ان يكون احد السلوقيين الاربعة الذين كان حكمهم (٣١٢-١٧٥) ق. م. ربما كانت التسمية قد وضعت في زمن (ملوقوس) (كالينيكوس) او اعاد تحصينها ووضع فيها حاميه اغريقية..

تسمية كركوك

تسمية مدينة كركوك باسم (كەرەك) فانها اقدم من زمن ظهور اسم (كركيتي) الاغريقي، ولعل اسم (كەره) كان كذلك في عهد الهخمانشيين يدلنا على ذلك اشتقاق اسم (كوك) ذاته، يضيف المؤلف: اني اعتقد ان اسم (كرك) (كەرەك) مشتق من لفظ (كاد) الاشوري ومعناه (القلعة، القرية المحوطه)، ومن اللاحقة الهندية، الايرانية القديم (ak) المعروفة.

فيظهر ان (الماد الكرد) الاريين هم الذين شكلو كلمة (كەرەك) بمعنى (القرية المحوط بالمواد الكوم، اي بالسور) تلفظها الاراميين بعد ذلك بشكل (كرخ) الذي صار اسما لبعض المواقع المحصنة تحصينا من هذا النوع، (كرخ) في الارامية معناه (المدينة المسورة بسد ترابي مدعم بالاوتاد) والمقارنة بين كلمة (وەوه) الافيستية التي معناها (المحوط) وكلمة (كار) الاشورية التي لها نفس المعنى، ويسمي الاراميون (كركوك) بـ (كرخ سلوخ) وهذا يدل ان مدينة كركوك كانت قد اتخذت عاصمة للمنطقة من قبل السلوقيين وحضت من قبل (سلوقس الثاني) على الارجح (٢٤٦-٢٢٦ ق. م). وتسجيل الاراميين لاسم (كرخ) لقرية (كركوك) يدل على انها كانت تسمى بتلك الاسم حتى الدور الاسلامي ولا يوجد اي دليل او سبب لزوال اسم (كەرەك) في الدور الاسلامي ايضا، الا انه من الغريب ان (ياقوت الحموي) قد اورد في معجمه في القرن السابع الهجري الاسم الذي اطلقه الاغريقيون عليها باكثر من الف وخمسمئة سنة قبل ايامه وهو (كرخيني) المعرب لـ (كركيني).

اشتقاق اسم كركوك

اسم كركوك مشتق من اسم (كدر- القلعة) باضافة اللاحقة (uk) اليها بصورة مضاعفه، واما اللاحقة هذه فانها اصل اللاحقة (ka) الهندية- الايرانية القديمة (ما قبل ١٥٠٠ ق. م) المعروفة، استعملت في السنسكريتية والافيستية والفارسية القديمة باشكال (lka,aka,lka) لتشكيل الاسماء والصفات او لتصغير معنى الاسماء والصفات.

وفي اللغة الكردية ايضا اسم (كەلەك) يستعمل بالخاصة اسما للسور المبني بكومة الاحجار حول منابع المياه والمراقد وغيرها.

هذه دراسة قيمة للاستاذ الفاضل توفيق وهبي.

تعيب واضافة للبحث الاول/ كركوك في (العصور القديمة)

يشير البحث الى معلومات مهمة، تأريخية، جغرافية، اثارية، اسماء لمواقع من الصعوبة الحصول عليها في مصادر اخرى، اضافة الى اصول اسماء الاماكن والتطور التأريخي للنشاط الانساني في المنطقة كذلك الاراء والاشارات القيمة والمهمة بالنسبة للدراسات العليا وطلاب المعرفة تتطلب الاهتمام والتكثيف لاعادة طبع مثل هذه الكتب التي تفتقر اليها المكتبات وخاصة الكردستانية، وللباحث الدكتور جمال رشيد احمد اصدارات متنوعة منها الثقافية، الجغرافية- اللغة، بحاجة ماسة اليها وهذه بعض الشروحات لقسم من مفردات البحث للايضاح وزيادة في الاطلاع.

هوامش وملاحظات

(١)الهلال الخصب/ الهلال الذهبي: الاولى هي المنطقة المحصورة بين (الاقصر) على نيل مصر وبين اور، اريدو في جنوب العراق، وتسمى ايضا (طيبة) تسمية بالاقصر من قبل الفاتحين العرب القادمين من العراق ولمشاهدتهم للابنية العالية في منطقة (الحيرة) في الكوفة اثار (السدير والخورنق) من سي/ دير والثانية من خورنكا (البهو) — اطلقوها على اثار ومعابد الفراعنة العالية كالقصور. اما الهلال الذهبي اقدم (في العصر الحجري الوسط والحديث) تشمل المنطقة المحصورة (بين سلسلة زاكروس/ طوروس) ميزوبوتاميا العليا.

(٢)الدولة الاكدية: من بقاياه (سپار) تسمى حاليا شيشبار طريق بغداد/ الحلة. اسس ابنية وقواطع من بقاياه.

(٣)تيسفون: تسمى المدائن (هشة آباد) من ثمانية مدن منها منطقة قضاء الصيره معرب من (سي/ ري) ثلاث طرق يتم بناء المدن على اختيار ثلاث طرق لمدن مهمة هي (الكوفة/ الشام/ خراسان)، ومنطقة المدائن (تسيفون) ٣٠ كم في بغداد في الضفة اليسرى من دجلة تقابلها في الضفة اليمنى مدينة سلوقية (لاتزال بسورها الكبير وبعض القواطع) وفي اثار المدائن (ايوان كسرى).

(٤)هناك روافد باسم خابور لكل من دجلة والفرات.

(٥)(اناهيتا) اي الهة المياه الافيستية. بصيغة (اردوى سورا اناهيتا) ظلت كلمة مازدا- مزد-مز بمعنى الحكيم وكانت تشكل المقطع الثاني من اسم (اهورا-مازدا) فقد دخلت الى تشكيل اسم علم بشكل (اهورمزد- هرمزد).

(٦)كرخ: يوجد نهر باسم الكرخه- وجانب الكرخ في بغداد (الضفة اليمنى لنهر دجلة) بالمعنى الدارج تعني المرتفع (المنحدر) وهناك اصطلاح عند عمال الري (كرخ الماء) اي انحداره الى الاسفل كما في جانبي بغداد (الكرخ والرصافة).

(٧)الاراميون: بقايا السلالات الاشورية منها الارامية والسريانية في مناطق الرها عاصمة (اسروهنيا) اشتق منها السريان، ومن اسماء المنطقة

(اوديسا) اولفه، اقتبس اليونان المصطلح من المصادر الدينية القديمة (ارام نهرايم) اي الاراميون بين النهرين واللغة الارامية حديثة مايقارب التأريخ الميلادي (٢٠٠ ق. م) ومن الارامية اللغة العربية الحالية.

(٨)بغداد/ بكوك/ كوردينياش (لورستان) كيش من الاقوام اللرية الذين حكموا بابل سموها كردينياش (اي بلاد الخضوع لاله الارض) من اعمالهم مملكة (عكركوف) ذات الزقورة القديرة بين بغداد-ابوغريب ٣٠كم. وال- (كدور) اي تحديد الملكية. اما بكوك احد الملوك الذين حملوا لقبا هنديا آريا مشتقا من اسم الاله (باكا) Baga الذي ادخلوا الكاشيون طقس عبادته الى بابل باسم بوگاش وذلك في الالف الثاني قبل الميلاد، وبكنية هذا الاله بنيت مدينة بغداد Bagha-dat اي عطاء الله.

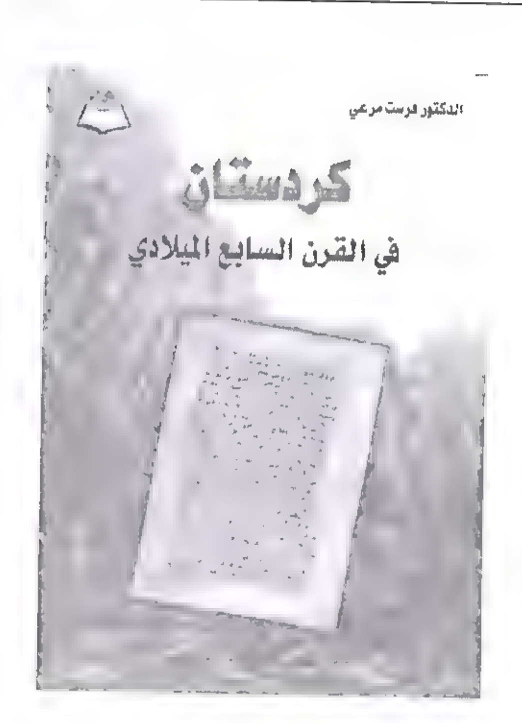
(٩)الامبراطورية الاخمينية: الهخمانشيه/ كورش الاخميني من اسمائه الاخرى في التأريخ (گورش، قورش، خورش) في الصينية واليونانية والعبرية والعربية.

المصادر:

١- كركوك في العصور القديمة/ الدكتور جمال رشيد احمد.

٢- اصل اسم كركوك/ الاستاذ توفيق وهبي.

٣-الشبك في العراق/ الاستاذ زهير كاظم عبود..



كردستان

في القرن السابع الميلادي

تأليف: د. فرست مرعي

مركز كوردستان للدراسات الاستراتيجية

سليمانية ٢٠٠٦

ملف الانفال

جرائم الأنفال من منظور قانوني



زهير كاظم عبود

سلسلة الجرائم المرتكبة من قبل السلطة الصدامية في ما سميت بحملات الأنفال، لم تكن ضمن حملة واحدة ، ولم يكن ارتكابها ضمن فترة زمنية واحدة، وهي لم تكن جريمة قتل في مكان واحد وعملية واحدة فقط، وطبقاً لنطاق تطبيق القوانين العقابية على مرتكبي هذه الجرائم، فأن القانون النافذ الذي يتم تطبيقه ويسري على الجرائم، القانون النافذ وقت ارتكابها، ويرجع في تحديد وقت أرتكاب الجريمة الى الوقت الذي تمت فيه أفعال تنفيذها دون النظر الى وقت تحقق نتيجتها.

وتبدو سهولة التطبيق واضحة في الجرائم التي تتكون من فعل واحد، بمعنى وقوع فعل واحد تتكون الجريمة منه وينتهي بنتيجتها، أي بوقوع النتيجة الأجرامية، كأطلاق الرصاص على مجني عليه، الا أن الأمر يكون أكثر صعوبة مع أمتداد حالة الأستمرار بأرتكاب جرائم القتل، والإبادة الجماعية مع استمرار العمل بهذا المنهج الأجرامي اليومي والمستمر لينطبق عليها حالة يطلق عليها القانون (الجرائم المستمرة).

في العام ١٩٨٧ بدأت الأجهزة المعنية بتنفيذ قرارات الطاغية صدام في انهاء قدرة شعب

كردستان على رفع السلاح ومعارضة السلطة، حيث تم الإيعاز الى مكتب شؤون الشمال لحزب البعث البائد و بمساندة فعالة من القوة الجوية والقوات المسلحة وقوات الحرس الجمهوري ومديرية الاستخبارات العسكرية ومديرية الامن العامة وما يلحق بها من المفارز الخاصة بالجحوش الكرد وقوات الطوارئ وجحافل الدفاع الوطني ولجنة استقبال العائدين واللجان الأمنية ولجان مكافحة النشاط المعادي بالإضافة الى لجان المتابعة، للعمل على ما أطلق عليه أسم (تطهير القرى) كتعبير لإبادة المقاتلين الكرد من البيش مركه وعوائلهم ومسانديهم، جرى ترتيب أمر التنفيذ بالتهيئة والتعيين الضروري، وإصدار القرارات التشريعية وفتح مقرات مساندة، ومنح وفق ذلك علي حسن المجيد الملقب بعلي الكيمياوي سلطات مطلقة ودون الرجوع الى اية جهة كانت في القرار والأوامر الصادرة منه حيث صدر القرار المرقم ١٦٠ في ٢٩ اذار ١٩٨٧، والذي منح علي المجيد بموجبه جميع صلاحيات مجلس قيادة الثورة المنحل وتولي مسؤولية جميع شؤون المنطقة، وتعزز ذلك الأمر حين وضع ميزانية خاصة للمجيد لتنفيذ حملات الأنفال دون الرجوع الى المالية أو الخزينة أو ضوابط حسابات الدولة .

أطلق الطاغية بنفسه كلمة (الأنفال) على الحملة التي يريد بها تنفيذ ما تراكم من أفكار في وجدانه المتهتك وضميره الأخرق، حين راودته فكرة القضاء على مجاميع بشرية معزولة من السلاح ولا تستطيع مواجهة قوة السلطة والقوات المسلحة ولا تستطيع القيام بأي رد فعل لما سيحدث لها لكونها واقعة تحت رحمة السلطة وقوتها وهيمنتها، مما يجعل وصف الجرائم المرتكبة وفق هذا المقياس أنها ارتكبت بباعث دنيء مع استغلال الجناة لضعف المجني عليهم وكونهم مذعنين لأوامر القوات المسلحة المنتشرة في المنطقة، لاحول لهم ولاقوة لكون السلطة تملك السلاح والقوات المسلحة والمنفذين لقراراتها، بالاضافة الى تحويل المنطقة الى منطقة عمليات عسكرية وتطبيق القرارات الاستثنائية على الموجودين فيها.

بالإضافة الى استغلال الجناة في ارتكاب الجرائم صفاتهم الوظيفية ومناصبهم ونفوذهم من اجل ايقاع اكبر الضرر في ارتكاب جرائم القتل بأكبر شريحة ممكنة من الكرد .

واذا كان الدافع الذي عالج صدام بموجبه هذا الأمر بالانتقام من عوائل المقاتلين البيش مركة والعصاة على سلطة الدكتاتور بزعم قطع الإمدادات والمعونات والمساندة الشعبية ، فأن الأمر شمل حتى الأطفال الرضع والشيوخ والنساء الذين لايرتبطون بأي رابطة بهؤلاء المقاتلين.

ومع أن الأية القرآنية ((من أهتدى فإنما يهتدي لنفسه * ومن ضل فإنما يضل عليها * ولاتزر وازرة وزر أخرى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا))، الا أن الطاغية صدام أنى له إن يفهم نصوص القرآن التي استعملها في المجازر والمسالخ الإنسانية.

الأنفال سورة من سور القرآن الكريم، اراد بها الطاغية إن يقول للناس أن الله هو الذي أمره بأن يأمر بقتلهم، والله جل شأنه هو الذي أمره بأن

يستولي على ممتلكاتهم، وانه مكلف بأمر رباني ليقلعهم من الحياة ولو دون ذنب.

بسم الله الرحمن الرحيم

"يَسألونكَ عَن الأنفال قُل الأنفالُ لله والرَّسُول فاتقُوا اللهَ وأَصلحُوا ذاتَ بينكُمْ وأطيعُوا اللهَ ورَسُولهُ إن كُنتم مُؤمنين".

والقول في تفسير السُورَة التي يُذكر فيهَا الأنفال اختلف أهل التأويل في مَعنى الانفال التي ذكرَها الله في هذا المَوضع ، فقَالَ بَعضهمْ : هيَ الغنَائم، وقالوا : معنى الكلام : يسألك أصحابك يا محمَد عن الغنَائم التي غنمتها أنتَ وأصحابك يَوم بدر لمَنْ هي ، فقُلْ هي لله ولرَسُوله .

روي عن عبادَة بن الصَامت قَالَ : خَرَجَ رَسُول الله صلى الله عليه وَسلم إلى بدر فلقوا العدوّ ؛ فلمَا هزمهمْ الله اتبَعتهمْ طائفة منَ المُسلمين يقتُلونهمْ ، وأحدقت طائفة برسُول الله صلى الله عليه وسلم ، واستوْلت طائفة على العسكر والنهب ؛ فلمَا نفى الله العدوّ وَرَجَعَ الذين طلبُوهمْ قالوا : لنَا النفل ، نَحنُ الذين طلبنا العدوّ وبنا نفاهم الله وَهزمهم . وقال الذين أحدقُوا برَسُول الله صلى الله عليه وَسلمَ : مَا أنتمْ أحقّ به منّا ، بَل هوَ لنَا ، نَحنُ أحدقْنا برَسُولِ الله صلى الله عليه وسَلمَ لئلا يَنال العدوّ منهُ غرّة . وَقال الذين استولوا على العسكر والنّهب : مَا أنتمْ بأحق منّا ، هُو لَنا ، نحنُ حَوَيْنَاهُ واستوْليْنا عليه ؛ فأنزل الله عزّ وَجلّ : \" يَسألونكَ عَن الأنفال . قُل الأنفالُ لله والرّسُول فاتقُوا اللهَ وأَصلحوا ذاتَ بَينكُمْ وَأطيعُوا اللهَ ورَسُولهُ إنْ كُنتمْ مُؤمنين .

ومع الأيام الأولى بدأت هجمات عسكرية متفرقة على القرى صاحبها التهجير القسري للسكان المدنيين، بالأضافة الى الحجز غير القانوني في القلاع المتروكة والنائية وفي معسكرات ومجمعات مسيجة، بالأضافة الى الحجز في سجون رسمية ومقرات لقواطع الجيش الشعبي بعيدة عن اماكن سكناهم، ومصادرة الأموال المنقولة.

وضمن خطوط البداية التي سبقت عمليات الأنفال، أصدر علي الكيمياوي الحاكم العسكري العام أوامره باستعمال الأسلحة الكيمياوية المحرمة، حيث القيت القذائف التي تحمل الرؤوس الكيمياوية على وادي بالسيان وشيخ وسان جنوب راوندوز، كما لم يتوان قادة الفرق والفيالق حسب أوامر علي الكيمياوي من استعمال الغازات السامة، نتج عن كارثة بشرية في أصابة العديد من المدنيين وموت اعداد كبيرة منهم بتأثير هذه السموم، واستلمت المستشفى ٥٠٠ جثة نتيجة الإصابات الكيمياوية التي سجلها الأطباء وقيدتها سجلات الأمن (وسجلت الوفيات تحت باب دفتر تسجيل الأشخاص المقتولين في أربيل)، كما تم تسليم المستشفى ٣٠٠ جثة بأوامر جهاز الأمن كانت عليها جميعها اثار إصابات باطلاقات نارية متعددة ، كان قسم من الجثث مربوطة العينين برباط قماش كما انتزعت منها الساعات والهويات والمقتنيات الشخصية حيث تم تقييدها أرقام دون أسماء.

في ربيع ١٩٨٧ تم مسح ٧١١ قرية كردية، منها ٢١٩ قرية في منطقة أربيل، و١٢٢ منها في السهول المحيطة بكرميان، و٣٢٠ قرية في مناطق السليمانية وفي

مناطق بهدينان، و٥٠ قرية في دهوك، بواسطة قوات المشاة والبلدوزرات.

في ١٠ نيسان ١٩٨٧ أصدر علي الكيمياوي بأمر من صدام أوامره بإعدام أقارب الدرجة الأولى للمقاتلين الكرد، تمت المباشرة بتنفيذ الأمر بموجب رسالة مديرية أمن منطقة الحكم الذاتي المرقمة ١٠٦٣٠٩ السري والشخصي والمؤرخة في ١ مايس ١٩٨٧ فيما يتعلق بتصفية أقارب المقاتلين، ووفق هذا الأمر الغريب تمت تصفية عشرات الآلاف من الأبرياء بجريرة أنتساب أولادهم ورجالهم الى قوات البيشمركة.

كما أصدر علي الكيمياوي أمراً أخر بضرورة إعدام الجرحى بعد التأكد من عدائهم للسلطة الصدامية وتم تنفيذ الأمر فعلياً .

وتمت محاصرة القرى بمنع وصول المواد الغذائية منها أو اليها، كما منع انتقال الأشخاص ووصول الاليات والتراكتورات وجرى تهجير السكان لأسباب زعم أنها أمنية وخططت مناطق موت وقتل في المنطقة تحكمها القطعات العسكرية والقرارات الأنفعالية .

ضمن الفترة بين ٢٣ شباط الى ١٩ آذار من العام ١٩٨٨ يفصل ٢٤ يوم في الانفال الاولى لمنطقة سەرگەڵوو بەرگەڵو، كانت فيها كل دقيقة ترتكب جريمة، بل لن نتطرق الى الأرقام لئلا تختلط الأمور مع عدد قذائف الراجمات التي استعملها الجيش ضد السكان المدنيين من أهل القرى، بالإضافة الى سيول الرصاص التي وجهتها مدافع الطائرات الرشاشة مصحوبة بقذائفها وصواريخها، مع استعمال طائرات الهيلكوبتر السمتية.

وضمن الفترة من ٢٢ آذار ولغاية ١ نيسان ١٩٨٨ توسعت الهجمات الكيمياوية لتمتد الى منطقة قرداغ، كانت السلطة قد اخلت اغلب مناطق مركز القضاء وتم حجز اهلها في مجمع النصر وزراين واستولى الجيش على البلدة، وقتل نتيجة القصف الكيمياوي اعداد كبيرة من الفلاحين الذين شموا رائحة التفاح المنبعثة من الغازات، بينما كانت الراجمات مستمرة في إطلاق صواريخها، حتى امتد القصف ليشمل قرية دوكان ، ولم تسلم الحيوانات الأليفة والهائمة والدجاج من شظايا الصواريخ وانفلاق القنابل .

ونتيجة القصف فر المدنيين بما استطاعوا من حمله مع عوائلهم، تلقتهم القوات المسلحة حيث قامت بتصنيفهم، واقتيد الشباب منهم الى أماكن لم تزل مجهولة حتى اللحظة، ولم يتم العثور على جثثهم حتى اليوم، كما تم التحقيق مع الباقين الذين صدقوا قرارات العفو التي اصدرتها السلطة كمصيدة لهم، وكانت المشكلة لاتكمن في أعداد المعتقلين، انما المشكلة في مصير هؤلاء الذين لانجد تبريرا سوى القضاء عليهم قتلاً بالرصاص من قبل قوات السلطة الصدامية ودفن جثثهم في مقابر مجهولة حتى اليوم.

تعرضت منطقة كرميان الى الأنفال للفترة من ٧ نيسان الى ٢٠ نيسان ١٩٨٨، حيث اقتحمت الوحدات العسكرية القرى الواقعة ضمن محيطها، واقتيد مئات الرجال الى نقطة التجمع المحددة، بعد تدمير وحرق ١٢٠ قرية، واختفت اعداد كبيرة من أهالي تلك القرى وخصوصاً قرى (زنكنة) التي أوجعتها

السلطة بالقتل والتخريب والتدمير، حيث تم تنفيذ الأعدام بكل رجل تم القبض عليه في تلك النواحي.

صاحب تلك العمليات الإجرامية والعشوائية، والتي نعتقد جزماً أنها كانت بقصد التخلص من الشعب الكردي تدريجيا وبصمت من خلال حملات ابادة منظمة ومستمرة، وباستغلال القوات المسلحة وقدراتها التسليحية والقتالية، صاحب ذلك نهب للممتلكات وسرقة الأموال تحت ذريعة الأنفال التي فهمها الطاغية صدام بهذا الشكل.

في مراكز التجمع حيث يقوم الناس بتسليم انفسهم انسجاما مع قرار بالعفو كان قد أصدرته السلطة وأذيع على الناس، وكان المصيدة التي حصدت رقاب من يسلم نفسه، حيث كان القرار كاذباً وخديعة لإيهام الناس، بالإضافة الى الكماشة المنصوبة لقتل كل قادر على حمل السلاح، وهذه المسألة التقديرية تقررها اجهزة الاستخبارات والأمن، مع إن اوامر القتل شملت العديد من النساء وكان من بينهن ليس فقط الحوامل، وانما من كانت تحمل رضيعها على صدرها أو من كانت حديثة الولادة.

أنفال وادي الزاب الأسفل للفترة من ٣-٨ مايس ١٩٨٨، بالأضافة الى تعرض المنطقة للقصف الكيمياوي، فقد تم القبض على الأطفال والشباب الذين كانت اعمارهم بين ١٥-٢٠ الفارين من القصف الكيمياوي من قبل اجهزة الأستخبارات، وتم تنفيذ الأعدام بهم وإخفاء جثثهم ، ومن اللافت للنظر انه تم اختفاء اعداد كبيرة من النساء من مختلف الأعمار في هذه المنطقة.

جبال شقلاوة وراوندوز تم تنفيذ الأنفال بها بين ١٥ مايس — ٢٦ آب ١٩٨٨، تم اكتساح المنطقة من قبل قوات الجيش، وجرت تخلية قرى عديدة من سكانها، وتعرضت القرى الأخرى الى الهجمات الكيمياوية، وتعرضت اعداد ليست قليلة من الناس الى الموت بالغازات كما نفقت الحيوانات بتأثير ذلك، واستسلمت اعداد أخرى من المدنيين في قرية كولان، وتوضح تقارير الأمن إن اعداد كبيرة منهم تم تسلمهم من قبلها، غير إن مصيرهم لم يتم التعرف عليه لحد اليوم.

الأنفال الأخيرة تمت في منطقة بهدينان من ٢٥ آب الى ٦ أيلول ١٩٨٨، أشتركت في تنفيذ المهمة من ١٤ — ١٦ فرقة عسكرية بمعدل ١٢ الف جندي لكل فرقة بالأضافة الى فوج الأسلحة الكيمياوية ووحدات القوة الجوية والجحوش، بدأ القصف الجوي الكثيف، ثم اعقبته القنابل الكيمياوية، وتم انتشار القوات المسلحة حيث تم تفتيش بيوت القرى الذين تعرضوا للقتل العشوائي ودون سبب، وكانت الأساليب المعتمدة في الأنفلة قاسية وشديدة، وشوهدت القطعات العسكرية وهي تقود مجاميع من الشباب مقيدي الأيدي وتم قتلهم بالرصاص ومن ثم دفنهم دون تحقيق أو محاكمة، وكانت السيارات العسكرية (نوع أيفا) تقوم بنقلهم من اماكن التجمع الى ساحات التنفيذ، وقد هلك نتيجة الغازات السامة والجوع والتعرض لسوء الأنواء الجوية ونقص الأدوية العديد من المدنيين، وان التعليمات كانت تقضي بقتل كل من يسلم نفسه من المقاتلين الكرد حتى ولو كان مشمولا بالعفو.

غير الأعداد التي تم القضاء عليها ميدانياً تحت أمر قادة الأفواج والفرق

ودوائر الاستخبارات العسكرية، فقد جرى تسليم أعداد أخرى الى دوائر الأمن للتحقيق معهم، ولكن الأمر يبدو عصياً حين لا نتعرف على ضوابط التسليم للأمن والأسباب الحقيقية لذلك، غير أن هذه الأعداد انشطرت الى قسمين، الأول منهما ماتم تنفيذ الحجز والأبعاد بحق الرجال الى صحراء السلمان والى معسكرات الجيش الشعبي في تكريت وسجن النساء في الموصل بالنسبة للنساء والى معسكرات مسيجة واماكن اخرى، فأن ما بقي من أعداد لم يتم التعرف على مصيرهم ولم تسجلهم سجلات الأمن في تلك المنطقة.

يقينا أن عفواً عاماً صدر من السلطة، وهذا العفو بمثابة القانون النافذ الواجب الاحترام من قبل السلطة الذي أصدرته قبل غيرها، الأمر قد يبدو غريبا حين تلجأ السلطة الى استعمال اساليب الخديعة والحيلة وتوهم الناس بالعفو لتقبض عليهم وتقرر إعدامهم. ولم يسجل التاريخ القديم والحديث قيام سلطة ما بالضحك على الناس من خلال إصدار قرارات والنكول عنها بقصد قتلهم والقبض عليهم، ثمة أمر يبدو انه يتطابق مع أنتهاكات القوانين العراقية، يتعلق بسوء استعمال المنصب أو استغلال السلطة إن المتهم صدام أستغل القوات المسلحة لارتكاب جرائم الأبادة الجماعية.

وجريمة الأبادة الجماعية تعني قتل المدنيين والعسكريين من أبناء الشعب الكردي في مجازر الأنفال، بالأضافة الى الحاق الأذى والضرر الجسدي بأفراد منهم، واستعمال الأسلحة الكيمياوية المحرمة دولياً، واخضاعهم عمداً لأحوال معيشية يقصد بها أهلاكهم الفعلي كلياً أو جزئياً.

تم حجز أعداد من البشر وابعادهم ونقلهم القسري عن مناطق سكناهم، بالأضافة الى حجز حرياتهم وحرمانهم من ابسط الحقوق الإنسانية بما يخالف القواعد الأساسية للقانون الدولي وتعريضهم الى ظروف الهلاك وتعمد إحداث المعاناة اللاأنسانية، وفي مخيمات الحجز كانت تلغى الحقوق الإنسانية وتنتهي أدمية الإنسان، مع أستمرار تجريف القرى والبساتين، هذا مع أستمرار التدقيق في هويات وشخصيات المحجوزين واقتياد من ترى السلطة أن له علاقة بالمقاتلين أو تشتبه به ليذهب الى مصيره المجهول دون إن يتعرف احد على مصيره.

بقيت حملة الأنفال تحصد أرواح المدنيين من الكرد لغاية حزيران ١٩٨٩، وخلال تلك الفترة أرتكب الطاغية بأوامر مباشرة منه وبتعزيز من أوامر الحاكم العسكري العام علي حسن المجيد وبواسطة آلة التنفيذ المتمثلة بقوات الحرس الجمهوري والقوة الجوية وأجهزة الأستخبارات العسكرية والأجهزة المساندة، العديد من الجرائم التي طالت مئات الالاف من المدنيين الأبرياء، وتم استعمال الأسلحة المحرمة دولياً بما فيها الأسلحة الكيمياوية والغازات السامة، وارتكاب جرائم الأعدام لكرد مقاتلين دون محاكمة أو تحقيق بل ودون تهمة في احيان كثيرة، بالأضافة الى الأستيلاء على الممتلكات المنقولة لأهالي القرى التي تعرضت لعمليات الأنفال دون وجه قانوني، والقيام بتجريف البساتين وتهيم البيوت السكنية

وقتل الحيوانات في هذه المناطق، وحجز المدنيين ونقلهم الى محاجر ومخافر وقلاع محددة ، بالاضافة الى التعمد على اجبار المواطنين لتغيير قوميتهم من الكوردية الى العربية قسراً.

كانت النتيجة تتحدث عن قتل واختفاء ١٨٢٠٠٠ مئة واثنين وثمانين الف انسان وتدمير ٤٠٠٠ اربعة الاف قرية كوردية قسم كبير منها مسح من الارض والبقية لم تزل اثارها واطلالها باقية غير أنها لم تعد صالحة للسكن فاعيد ترميمها وسكنها الناس بعد تصويرها وتوثيق خرابها.

ونجد أن الأتفاقية الدولية الخاصة بمنع جريمة الأبادة الجماعية (الجينو سايد) والمعاقبة عليها الصادرة من الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها المرقم ٢٦٧٠ والمؤرخة في ٩ كانون الأول ١٩٤٨، والنافذة بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٥١، والتي صادقت عليها جميع الأطراف بما فيها العراق، حيث تشكل جريمة الأبادة الجماعية التي ترتكب عن نية لإبادة كل أو جزء من مجموعة بشرية وطنية اثنية عرقية أو دينية، سواء ما أرتكب منها في زمن السلم أو الحرب من جرائم القانون الدولي، وتشكل الجرائم المستمرة التي سميت (مجازر الأنفال)، صورة مطابقة لفقرات هذا القرار الدولي، ولا تعتبر مثل هذه الجرائم من الجرائم السياسية وفقاً لمعايير القانون الدولي والاتفاقيات الجارية ووفقاً للقانون الوطني، كما يمكن ملاحقة المتهمين الهاربين خارج العراق طبقاً لهذا النص بتلبية طلب تسليمهم للعراق لمحاكمتهم وفقاً للقوانين العراقية والاتفاقيات الدولية، وتتم محاكمة مرتكبي هذه الجرائم بمقتضى نص الفقرة (٦) من القرار المذكور أمام محكمة مختصة من محاكم الدولة العراقية التي تم ارتكاب الجرم فيها وعلى أرضها ويتحقق بذلك الاختصاص المكاني، وعند تعذر ذلك يصار الى أحالة القضية الى محكمة جزاء دولية تكون ذات اختصاص أزاء من يكون من الأطراف المتعاقدة قد أعترف بولايتها.

كما ألحق القرار الدولي بقرار أخر برقم ٢٣٩١ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٨ وأصبح نافذاً بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٧٠، اتفق فيه على عدم تقادم الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية وجرائم الحرب وجرائم الأبادة الجماعية بصرف النظر عن وقت ارتكابها، أي أن هذه الجرائم لاتسقط مهما تقادم ومرعليها الزمن.

كما قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها المرقم ٣٠٧٤ في ٣ كانون الأول ١٩٧٣ الزام الدول بتعقب وأعتقال وتسليم المتهمين بارتكاب مثل هذه الجرائم ، وتؤازر الدول بعضها وتتعاون في جمع الأدلة والمعلومات، ولا يجوز للدول منح ملجأ لأي شخص توجد دواع جدية للظن بارتكابه مثل هذه الجرائم، وبهذا فلا يجوز إضفاء أي نوع من الحماية القانونية على هؤلاء المتهمين، بما فيها عدم جواز منحهم اللجوء السياسي أو التحجج باكتساب عدد منهم غير الجنسية التي كان يتمتع بها عند ارتكابه الجريمة أو اشتراكه بتنفيذها.

توفرت في هذه المجازر الإنسانية جميع القرائن والأدلة والبراهين التي تثبت صحة أرتكاب الفعل، وتم تحديد المسؤولية أثناء عمليات التحقيق الأولي، كما تم تثبيت المقابر الجماعية التي استطاع فريق التحقيق التوصل اليها، وهي تشكل جزءا من المقابر

التي تضمها جثث المغدورين، كما تم تشخيص هويات هذه الجثث.

توفرت في عملية التحقيق الأشرطة الصوتية والصورية، والقرارات الصادرة عن المتهم صدام شخصيا وتعليماته الكتابية أو الشفهية أو مكالماته بصدد الأستمرار في ارتكاب عمليات الأنفال الإجرامية واناطة المسؤوليات المباشرة بالمتهم علي حسن المجيد، بالأضافة الى الاعترافات الصريحة التي تم توثيقها وتصديقها من قبل سلطة التحقيق لعدد من المتهمين والشهود والمتضررين والمدعين بالحق الشخصي، وما يعزز الأدلة المخاطبات الرسمية المعثور عليها، والتي تبادلتها الأجهزة الأمنية واستخبارات الجيش والحزب البائد، مع تقارير الأطباء العدليين وفرق اطباء حقوق الانسان وهيئات البحث التقصي عن المقابر الجماعية، وما سيظهره التحقيق القضائي اثناء المحاكمة.

أن أنشاء المحكمة الجنائية العراقية العليا وفقاً للتشريع العراقي وحصر تخصصها في النظر بجرائم محددة منها جرائم الأبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وأنتهاكات القوانين العراقية، وخضوع آلية العمل القضائي فيها الى نصوص قانون اصول المحاكمات الجزائية، وتشكيل هيئة تمييزية تكون المسؤولة عن تدقيق قرارات المحكمة وأحكامها، بالأضافة الى صدور قواعد الأجراءات وجمع الأدلة الخاصة بهذه المحكمة ونشرها في الجريدة الرسمية بتاريخ ١٨ تشرين الأول ٢٠٠٥، يعزز من تمسك المحكمة بنصوص القوانين النافذة ويجعلها من المحاكم العراقية الشرعية والقضائية التي تتخصص في النظر بنوع معين ومحدد من الجرائم، بل يتوسع عمل المحكمة لتحكمها مبادىء القانون الجنائي العامة، وعند عدم وجود نص قانوني في القوانين النافذة يتم تطبيق قانون العقوبات البغدادي النافذ للفترة التي سبقت نفاذ قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩، وقانون العقوبات العسكري رقم ١٣ لسنة ١٩٤١، والأستعانة بأحكام المحاكم الجنائية الدولية عند تفسير الأحكام والقوانين.

وأزاء الجرائم المستمرة التي كان القانون يوجب تفريقها الى عدة قضايا، فأن القاعدة ٢٢ الخاصة بتعدد الجرائم في قواعد الأجراءات وجمع الأدلة الخاصة بالمحكمة الجنائية العراقية العليا، الزمت المحكمة من أنه أذا نسب الى متهم جرائم متعددة أن تتخذ بحقه الأجراءات وفقا للمادة (١٣٢) من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ٧١، وجواز احالة المتهم بأكثر من جريمة على المحكمة بقضية واحدة، حيث أشترط النص أن تكون تلك الجرائم المتهم بها المحال معاقب عليها بمادة واحدة ومن قانون واحد.

وإزاء ما تقدم فأن سلطة التحقيق استكملت إجراءاتها في قضية الأنفال (مجازر الأنفال الجماعية)، ووجد قاضي التحقيق أن الأدلة المتوفرة ضد المتهم صدام وعلي حسن مجيد وبقية المتهمين الحالين كافية للإحالة على المحكمة الجنائية العراقية المختصة استنادا الى نص الفقرة ثالثا من المادة ١٨ من قانون المحكمة، واستنادا للفقرة ب من المادة ١٣٠ من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

المسؤولية القانونية عن جرائم الأنفال



الدكتور منذر الفضل

أصل كلمة الأنفال يعود الى الآية القرآنية ((ويسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول...)) وهي تعني غنائم الحرب التي يقتسمها المقاتلون في غزواتهم على الكفار..! وفي هذه الغزوات تستباح فيها كل المحرمات فضلا عن نهب الأموال والقتل والسلب والنهب. والأنفال من الناحية اللغوية تعني النافلة أي الغنيمة الناتجة عن الغزو، وقد إستخدم نظام البعث بقيادة الطاغية صدام هذه الكلمة في إرتكاب سلسلة جرائم ضد الشعب الكوردي تنفيذا لمنهج عقيدة البعث التي تمثل خليطا من الفكر العربي النازي وفي ثقافة الفرهود الناتجة عن البداوة. ولا شك ان كل ما يكتب من دراسات وبحوث ومؤلفات عن هذه الجرائم والقصص البشعة التي وقعت قبل وأثناء وبعد وقوعها يظل قليلا قياسا الى حجم المجازر التي لا يستطيع ان يصدقها العقل البشري من حيث القسوة المفرطة والاعمال اللاإنسانية التي وقعت من الفاعلين لها.

ومن الطبيعي أن جميع الشرائع، سواء تلك المنسوبة الى السماء أم الى صنع البشر من قوانين دولية أم محلية وأعراف وقيم أخلاقية تحرم إرتكاب هذه الجرائم أيا كانت التبريرات ومهما كانت الدوافع مما يقرر قيام المسؤولية القانونية للفاعلين والشاركين والمنفذين والمخططين لها.والمسؤولية تعني المؤاخذة او المحاسبة

وحين نقول المسؤولية القانونية تعني محاسبة القانون الجنائي للمتهمين بهذه الجرائم بايقاع العقاب عليهم وفقا لخطورة الفعل ونتائجه وهي مايطلق عليه بالمسؤولية الجنائية وكذلك تعني المسؤولية المدنية اي تلك التي ينص عليها القانون المدني وهي دفع التعويض للمتضررين من هذه الجرائم طبقا لقواعد العدل والعدالة. ولذلك حين نقول هنا المسؤولية القانونية عن جرائم الآنفال نقصد بذلك: محاسبة الفاعلين لهذه الجرائم المنصوص على عقوباتها في القانون حسب جسامه الفعل لكل متهم وتعويض الضحايا تعويضا ماليا ومعنويا عن الاضرار التي لحقت بهم وفقا لقواعد القانون الدولي وللقانون الوطني في العراق.

وجرائم الأنفال هي سلسلة العمليات العسكرية التي قامت بها القوات المسلحة العراقية حيث تشير الوثائق وجميع الآدلة المتوفرة الى قيام الفيلق الآول ومقره كركوك والفيلق الخامس ومقره أربيل مع قوات الحرس الجمهوري وقوات المغاوير وقوات الآمن والطوارئ مع قوات اخرى بشن أعنف هجوم منظم بلغ ذروته في القسوة خلال الفترة من ٢٢ شباط عام ١٩٨٨ ولغاية ٦ إيلول ١٩٨٨ وقد توزعت هذه الفعاليات الاجرامية على ثماني مراحل وهي:

المرحلة الاولى: الهجوم على قره داغ

المرحلة الثانية: الهجوم على مناطق سركلو وبركلو

المرحلة الثالثة: الهجوم على كرميان (أعنف هجوم راح فيه عشرات الالوف من الضحايا)

المرحلة الرابعة:الهجوم على حوض الزاب الصغير

المرحلة الخامسة والسادسة والسابعة: الهجوم على المناطق الجبلية حول أربيل

المرحلة الثامنة: الهجوم على بهدينان بعد توقف الحرب بين العراق وايران

واذا نظرنا الى حجم الوثائق التي بلغت ملايين الآدلة المكتوبة والمسموعه والمرئية والتي تم العثور عليها عقب الآنتفاضة الباسلة عام ١٩٩١ والتي عثر عليها في المقرات الحزبية للبعث وفي مقرات الآمن والاستخبارات والمخابرات والاجهزة الحكومية التابعة لنظام صدام فانه يمكن القول بدون تردد ان ما حصل من مجازر الابادة ضد الكورد وكوردستان يشكل بحق (هولوكوست او محرقة ضد الشعب الكوردي) وهذه المحرقة ستشكل معلما او شاهدا على جرائم النازية العربية ضد شعب أمن ومسالم يعشق الحرية والحياة الحرة الكريمة ويرفض العبودية مهما كان شكلها وأيا كانت صورها.

وقبل ان نبين طبيعة هذه المسؤولية والفاعلين لهذه الجرائم لابد ان نشير هنا بأن جريمة حلبجة التي حصلت يوم ١٦ آذار ١٩٨٨ كانت جريمة مستقلة في أركانها القانونية وقد وقعت خلال الفترة الزمنية لجرائم الآنفال وسوف تنظرها المحكمة الجنائية العراقية المختصة كجريمة مستقلة عن واقعه الانفال، كما نشير الى ان نظام صدام المقبور قام في عام ١٩٨٣ باحتجاز ٨ الاف بارزاني من قرية قوش تبه قرب أربيل ومن مناطق اخرى ولم يعرف لهم أي أثر حيث قام النظام بدفنهم أحياء تنفيذا للسياسة الاجرامية التي خطط لها ونفذها صدام وزمرته كجزء من عملية إبادة الشعب الكوردي ومحاولة قتل الحركة التحررية الكوردية التي قادها شيوخ بارزان وفي المقدمة القائد الخالد طيب الذكر مصطفى البارزاني الذي اشعل فتيل الثورة الكوردية في ١١ إيلول ١٩٦١ وقد تم العثور على

بعض هذه الجثث في قبور جماعية في صحراء السماوة جنوب غرب العراق ونقل رفات الذين عثر على أماكن قتلهم الى كوردستان في إحتفال مهيب في ربيع عام ٢٠٠٥ بعد جهود مضنية قام بها الصديق الدكتور محمد إحسان وزير حقوق الانسان في حكومة أقليم كوردستان. ومن الجدير بالذكر ان من بين ضحايا النظام الدكتاتوري ٣٧ شخصا من عائلة الرئيس مسعود البارزاني حيث قتلهم صدام دون ذنب غدرا.

أن أية جريمة لها فاعل ومسرح يشمل المكان الذي حصلت عليه الافعال وزمان للوقوع وضحايا من هذه الأفعال التي ينص على تجريمها القانون سواء أكان القانون الدولي أم القانون الوطني وإذا حصل تعارض بينهما فان الاولية ستكون لقواعد القانون الدولي الانساني ومن ذلك مثلا لو ان القانون الوطني سواء أكان القانون الاساسي (الدستور) او القانون ينص على جواز التمييز العنصري او استعمال القوة المفرطة او القسوة بحجة حماية الوطن او وحدته او غير ذلك فان هذا النص لا يضفي الشرعية على الافعال مطلقا ولا يعفي الفاعلين من المسؤولية أبدا وهذا ما حصل بالنسبة للجرائم الدولية التي ارتكبت ضد الكورد في كوردستان وضد الشيعة العرب في وسط وجنوب العراق وضد الاحزاب والحركات السياسية التي عارضت النظام المقبور حيث ان ما أرتكب من جرائم من النظام الصدامي المقبور لا يوجد له اي سند دستوري ولا قانوني مطلقا لتعارضه مع القواعد العامة للقانون الدولي وللاتفاقيات الدولية التي وقع عليها العراق.

الجرائم والمتهمون في العمليات العسكرية في الانفال

تبين من الوثائق والأدلة المتعلقة بجرائم الأنفال والبالغة حوالي ١٨ طن الى ان الافعال من المتهمين الرئيسيين في ارتكاب سلسلة جرائم تتمثل في ما يلي:

١-قتل ١٨٢ الف شخص مدني من الكورد بطريقة تماثل الاساليب النازية حيث تم فصل الاطفال عن الامهات والنساء عن الرجال وتمت إبادتهم بسبب قوميتهم لانهم من الكورد وجرى إعدام مئات الاشخاص دون محاكمة ولا ذنب مقترف منهم بحجة حماية الوطن من (المخربين والعملاء ووو..). ولا يعرف حتى الآن مصير هؤلاء الاشخاص ولا مكان قبورهم الجماعية.

٢- تدمير ما يقارب ٤٥٠٠ قرية حدودية وغير حدودية بحجة الحفاظ على الأمن خلال الحرب الدائرة آنذاك بين نظام صدام وإيران.

٣- تهجير الكورد من مناطق سكناهم وإجبارهم على السكن في مناطق محددة قسرا.

٤-زرع حوالي ١٠ ملايين لغم أرضي ضد الاشخاص في كوردستان.

٥-تدمير العيون والكهاريز التي تشكل مصدرا للمياة للسكان في السقي والشرب.

٦-تجريف البساتين وتدمير الاشجار والزرع.

٧-جرائم الاختفاء القسري للبشر حيث بلغت اعداد المختفين في ظل نظام صدام أعلى رقم في العالم منذ سقوط النازية طبقا لتقارير منظمات حقوق الانسان ومنظمة العفو الدولية.

٨-لا تسقط هذه الجرائم بمرور الزمان استنادا الى اتفاقية عدم التقادم (قرار رقم ٢٣٩١في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٨ النافذة في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٠)..

الأنفال



زهير الجزائري

وأنا أنظر للجريمة من عين الجلاد مفارقا الضحية أحاول أن أدخل الخيال الذي اختار عنوان سورة (الأنفال) اسما لهذه الحملة الدموية. تتحدث هذه السورة عن معركة حدثت في بدايات الإسلام، في العام الثاني بعد الهجرة وبعد معركة بدر بشهر. المعركة غير متكافئة بين الصحابة البالغ عددهم ٣١٣ رجلا متعبين بعد عبور الصحراء في رحلة استغرقت ثلاثة أيام بلياليها وبتجهيزات عسكرية فقيرة، وبين جيش قريش المكون من ٩٥٠ مقاتلا مدججا بالأسلحة. الواضح من السورة إن الشك راود الصحابة في إمكانية النصر، ولكن النبي، وبعد صلاة صعبة على حافة المعركة، أعطى أنصاره وعدا بالنصر لأن ملائكة الله سيقاتلون المشركين إلى جانب أنصاره. هذا الوعد أعطى للمسلمين الأوائل دفعا معنويا فقاتلوا جيش قريش وانتصروا عليهم٥. ليس في الواقعة التاريخية ما يشكل مثلا للحملة الدموية التي قادها حسن المجيد، لا في التوازن العددي ولا في طبيعة المواجهة. فالقوات الحكومية كانت ٢٠٠ ألفا من القوات الخاصة المدعومة بالدبابات والطيران مقابل بضعة آلاف من قوات البيشمركه بأسلحة خفيفة ومتوسطة، ولذلك تركزت الحملة على السكان المدنيين وبالتحديد الشيوخ والنساء والأطفال. لم تكن الواقعة التاريخية نفسها واردة في مخيلة القاتل، لكن هذه السورة

زاخرة بمفردات العنف والموت: (يساقون إلى الموت، يقطع دابر الكافرين، ولو كره المجرمون، سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، فاضربوا فوق الأعناق، واضربوا كل بنان، شديد العقاب، جهنم وبئس المصير، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، فأمطر علينا حجارة من السماء، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، إلى جهنم يحشرون، واقتلوهم، ليهلك من هلك من بينة، ذوقوا عذاب الحرق...)٦ ولم تكن هذه المفردات جديدة على خطاب النظام، فمن يرجع إلى بيانات الحرب مع إيران سيجد أن تحولا من مفردات الخطاب القومي الى مفردات الخطاب الديني قد بدأ في السنوات ما بعد عام ١٩٨٦ سواء في أسماء المعارك وديباجات بياناتها، ولكن استخدام آيات القرآن اقترن صار غطاء للعنف الداخلي والخارجي. وكانت (سورة الأنفال) الينبوع الذي يغرف منه صدام حسين بالذات مفردات الحرب، منها ومن مفردات الحروب القديمة اخذ عبارة (قطع البنان) التي أصبحت كناية لازمة عن القتل. وكانت الصحف الرسمية تتفنن في إيجاد تشبيهات بين حجارة السجيل والقصف الجوي على المدن، وجهنم الله وصواريخ أرض _ أرض، وغارات الطيران وطير الأبابيل.. لم يأخذ النظام في خطابه من القرآن غير المفردات التي تتسم بالقسوة والعنف في سبيل إيجاد غطاء ديني لجرائمه.

ورغم العودة الى نقطة الصفر في الحرب الخارجية مع ايران بعد نصف مليون قتيل، فقد اعتبر النظام نفسه منتصرا، والخطوة التالية هي الانتصار على امتداد العدو في الداخل وطبق ذلك عمليا بقرار مجلس قيادة الثورة في ٢٥-٤-١٩٨٧المعنون بـ(حسم نشاط المخربين). وبالنسبة لمن وقع القرار (صدام حسين) وللرجل المختار لتنفيذ هذه المهمة والمختص بتطهير القطاعات البشرية (علي حسن المجيد) لا تعني كلمة المخرب شخصا محددا قام بعمل تخريبي محدد ضد الدولة، إنما كل من يحتمل أن يصبح مخربا أو من يمكن أن يقدم دعما لوجستيا لمخرب، أي باختصار المخرب زائدا المحيط السكاني الذي خرج منه ويمكن أن يلجأ إليه.

ولتحديد المجموعة البشرية التي يجب افناؤها ليست هناك مناسبة افضل من عملية الاحصاء السكاني التي جرت في ١٧ تشرين الاول ١٩٨٧. كانت عمليات الاحصاء التي شهدها العراق منذ الاستقلال، مرة كل عشر سنوات، احصائية بحتة. في عهد البعث أخذت هذه العمليات طابعا أمنيا مع تركز المراقبة الأمنية على الناس وعمليات التهجير والتغيير السكاني، حيث انطوت اوراق الاستفتاء على أسئلة لاتتعلق بمواطنة المواطن فقط، انما ايضا باعتقاداته واعتقادات أقاربه لمعرفة مدى ولائه للسلطة. في كردستان كانت هذه العمليات تجري مع تغيير الطابع السكاني بوضع الكرد أمام خيارين: إما التسجيل كعرب، أو الخضوع لملاحقة الدولة ومعسكرات اعتقالها في المجمعات. وعلى الباقين، من تركمان وكلدان وآشوريين ويزيديين الخيار بين قوميتين لاعلاقة لهم بها (كرد أو عرب). ويحرم الذين رفضوا الخيارين من حق المواطنة العراقية. عمليات التطهير الربيعي التي سبقت الاحصاء كونت حزاما مفرغا من أية حياة بين المناطق الخاضعة

للسلطة والمناطق الخاضعة للبيشمركه. قبل الاحصاء عرض حاكم الشمال العسكرى على سكان المناطق الخاضعة للبيشمركه انذارا نهائيا: (للعودة للصف الوطني)! وكان معنى ذلك لسكان القرى ترك بيوتهم ومزارعهم والعودة للمجمعات المشؤومة الواقعة تحت سيطرة قوات الامن، و ماحدث لمدينة حلبجه وقبل ذلك مصائر البارزانيين الذين غابوا عن الوجود ماثلة أمامهم. وإذا لم يعودوا الى (الصف الوطني) ويشملوا بالاحصاء فقدوا مواطنيتهم ولن يعودوا موجودين. لم تكن للولاءات السياسية السابقة صلة بالمشمولين بالحملة، ولا بخطوط المعركة الجديدة. فقد ابلغ حسن المجيد اجتماعا لكبار مسؤولي حزب البعث (قلت للمستشارين- المقصود بهم قادة الافواج الخفيفة- اذا كان الجحوش يحبون قراهم ولا يريدون مغادرتها، فانني غير مستعد لابقاء هذه القرى، بل ساهاجمها بالاسلحة الكيمياوية وانذاك سيموتون هم وعوائلهم) ٧. ولم تقتصر عملية الافناء على المجموعات الخارجة عن سيطرة السلطة، فقبل أن يبدأ الاحصاء جرت عمليات تهجير مئات من عوائل البيشمركة الى المناطق التي ستشملها عمليات الانفال. جريمه جينوسايد نموذجية: تبدا بانكار الحق القومي او الديني لمجموعة من الناس، ثم إنكار وجود هذه المجموعة عقائديا، وينتهي الامر بافنائها جسديا.

وقد بدأ تنفيذ الخطة على ثماني مراحل تمتد من شباط الى ايلول ١٩٨٨ واستمرت حتى مطلع عام ١٩٨٩. وقد اتبعت الحملة اسلوب الابادة الجماعية التقليدي الذي يقوم على الثوابت الثلاث: تحديد – حجز – ابادة. لكن النظام العراقي اضاف لهذه الثلاثية الثابته بادرة جديدة كونه اول نظام في العالم يستخدم الاسلحة الكيمياوية ضد مواطنيه. وقد استخدمت سورة الأنفال اعتمادا على الآية رقم ١١: (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) لأن الآية تنطوي على الفعل (اضربوا فوق الأعناق) وعلى الرعب الذي يثيره الفعل (إلقاء الرعب في القلوب). وأعود هنا لتعليمات كتائب فرانكو التي توصي بتشديد العقاب على مجموعات تؤوي الجمهوريين، وبضرب هذه المجموعات في مناطق تجمعها (الذعر الذي سيصيب المدنيين سيؤدي لتحطيم معنويات القوات المنسحبة). الرعب سيدفع إلى الاستسلام و يجعل أية مقاومة مستحيلة مادام كل شيء مهما كان جنونيا يبدو ممكن التحقيق من حلال هول الجريمة..الوسيلة الأمثل لاثارة هذا الرعب هي السلاح الكيمياوي الذي ارتبط باسم المجيد. البيشمركه المتمرسون تعودوا خلال عقود من مقاتلة القوات النظامية على كيفية مواجهة الجيوش النظامية بمشاتها ودباباتها وقصفها المدفعي وطيرانها، لكن استخدام السلاح الجديد الذي يسمم الهواء حولهم كان مربكا. ومع ذلك فقد هيأوا أنفسهم جزئيا له. بل ان الفصائل الوثيقة الصلة بايران حصلت على اقنعة واقية من الغازات السامة. ولكن الموقف من المواطنين كان مزدوجا يتحكم به عاملان متعارضات. ضرورة نشر معلومات حول

استخدام السلاح الكيمياوي في القرى المحيطة لوقاية السكان ومنهم عوائل المقاتلين، مقابل ذلك الخوف من ان يؤدي ذلك الى نزوح جماعي تحت وطاة الهلع. وكان موقف الاهالي محكوما بموتين: الموت في بيوتهم وقراهم الحالية اذا بقوا، مقابل الموت في المجمعات الحكومية اذا سلموا... وقد التقى الكاتب في العديد من مدن كردستان العراق بضحايا السلاح الكيمياوي. معظم المدنيين الذين نجوا: لم يتوقعوا، حتى بعد حلبجه، استخدام السلاح الكيمياوي، انما هياوا انفسهم وطريقة حياتهم مع القصف المدفعي والجوي المالوف في قرى كردستان على مدى سنوات طويلة. لذلك تركزت الاصابات على المدنيين الذين لا يعرفون مفعول الغازات الكيمياوية ولا طرق الوقاية منها، ويروون صورا مروعة لما حدث (حين فاجاتنا الطائرات وصوت الانفجارات حولنا كان البعض يقولون هذه غازات سامة، وآخرون ينفون ذلك. لم تكن غارات الطيران تعطينا فرصة لنستوضح فالطائرات لم تنقطع عن سماء القرية، واذا انقطعت سيبدأ القصف المدفعي والراجمات. اعمدة من دخان أبيض كالملح المرشوش، أو أسود مزرق، أصفر، ثم تنزل السحب الى تحت، وانذاك نشم رائحة تفاح حلو، ثم تبدأ الاعراض: ضيق في التنفس حد الاختناق، ودموع محرقة تنهمر مقرحة الاجفان حد العمى وسائل لزج ومحرق يسود الجلد ويسلخه، ونوبات ارتجاف وتقلصات حادة. أناس يدورون كالمجانين وبعضهم دخل في نوبات ضحك هستيري ثم يبدأ الموت حاصدا الاطفال أولا. تماما مثل القيامة مع فارق انها من فعل بشر).

الفيالق القادمة من جبهة الحرب مع ايران، قوات الحرس الجمهوري، قوات الطوارئ، قوات الجيش الشعبي، الافواج الخفيفة.. كل هذه القوات شكلت الكماشة اللازمة لمنع سكان القرى المضروبة من الهروب خارج الطوق. بعد ذلك بدات عمليات فصل الرجال عن النساء ثم الترحيل:(كنا نترك قرانا محشورين فوق بعضنا بعد أن اخذ رجالنا معصوبي العيون، ومن فوق كنا نرى السنة اللهب تلتهم قرانا وبيوتنا. صراخ الاطفال وصراخ النسوة يختلط بصراخ حراسنا وهم يهددوننا بمصير أسوأ من جهنم اذا لم نسكت).

لن ينسى الكرد، وبالأخص الذين عاشوا تجربة الانفال، ثلاثة أماكن مشؤومة هي:(معسكر الجيش الشعبي في طوبزاوه) القريب من كركوك، سجن النساء في دوبز الواقع عند ملتقي طريق كركوك- الموصل، وسجن نقرة السلمان في الصحراء الجنوبية الممتدة الى السعودية. في هذه المعسكرات الثلاثة وصل المرحلون وهم شبه موتى من ضيق المكان والتنفس والجوع والعطش والاحساس بالمجهول. في هذه المعسكرات انزل الرجال القادرين على حمل السلاح وأخذوا مربوطين مع بعضهم في حبال جماعية. عذبوا وأذلوا بعد أن أخبروا بقرار إبادتهم جميعا كمخربين. بعد جولات التعذيب أوقفوا على على حافة حفر طولية مهيأة مسبقا.. عيونهم مكممة ووجوههم باتجاه الحفر واطلقت عليهم النار من رشاشات متوسطة ثم غطتهم الجرافات بالتراب٨.

الشيوخ اقتيدوا الى سجن نقرة السلمان ليموتوا هناك دون رصاص، من الجوع وقلة الماء ويلقون فيما بعد طعاما للكلاب المسعورة المحيطة بالمعسكر.

أما النساء اللواتي اعتقلن في معسكر طوبزاوه فقد عشن عذابا يهون أمامه الموت بين الخوف على مصائر رجالهن الذين اقتيدوا الى جهات مجهولة والخوف على الاطفال الذين يذوون على صدورهن من قلة الحليب و يموتون بمعدل ستة أطفال في اليوم الواحد وقد حصل الكاتب على رسالة كتبت على قطعة قماش تروي كيف يؤخذ الاطفال من أيدي الأمهات ويلقون في الفر حتى قبل أن يموتوا.

الناجون الذين التقيتهم فيما بعد قالوا عن حياتهم لم يعد لها طعم بعد ما رأوه ن وما يربطهم بالحياة هو الانتظار المر لأي خبر أو معلومة عمن فقدوهم، وهم يعانون ثقل الكوابيس التي تلاحقهم دون فكاك والحلم بعدودة المفقودين لا يفارقهم ليلا ولا نهارا.

١٨٢ ألفا من المواطنين الكرد أزيلوا من الوجود في جريمة تمت بصمت دون شهود كما في رواية لمركيز.

وقد استندت عملية إخلاء الأرض من سكانها الكرد الى تبرير نظري يرى القوميات القاطنة في الدول العربية المعاصرة جاليات غريبة، لاحق لها في الأرض التي تقيم عليها (فالأرض التي تعيش عليها هذه القوميات، كانت جزء من الدول العربية التي نشأت منذ آلاف السنين، والتي كان آخرها الدولة العباسية الكبرى. وهذه الأرض هي - في الوقت نفسه موطن تلك القوميات. وعلى هذا الأساس فإن الهوية العربية للأرض التي تعيش عليها هذه الأقليات لم تأت عن طريق القهر واستعمار أو الاستلاب، إنما نتيجة للواقع التاريخي الممتد عبر آلاف السنين. ولم يكن عبر تلك الحقبة التاريخية الطويلة أي جدال أو نزاع)٩. وتنكر هذه النظرة على القوميات الأخرى حق تكوين كيان قومي، لأنها تنكر عليها الأرض التي تقيم عليها. وينسجم هذا الصهر القسري مع آلية التطبيق العملي لنظرية الحزب القائد.. فالمركزية التي تشكل الهاجس الدائم تقوم على صهر القومية الصغيرة بالقومية الكبيرة وقيادة الحزب الواحد للقومية الكبيرة وهيمنة القائد الفرد في أعلى الهرم. وتقوم عملية التركز هذه على دينامية إلغاء التمايزات السياسية والقومية والدينية ببتر الأعضاء غير المنسجمة داخل الجسد الواحد.

لم تحصل جريمة الأنفال خلال الحرب مع إيران، فالمراحل الأخيرة (السابعة والثامنة) ١٠، وهي الأقسى التي شملت مناطق بهدينان و كرميان جرت بعد نهاية الحرب العراقية الإيرانية، ولم تحدث خلال قتال بين البيشمركه والقوات الحكومية فالمدنيون بالتحديد كانوا هدف الحملة. وعموما عنت الخطة إزالة اكثر من ٤٥٠٠ قرية وناحية ومدينة بينها ٢٤ قضاء. وقد تعدت العملية المناطق الحدودية وشملت مناطق في عمق العراق، في سهول اربيل و قراج ومخمور وكركوك وحتى القرى المحيطة بمدينة نينوى وعلى ضفاف دجلة المار وسط العراق. ولم تقتصر الإبادة على القرى المؤيدة للثورة الكردية، انما شملت مناطق العشائر الموالية تقليديا للحكم العراقي منذ العهد الملكي حتى حكم البعث مرورا بالعهدين القاسمي والعارفي. كان هدف الخطة كما اتضح لاحقا هو إعادة رسم كردستان أرضا وبشرا على أساس خارطة ما بعد ١٩٧٥ بشكل

مساحات هائلة مفرغة من أية حياة، مزروعة بالربايا العسكرية والمعسكرات وحقول الألغام، تقطعها طرق مجدبة تتحرك عليها الآليات والدبابات، وعلى جانبيها قرى مدمرة محروقة بلا بشر.. وبهذه الخارطة الأمنية تصبح حركة البيشمركة صعبة جدا إذا لم تكن مستحيلة. والهدف الثاني اعتقال كامل الشعب الكردي في اقل من ٥٠ محافظة ومدينة يجري تحويلها إلى معتقلات احترازية محاطة بالحواجز و السيطرات وحقول الألغام. كما تهدف الخطة إلى تدمير الاقتصاد الزراعي والحيواني في كردستان تدميرا كليا و إقامة حياة اقتصادية جديدة تعتمد على هبات الحكم المركزي وما يترتب على ذلك سياسيا من خلق قاعدة للتعريب.

المجتمع العسكري

بعد شهرين ونصف من مجزرة حلبجه وثماني سنوات من الحرب، وفي ١٨ تموز١٩٨٨ ابلغت الحكومة الايرانية الأمين العام للأمم المتحدة خافير بيريز ديكويار موافقتها على القرار٥٩٨ الصادر في تموز ١٩٨٧.. في ايران قال الخميني (ان اتخاذ القراركان اسهل عليه من تجرع السم) ومع ذلك فقد تجرعه بعد سلسلة معارك خاسرة في الفاو وشرقي البصرة وجزر مجنون اعادت القوات الايرانية الى الحدود الدولية...وهكذا عادت الارادتان الى نقطة الصفر بعد ثمان سنوات من حرب تعدت كثيرا قدرات الدولتين الاقتصادية والعلمية والعسكرية. وببراعته الفائقة في النكتة المرة، صور الفنان الفلسطيني ناجي العلي ختام هذه الحرب على شكل كدسين من الجثث والخرائب وفوقهما طائر الموت المنتصر الوحيد في الحرب.

في العراق حاول النظام استيعاب الفرح الشعبي بإنتهاء الحرب لأظهاره احتفالا بأنتصار قادسيته.. ومع ذلك فقد توقفت المدافع وتوقفت الصواريخ التي تدك المدن والطائرات المغيرة التي تخلط اللحم الآدمي بقضبان الحديد. توقفت الحراب المتقابلة والتحام القاتل بالقتيل. توقفت الكوابيس التى تمض ليل الأمهات على الأبناء. هل يبدأ الفرح اذن؟ من المنطق ومن سجية القلب ان يخرج الناس للشوارع ابتهاجا بعودة الأبناء الذين اجبروا على ان يكونوا (مشاريع دائمة للشهادة). ولكن بعد فرح اللحظة الأولى اختلط الفرح بالتوجس. وقد يكون الانكار بعضا من دهشة الفرح. ولكن هذه الحرب كانت في جانب منها تصريفا للقمع المسلط على شعبين واشغالا للضحية بعدو آخر. ولذلك تداخلت الحرب والقمع حتى تعذر ايجاد الفاصل المعرفي بينهما: ايهما السبب، وايهما النتيجة؟

وقد كان النظام اكثر ارتيابا بهذه الهدنة القلقة.. ففي فترات الهدنة، وحين يهدأ الصراخ يبدأ العقل دورته: من التذكر الى التوجع الى الأسئلة فالأحكام... وفي الهدنة يبدأ حساب القتلى والأحساس بالفراغ المؤلم الذي تركوه... ويرتفع السؤال لماذا حدث الذي حدث، ولماذا عدنا الى نقطة الصفر بعد حرب كلفتنا ٢٠٠ الف قتيل وجريح؟

ويدري الذين اشعلوا الحرب ان كل سؤال يحمل الأدانة والوضوح الذي يسبق القرار. ولذلك يبقون الحرب احتمالا قائما وسببا للطوارئ.. وتوحي لغة

الوعيد التي رافقت مفاوضات جنيف بأن عمر الفرح قصير ولذلك (ينبغي للحذر ان يأخذ مكانه) كما قال وزير الأعلام.. وخلال ذلك يخلطون عصيدة الحرب الدامية بمغرفة القمع خلطا سريعا ليشوشوا العقل بالأحقاد العاجزة واختلاط السبب بالنتيجة.. ينقلون الحرب من الجبهة الى الداخل لتهديد العقل وارغامه على قبول الذي حدث بأعتباره قدر لامفر منه او (اختبار لأرادة امة) كما قالت العقيدة. لقد خرج النظام من حرب الثمان سنوات بجيش بلغ تعداده المليون أغلبه من جيل قضى شبابه في الخنادق أو في المعارك قريبا من الموت. واذا كان النظام قد نجح في أبعاد مخاطر الحرب الايرانية عن الوضع الداخلي باستخدام المساعدات المالية الخليجية الكبيرة في تحقيق توازن نموذجي بين (المدافع والزبدة) بحيث حققت الطبقات الصاعدة أرباح خيالية من خلال القطاعات العسكرية، فإن وعود الرفاه بعد نهاية الحرب ستصبح موضوع امتحان صعب في جو الأزمة الاقتصادية القادمة، خاصة للعسكريين العائدين من الجبهات للحياة المدنية بانتظار حصة من الرفاه الذي وعد به النظام. وما كان في خزينة النظام ما يكفي لتوفير فرص عمل مقنعة للجنود الذين سيسرحون ولا أية امكانية لمكافأة آلاف الضباط الذين سيرون في جو الهدنة علائم رفاه الطبقات الجديدة كانت تغرف الملايين بينما كانوا يبددون شبابهم في الحرب.

ولعل حادثا عارضا أعطى النظام تحذيرا واضحا من مخاطر عودة الجيش الى المدن.. ففي اوائل أيام الهدنة من عام ١٩٨٨ تجمع في كراج النهضة آلاف الجنود الذاهبين الى والعائدين من وحداتهم في الجبهة خلال اجازات العيد..هناك فوجئوا بأن السيارات التي اعتادت نقلهم قد توقفت عن العمل بلا سبب في محاولة لرفع الأسعار.. الرغبة الحراقة في رؤية الأهل بعد أشهر من الحياة على حافة الموت والاحساس بضيق الزمن والقهر من بطر المجتمع المدني والسخط على قوات الشرطة التي بقيت ساكنة ازاء عذابات الجنود، وورائها هذا العنف المتجمع نتيجة للقهر الذي عاشه الجنود على الجبهات.. كل ذلك تجمع في هذا المكان وبين الحشد العسكري المتجمع خارج أنضباط الوحدات. وكان الأمر بحاجة الى صرخة تحريض واحدة ليهجم الجنود على سواق الحافلات ونقطة المخابرات فيها وقوات الشرطة المحمولة التي جائت لحل المشكلة، وينتزعوا السلاح منها ويطلقوا النار على القوات الخاصة التي أعترضتهم.. ولتهدئة الوضع وصلت قوة خاصة من القصر لتخبر الحشد الغاضب بأن الرئيس قد أمر بتوفير سيارات خاصة لنقلهم الى حيث يريدون. وقد وصلت السيارت فعلا، ولكن لتنقلهم الى معتقلات خاصة.. كان هذا الحادث تحذير خطيرا من امكانية انفجارات أخرى. ولذلك بدأ النظام يعمل بسرعة في سباق مع الزمن معدما اية فرصة لعودة الجيش الى ثكناته القريبة من المدن. فقرارات التسريح التي صدرت معطلة بقيت معطلة عمليا بانتظار شئ ما. فمن موقع قريب من النظام يقول سعد البزاز في كتابه (حرب تلد أخرى) كانت هناك رؤيتان تحكمان الموقف من الجيش بعد انتهاء الحرب: (الأولى ترى أن بقاء جيش بهذه السعة

والضخامة والتسليح من دون فعالية هو ضرب من تعطيل لجزء حي من من قدرة الشعب وطاقته.. ولذلك لابد من واجب ميداني وفعالية لهذا الجيش، والا تحول الى عبء على المجتمع كله، واصبح بالتالي مصدر قلق للنظام السياسي والنظام الاجتماعي... الثانية تذهب الى ان بالامكان الحصول على النتائج التي التي يريدها العراق على مستوى السياسة الخارجية دون اللجوء الى ان استخداموا قوته العسكرية بل بالايحاء بها والاعلان عنها، وجعلها قوة ردع تحقق توازن الرعب في جانب وتوفر مصدرا لجني مكاسب سياسية) ١. مخرج النظام من هذه الهدنة القلقة تجلي بابقاء حالة الحرب داخليا وخارجيا. فخلال فترة الهدنة القصيرة بدأت عملية تصفية الحساب مع سوريا على الساحة اللبنانية فأرسلت دبابات سوبر تشر من وأم ٤٨ التي استولى عليها العراق في الحرب مع ايران الى القوات اللبنانية والطين ما زال في جنازيرها من الحرب السابقة ٢، كما وصلت راجمات صواريخ وصواريخ ارض - ارض محمولة على شاحنات كبيرة، ومعها ٧٠ ضابطا عراقيا كدفعة اولى لجعل دمشق تحت مرمى القوات اللبنانية... هذه الدفعة الكبيرة من الاسلحة ساعدت في خلق صدام حسين لبناني اقصر قامة، هو العماد ميشيل عون الذي اتبع اسلوب استاذه بتصفية الرفاق السابقين لمركزة القرار بيديه، احتقار للحل السياسي والاعتماد على الدمار وسيلة لفرض الارادة السياسية.

لم تكن لبنان مجال التمدد الاخير بعد الحرب مع ايران، فقد وصلت الاسلحة العراقية والخبراء لدعم العقيد عمر البشير في فرض حل تدميري على المتمردين في جنوب السودان يشبه الحل العراقي في كردستان.

سياسة الارض المحروقة

حتى بداية عام ١٩٨٧ كانت مواجهة البيشمركة في الجبال العصية منوطة عسكريا بالفيلقين الاول والخامس من الجيش الذي يتخذان من اربيل وكركوك مقرا قياديا. وكان تنفيذ السياسة تجاه الكرد منوطا بمنظمة حزب البعث فرع الشمال. ولكن قبل ان تتثبت الهدنة في الحرب مع ايران من خلال مفاوضات جنيف ٣، وبينما القطعات ما تزال تحت الانذار في الجبهة، سحبت ثلاثة فيالق عسكرية وعشرات الآلاف من (الأفواج الخفيفة) الكردية من الجبهة الايرانية وتحولت الى قوة امن داخلية متجهة شمالا لخوض حرب شاملة في كردستان. وقبل هذه الخطوة صدر قرار لمجلس قيادة الثورة في جلسته المنعقدة في ٣-١٨ ١٩٨٧ بتعيين علي حسن المجيد حاكما مطلقا لكردستان. وكان تعيينه في هذا المنصب يعني سحب صلاحيات التقرير من الحزب والجيش ونقلها الى الحلقة الضيقة من العائلة التي تناط بها عادة المهمات الامنية ذات الاهمية الكبرى. وقد حددت صلاحيات المجيد بموجب المرسوم المرقم ١٦٠ والمؤرخ في ٢٩-٣-١٩٨٧ (تمثيل القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة في تنفيذ سياستها لكامل المنطقة الشمالية، من ضمنها منطقة الحكم الذاتي... يتولى صلاحيات التقرير الملزم لجميع اجهزة الدولة المدنية والعسكرية والأمنية، وبصورة خاصة الصلاحيات المنوطة بمجلس الأمن القومي... قراراته ستكون ملزمة لجميع دوائر الدولة، سواء كانت عسكرية أم مدنية أم أمنية).. كانت هذه المهمة منوطة

بصدام خلال حكم البكر ويفترض ان تصبح من صلاحيات وزير الدفاع عدنان خير الله، لأنها تتضمن قيادة اربعة فيالق من الجيش المرابط في كردستان، وهي تشكل ٤٠ ٪ من قوة الجيش العراقي البالغة عشرة فيالق. وكان اختيار هذا الرجل تدشينا لمرحلة جديدة في القمع الداخلي. اقترنت باول استخدام في التاريخ الانساني لاسلحة الابادة الشاملة لابادة مجموعات بشرية من سكان البلد نفسه.

جربت هذه الاسلحة أولا على المساجين السياسيين للتأكد من مفعولها على الإنسان قبل أن تجرب في الحرب الخارجية. وتشير المصادر الكردية إلى ان آلاف البرزانيين الذين اختطفوا من قراهم في اوائل الثمانينيات استخدموا كخنازير لتجريب مفعول الاسلحة الكيمياوية على مجموعات بشرية. ولكن استخدامها الداخلي بشكل واسع اقترن بصعود رجل محدد لمهمة محددة.. هذا الرجل هو ابن عم صدام حسين (علي حسن المجيد).وهو يشبهه الى حد بعيد في طول القامة ولون الشعر والذقن المربع. من مواليد١٩٤١. بدأ خدمته العسكرية في السبعينيات في الحرب ضد الكرد وصار نائب ضابط خلال الدورات السريعة لتبعيث الجيش وخدم في حامية كركوك. وقد اقترن صعود هذا الرجل منذ عام ١٩٧١ بإثبات كفاءته في تغيير الواقع الديموغرافي لمدينة كركوك بتهجير الكرد و التركمان منها. وقد صعد لاحقا من خلال سلك الحماية مرافقا شخصيا لحماد شهاب. طوال فترة صعوده لم يظهر للمجيد صوت، لا في الحزب ولا في الدولة. ظهر أول مرة خطيبا في اجتماع حزبي مطالبا بالموت. فخلال محاكمة الرفاق في ١٧ تموز ١٩٧٩ بعد ما سمي بمؤامرة محمد عايش، كسر الصمت في القاعة مخاطبا القاضي صدام حسين: ستبقى المؤامرات مستمرة من داخل الحزب مادام عبد الخالق السامرائي على قيد الحياة. وكان رد القاضي عليه (أخذها من ها الشارب !) ٤. خلال مفاوضات ٨٣-١٩٨٥ مع الاتحاد الوطني الكردستاني عين مسؤولا للامن. و فيما بعد اعتاد صدام أن يعتمد عليه في المهمات التي تحتاج رجلا بلا قلب (فقد كان قائد عمليات الأنفال والحاكم العسكري للكويت والمشرف العسكري على تصفية الانتفاضة في أرياف الجنوب). لذلك تحول هذا الرجل الى ذراع صدام الأمنية القاسية.

الذين يعرفونه يصفون لهجته التكريتية الحادة حين يلذ له التحدث مفاخرا بجرائمه وقسوته حتى خلال جلسات الشرب، حيث اعتاد أن يشرب الويسكي بشراهة، وخلال ذلك لايفارقه الحارس الذي اعتاد أن يعطيه حقن الانسولين بسبب ارتفاع السكر. ليس هناك من يباري هذا الرجل في كراهيته للكرد. فالاشرطة المسجلة لاجتماعاته مليئة باوصاف مهينة للكرد (حمير، ماعز، خونة). ولذلك احيلت اليه مهمة جديرة به، هي إخضاع كردستان باعتبارها النقطة العصية على النظام بسبب وجود آلاف البيشمركة المسلحين في الجبال الوعرة.

حال تسلمه مهمته الجديدة أصدر حاكم الشمال المطلق الصلاحيات مجموعة قرارات تميزت بالاقتصاد الشديد في الكلمات لخلوها من اية هوامش او شروحات او استثناءات. عشرات، بل مئات الكتب الصادرة باسمه قبيل و خلال الانفال. و لا واحد منها يتعلق بفرد أو عائلة، انما بجموعات ومساحات

جغرافية. وعندما كانت الاعتراضات والاستفسارات تصعد من مراتب المنفذين المختلفة، رد بحزم مطالبا (على الاجهزة الامنية عدم ازعاجنا حول الفقرة ٥ - وهي الفقرة المتعلقة باعدام اقارب المخربين من الدرجتين الاولى والثانية -ان قرارنا يفسر نفسه بنفسه، ولا يتطلب موافقة سلطات أعلى... يجب ان ينفذ دون استشارة). تخلو قراراته من اية شروحات او استثناءات، لكنها تنطوي على اوسع دمار ممكن. وتتردد كلمتي (اي) و (كل) مثل لازمتين في القرارات الصادرة عنه.. ف (المخرب) حسب برنامجه التأديبي لم يعد شخصا محددا قام بعمل محدد ضد الدولة ويعاقب بجريرة عمله بالذات، انما هو ومحيطه العائلي، بل وعائلته بالذات اذا تعذر على السلطة القاء القبض عليه.. فحسب التوجيه السري رقم ٤٣٥ تعاقب عائلة المخرب بالتهجير حتى لو كان لديها ابناء آخرون يقاتلون مع السلطة. وعلى الطريقة الإسرائيلية تقوم وحدات الهندسة بتفجير بيت عائلة المخرب، و ايضا الدور الأربعة التي تجاورها (هكذا ينص الكتاب الرسمي). وحسب القرارات الصادرة في ٢٥- ٤ - ١٩٨٧ يتجاوز العقاب العائلة الى القرية:

-محو كل القرى المتعاونة مع المخربين.

اطلاق النار على كل من يشاهد داخل الحزام الأمني المحظور.

تدمر أية قرية يطلق منها غيار ناري ضد قواتنا.

يعدم او يقدم للمحاكمة الفورية كل من يقدم اية مادة للمخربين.

لكن (مأثرة) المجيد الحقيقية تكمن في ان استخدام السلاح الكيمياوي اصبح في عهده السلاح الأسهل والأكثر فاعلية لإبادة الحياة في كردستان. ولذلك حمل بجدارة لقب (علي كيمياوي). وقد باشر المجيد عمله في فترة قياسية.. ففي١٠ نيسان عقد ندوة حضرها عدد كبير من المسؤولين الحزبيين والحكوميين والأمنيين وابلغ الجميع بقرار ازالة جميع القرى الوقعة على جانبي الطرق والمواقع والمعسكرات الحكومية بالجرافات والقصف المدفعي والكيمياوي. وبين وجعل مناطقها (محظورة امنيا). وتبدو كلمة (محظورة أمنيا) ملطفة جدا بالمقارنة مع التوجيه الموقع باسم علي حسن المجيد المرقم ٢٦٥٠-٢٨والمؤرخ في ٣ حزيران ١٩٨٧ الذي ينص على منع وصول المواد الغذائية والالات وعدم السماح للاقارب بالاتصال باقاربهم هناك وعدم السماح بالحصاد والرعي في هذه المناطق ويلزم البند الخامس (ضمن نطاق سلطاتهم يجب على القوات المسلحة قتل كل كائن بشري او حيواني ضمن هذه المناطق).

في الثلاثة اشهر الأولى من مباشرته عمله حقق انجازات (باهرة) في محو الحياة من ٩١٢ قرية وناحية. نتائج الاحصاء لم تعلن من قبل الحكومة، لكنها تسربت لاحقا وتكشف ﴿ان عدد القرى في محافظة السليمانية قد انخفض من ١٨٧٧ في احصاء عام ١٩٧٧ الى ١٨٦ فقط في احصاء عام ١٩٨٨، أي ان ١٧٠٠ قرية قد اختفت من الخارطة الرسمية لهذه المحافظة. ومع ذلك لم تكن هذ حدود مخيلة القيادة العراقية لان الخطة الابعد مقيدة بمرابطة معظم القوات العراقية على جبهة المواجهة مع ايران. وحال بدء الهدنة تحررت معظم القوات من العدو الخاجي لتتجه نحو العدو الداخلي لتنفيذ الجريمة الاكبر.

تيمور.. احد الناجين من عملية الانفال

مؤسسة الذاكرة العراقية

كل ما يعرفه الناس عن تيمور عبدالله، انه من قرية كولهجو، وهو الوحيد الذي خاض تجربة عمليات الانفال من الداخل وبكل تفاصيلها وعاش من بعد ليرويها. هذا كل ما كنت اعرفه وانا في لندن، على الرغم من اني كنت اجهل ماذا تعني عمليات الانفال وما الغاية منها، وكنت كذلك لا ادري مدى امكانية تصديق رواية الصبي ؛ فكانت مقابلة جافة ومتكلفة. كانت كلمة الانفال، ولهذا الحد مجرد اسم بالنسبة لي، اسم الح في الظهور في كل مسودات ووثائق الامن التي اعطيت لي والتي لها علاقة باختفاء اعداد كبيرة من الكرد في ١٩٨٨ . الكثيرون هم الناجون مممن شهدوا هجمات على قراهم او عمليات لم الكرد من شمال العراق. ولكن شخصا واحدا فقط هو من اختفى ليظهر ثانية بمعجزة ليحكي لنا ماذا حل به.

حصل اللقاء في معسكر مهجور للجيش، مسافة نصف ساعة سياقة بالسيارة في المناطق الجبلية المحيطة بالسليمانية. بدت شبابيك البنايات سوداء من القنابل التي اصابتها فبرزت منتشرة على الجبل الذي لا يقطع خط نظرك فيه اي شئ وبكل الاتجاهات. في الوقت الذي كانت فيه ترتيبات اللقاء جديرة بالملاحظة ، كان المحيط تعيسا — محاطا بجدران، واسلاك شائكة ونقاط حراسة. كانت حياة تيمور منذ انتفاضة آذار قد نظمت على اساس انه هدف اساسي للاغتيال من قبل عملاء ووكلاء صدام . ولقد بدى واضحا ان الصبي قد تحول الى رمز، خادم للقضية، تمثال حي للشعب الكردي الذي كان يعاني.

بدا تيمور هادئا وسلبيا على مدى اللقاء. خلال الساعات الستة عشر التي قضيتها برفقته لم يتكلم الا اذا حدثته؛ وكان جوابه مؤدبا دائما، وبكلمة واحدة، ولم يبد اية مشاعر او احاسيس البتة. هل كان يخفيها بسبب الصدمة؟ ام هل كان عليه التصرف كبطل وان الابطال لا يبكون؟ لربما كانت ترتيبات المقابلة من قبل شخص اجنبي وفي مثل هذا المحيط الغريب لا تدعو الى التعبير عن الاحاسيس من قبل شخص هو لا يزال صغيرا على اية حال. كان يبدو بيشمركة صغير وهو يرتدي

زيهم. افراد كل تنظيم كردي يلفون حزاما من قماش على الخصر يختلف ويتميزعنه لدى بقية التنظيمات.

لم يكن بالامكان تامين الخصوصية التي كنت احتاجها وآمل ان احصل عليها. لذا كان علي ان اصحب تيمور عائدا ومعه عدد كبير من حمايته من الرجال المسلحين الى مدينة السليمانية. وصلنا الى بيت يقع وسط المدينة، وبعد مراسيم الضيافة المعهودة وتناول اقداحا لا حصر لها من الشاي، جهزت لنا غرفة خاصة واخيرا بدأت المقابلة مساءا، ولكن الكهرباء كانت قد انقطعت عن كل مدينة السليمانية. وظلت تنقطع وتعود طيلة تلك الليلة، انه يوم آخر من لاقينا فيه النحس .

كنت منزعجا ومضطربا نتيجة لذلك. من كان يتوقع مثل هذا العدد من الناس ملتفين حولنا؟ كانت الفكرة مجرد الجلوس مع تيمور وتسجيل المحادثة. لم اكن اتوقع مثل هذه التعقيدات. انني حين اذكر هذا فلربما ان التوتر الذي اصابني قد اثر على سير المقابلة. كنت اتوقع الكثير منه، واردت كل التفاصيل الصغيرة والدقيقة لما حدث. لربما كنت قاسيا بعض الشئ على الصبي.

بدات المقابلة باخباره انني كنت قد ولدت في بغداد ولكنني عشت في الخارج وقطعت آلاف الاميال لاجل التحدث معه. اخبرته انني اريد ان اسمع كل شئ، وبضمنها الذكريات التي لا يزال يعيش معها وتعيش معه، اذكر انني رددت لاكثر من مرة:" لا تشعر ان هناك ايا من التفاصيل غير جديرة بذكرها والتحدث عنها". قلت كل هذا قبل بدء المقابلة، وكانه لم يكن ليريد الا بث اصغر وادق التفاصيل لما كان قد مر به. لا بد وان كل هذه مجتمعة قد ساهمت في اخافة الصبي. " من هذا الرجل؟ ، وما الذي يريده مني؟، وما الذي ساحصل عليه جراء هذا؟ ولماذا هو مهتم بحكايتي الى هذا الحد ؟ وما الذي سيحصل عليه ؟ منذ وقت العشاء امس وخلال الفطور هذا الصباح وهو يسرق النظر الي. كلما اجبت ابتسامته بمثلها او عبرت عن اهتمامي بنظرته الي، كان ينأى بوجهه عني وكأنه لم يكن ينظر الي اساسا. كان لتيمور اسبابه المقنعة بالا يثق باي مخلوق ثاني ابدا .

اعتقد ان الصبي لا يريد التحدث الي. لقد القت به الظروف الى كوابيس وعالم قاس. لربما انه لم يعرف ابدا حياة الطفولة. ولكن الصبي كان قد قيل له ان عليه التحدث مع هذا الغريب القادم من بعيد ففي حديثه فائدة لقضية شعبه. لقد جهز واعد لهذه المناسبة ولربما مارس تجربة عليها مرة او مرتين في ماذا عليه قوله وماذا عليه اجتنابه. لم يكن راغبا في الحديث، بل كان متوقعا منه ، وهذه هي ثقافة المجتمعات التي يؤدي فيها افراده ما متوقع منهم اداءه. ان هذه الممارسات تعلم للاطفال منذ نعومة اضفارهم.

بدأ تيمور نفث قصته دفعة مبتسرة واحدة ، لم يضف فيها اي شئ لما كنت اعرفه من خلال شريط الفديو الذي كنت قد شاهدته لاول مرة في آب. لم اقطع كل هذه المسافة لاسمع حديثا موجزا "معلبا" كالذي سمعت. وبدأ التوتر والحنق ينتابني ثانية، فبدأت ثانية محاولا نبش التفاصيل والبحث عنها

بنفسي من خلال اسئلة قصيرة بسيطة مركزة، دون الاتكال على الصبي. وبعد فترة، بدأ السرد اكثر تناغما فايقنت انني قد حققت شيئا. كيف كان يشعر؟ لا اعرف. لم يكن تيمور يتوقع اي شئ بهذا البعد. هل لمعت عيناه وبرقت؟ مرة او اثنتان، اظنه قال اشياء لم يكن يرد قولها. ما زالت الفكرة تنتابني. اذكر انني عملت باستمرار دونما توقف، الا حين تنقطع القوة الكهربائية عن كل ارجاء السليمانية.

ما تبع ذلك هو كتابة المقابلة، حذف المتكرر من الكلام وتهذيب ذلك النفث الرسيع الاولي اضافة الى بعض الاستطراد. ابدلت الكلمات الغريبة، واماكن بعض الجمل الاستفهامية بسؤال هنا او هناك، مجرد ان اجعل ما قاله تيمور واضحا للقارئ.

المقابلة

اليوم الذي اخذك فيه الجيش من القرية، هل تتذكره جيدا؟

نعم

ماذا كنت تصنع؟

قبل مجئ الجيش؟

نعم قبل مجئ الجيش. ماذا كنت تصنع؟

لم يأت الجيش الى قريتنا.

(الوحدات الكردية التي كانت تعمل تحت امرة الجيش العراقي، الجحوش، هم من اتوا الى قرية تيمور وليس الجيش العراقي)

ما الذي أخذوه؟

الجميع، الرجال والنساء والاطفال.

هل حدث قتال؟

لا

(الجحوش اخذوا تيمور واباه وامه واخواته الثلاث، اضافة الى كل من في القرية، الى قلعة قوره تو مرورا بقرية ميلاسوره. كان القصد من خط اسئلتي كي اعلم ماهو طبيعة اليوم الاعتيادي في حياة تيمور قبل ان تظهر في حياته عمليات الانفال. هو اما لم يفهمني او انه لم يكن يرغب في الاجابة عن هذا السؤال. في هذه المرحلة من المقابلة كان الحديث باللغة العربية. وبعد قليل تحولنا وبناءا على طلبه الى اللغة الكردية من خلال مترجم.)

ماذا حدث؟

قال الجحوش انهم سوف يأخذوننا تحت حراستهم الى قرية كالار، ولكنهم كذبوا، فقد اخذونا بدلا من ذلك الى قلعة قوره تو. وبقينا هناك لعشرة ايام الى ان ارسلوا بنا الى سجن في توبزاوه في كركوك.

كيف ارسلوا بكم الى هناك؟

بواسطة سيارات عسكرية كبيرة. تلك التي يسمونها "ايفا"

("ايفا" اسم يطلق محليا على عجلات النقل المصنوعة في المانيا "الشرقية" والواسعة الاستخدام ضمن قطعات الجيش العراقي)

كم عدد العجلات؟

كبير

عشرة؟

لا، لا، عدد كبير حوالي ٣٠ او ٤٠

هل كان هناك دبابات؟

لا

كيف اخذوكم؟

القوا بنا داخل عجلات الحمل "اللوريات" واخذونا

هل كانت هناك اية اوامر؟ على سبيل المثال، ضابط كان يصرخ بكلمات ما، ينادي على الناس بالمجئ وركوب اللوريات؟ شئ كهذا. هل تذكر شيئا مما قيل؟

لا

لم يقولوا شيئا

لا

كيف عرفتم ما عليكم فعله؟

كل ما قالوه هو ادخلوا اركبوا باللوريات

هل قالوا لماذا عليكم دخول اللوريات؟

لا

هل اعطوكم سببا لما كان يحدث؟

لا

حسنا. امروكم بركوب اللوريات، ثم ماذا حدث؟

ركبنا باللوريات

كيف؟ حسب العوائل ، اي عائلة تلو اخرى؟

نعم حسب العوائل

هل جزأوا العوائل؟

لا

كم عدد الاشخاص الذين حملوا بكل لوري؟

لا اعلم

كم كنتم ،نتم في اللوري؟

حسنا، كان اللوري مملوءا

هل اجلستم ام كنتم واقفين

كنا جالسين

ماذا حل بالاغراض، الاثاث، الحيوانات، والعربات التي جلبتموها معكم؟

المقتنيات

مشروع اتهام لانشاء مجموعة دائمة من الصناعات الحرفية الثقافية للنظام السابق، بضمنه الكتب، والاغاني والافلام وبرامج التلفزيون والاعمال الفنية ووسائل الاعلام الاخرى التي لها علاقة بفضائع الفترة ١٩٦٨ — ٢٠٠٣ . الفضائع التي قد تستثير وسائل الثقافة المختلفة للتعامل مع الاستبداد: الاحتجاج، التعايش، التكييف والتعاون التام.

الموقع

متحف للذكرى يحتوي على صناعات ثقافية، سواء منها المصنوعة لاضفاء الشرعية على الاعمال الوحشية في العراق، وتلك التي صنعت لمعارضتها. سيشمل المتحف ما اقترف بحق كل الطوائف العراقية، من العمليات المعادية للسامية في نهاية الستينات الى عمليات الانفال ضد كرد العراق، الى الحملات ضد العراقيين الشيعة التي انتهت بمذابح ١٩٩١ الجماعية. سوف تطلب مؤسسة الذاكرة العراقية من سلطة الائتلاف المؤقت لوضع اليد على كل ادوات التعذيب الرئيسة التي تستولي عليها قوات التحالف والتي ستودع الى مكاتب مؤسسة الذاكرة العراقية في مجمع السيوف المتقاطعة.

الأنفال والإسلام في ثنائية الذات والآخر



عدالت عبدالله

عندما يود المتابع للحقل الفلسفي، الوقوف على مسألة الأنفال من خلال علاقتها العضوية بمسائل أخرى ذات صلة، سرعان ما يتذكر ثنائية فلسفية، أعتقد أننا لم نعمل أولم نفكر، على الأقل، في إدخالها الى نظامنا المتبع، عادةً، في عمليات القراءة والتحليل أومساعي التنقيب والتأويل إزاء المواضيع التي تتعلق بحادثة الأنفال وأبعادها وتستدعي منا تناولها على أكثر من صعيد أومقاربتها في أكثر من وجه. هذه الثنائية، هي، بكلمة، ثنائية الذات والآخر، التي تشكل، في رأيي، منطلقاً فلسفياً مناسباً للحديث عن جانب آخر من جوانب مسألة الأنفال، وأعني هنا الجانب الذي يبدو أننا سكتنا عنه تماماً، أو بالأحرى، لم نحسن الحديث عنه حتى الآن، عنيت حصرياً جانب علاقة الإسلام بالكارثة التي وقعت في الأنفال وبُرْزت بأسم إحدى آيات الإسلام القرانية، ولا أشك هنا في أن الحديث عن هذا الجانب من مسألة الأنفال وتداعياتها لا يخلوأبداً من إشكاليات خطيرة قد لا تتعلق بأي شيء آخر سوى بطبيعة

الذهنية الدينية السائدة أوالعقلية الإيمانية الطاغية في عالمنا تجاه كل ما يمس المناطق المتنعة على التفكير والنقد أوالشك والمساءلة، أعني هنا المناطق التي تعتبر، تقليدياً، في عالمنا، مناطق مقدسة لا يحق لنا ولا لأحد إختراقها أوالتقرب منها شكياً كان أونقدياً مهما دعت الضرورة الإنسانية لذلك نتيجة ربما للمعطيات الجديدة للواقع، أومهما أقتضى البحث عن حقائق الأشياء بسبب ربما يكون فضولية الكائن أوشكوكية العقل، العقل الذي نصفه أحياناً وبمنطق ديني صارم،بأنه خير الأشياء ما وهبنا الله إياه، أوانه، كما جاء في الأحاديث النبوية، أحسن الأشياء قسمةً بـــين الناس. قراءة مختلفة ورغم وعينا هنا بتعذر قيام المرء بالبحوث العلمية الحرة والتفكيكات الفلسفية النقدية إزاء المسائل الدينية، في ظل المواقف التكفيرية التي أتخذت ولاتزال تتخذ بحق الباحثين والمفكرين في العالم لا سيما العالم العربي والإسلامي، إلا أننا نُفضل دائماً وأبداً - وهذا هو رهاننا إذا ما أردنا أن نَتعقل ونَتغيّر - التحرّب للمعرفة والكف عن القناعات المسبقة أومُسبقات الفكر، التي تعيق الفهم والتفهم وتؤول الى الجهل أوأدلجة الرؤية. وهذا التفاضل، في رأينا، هوالأهم والمرجح أبداً عند كل من يريد حقاً الخروج من قوقعات العقيدة أومن مآزق الآيديولوجات الدينية بأتجاه التنظير العلمي أوالموقف النقدي أوالتفكيرالفلسفي الذي نفتقر اليه كثيراً، بل أننا لانتمتع به أصلاً. انه، بمجمله، تفاضل مصيري وحضاري في آن طالما كانت المعرفة، كما يقول لنا المفكر" علي حرب " مصدراً من مصادر القوة للمجتمعات وشرطاً من شروط التغيير القويم. وتناولنا لمسألة الأنفال، من حيث علاقتها بالدين الإسلامي، يأتي هنا تحديداً، وكما قلت، عبرإثارتنا الفلسفية الثنائية الأنا والآخر، الثنائية التي تحيلنا آلياً الى سؤال الهوية، سؤال: مَن أنا، وأنتمي الى أي تجمع إجتماعي، وماهي طبيعة هذا الإجتماع وأين هي نقاط أختلافه أوتمييزه عن التجمعات الأخرى الإجتماعية؟؟.. وأسئلة أخرى من هذا القبيل.. سؤال الهوية وللإجابة عن هذه الأسئلة المتعددة، ينبغي لنا، قبل كل شيء، الإشارة الى أن للهوية ذاتها، التي نبغي الحديث عنها، إشكاليتها وطابعها اللاتعييني أووجوهيتها المختلفة أوتغيراتها الزمكانية، ذلك توضيحاً منا لإستحالة أي جدوى من السعي الى تحديدها بشكل نهائي أوإختزالها في ماهية معينة أوحصرها في نموذج ما. فالهوية، بجملة، هي مفهوم نسبي وتاريخي وعلائقي في آن واحد. أنها نسبية المفهوم لأنها غير مطلق تخضع لتعديلات مفهومية تفرضها المستجدات السياسية أوالإجتماعية أوالثقافية أوربما الجغرافية، كما أنها تاريخية الجوهر نظراً لعدم تعاليها على الأزمنة والأمكنة المختلفة التي تفرز شروطها أوإشكالياتها أوإكراهاتها، إضافةً الى أنها علائقية المنشأ وذات طابع تركيبي،نظراً لتحقق ماهيتها من خلال مفاهيم أخرى متعلقة. وعلى صعيد آخر يمكن القول أن الهوية، هي عبارة عن سياسة أولعبة تتشبث دائماً بكل ما يُظهرها في صورة حسنة أوما يمنحها السلطة والهيمنة أوما يصطفيها ويقدسها، بمعنى آخر، أنها لعبة، لأنها يسعى فيها، حاملوها، الى الفوز بما هوأفضل، وأنها

سياسة، لأنها يشتغل عليها الناس لتدعيم مصالحها وتعزيز مواقفها. كما أنها ذاكرة تستعيد بها ومنها، الافراد والجماعات، الماضي بقدر ما يكون هذا الماضي دعماً للحاضر المقبول أوتجميلاً له ولتجلياته وسياساته. هويتنا الإسلامية بعبارة أخرى، أن الهوية، هي ما تنطوي على كل هذه التعريفات والمفهومات المختلفة والمتعددة بحيث يمكن للمرء في ضوء هذه المفهومات والتعريفات، مقاربة هويته ومواكبة حقيقته وحقيقة الآخرين أيضاً. لذا علينا أن نجيب على أسئلتنا التي تأخرنا عن الإجابة عنها بسبب تمهيدنا المسهب لها ونقول: أننا ننتمي الى كل تلك العوالم السياسية والإجتماعية والثقافية التي تحدد بها هوياتنا الفردية والجماعية. وأننا أعضاء في كل ما نتجمع فيه أونجتمع عليه ونتفق من خلاله على جعله إطاراً لإجتماعنا أومرتكزاً لوحدتنا أومنطلقاً لقيمنا وأفكارنا، أي لماهيتنا وهويتنا أياً كانت هذه الماهية أوالهوية، وبما أننا ككرد _على الأقل في هذا التاريخ الذي نعيش فيه _ فتلك إحدى هوياتنا المركزية وأكثرها معياراً لتحديد هويتنا الأجتماعية_ السياسيةوالثقافية في منظور الآخرين، لا ننجو بدورنا من هذه المعادلة المعقدة للهوية، فيمكننا إذن أن نقول: أننا، دينياً، مسلمون أيضاً بجانب هوياتنا الأخرى ولسنا أقل إسلامية ممن يدعون إسلاميتهم في العالم الذي يطلق عليه العالم العربي والإسلامي لا سيما أننا نعلم أن هذا الوجه من وجوه هويتنا المركبة، كما يعلم أيضاً كل من درس تاريخ الكرد القديم والحديث والمعاصر، هواليوم، ومنذ أن تأسلمنا وأعتنقنا الإسلام، موضعاً لتباه وإفتخار أولتديُن وعبادة ملايين الكرد الذين يؤدون طقوسهم الدينية الإسلامية ويرددون نفس الأحاديث والسور والآيات القرآنية التي أنفلت وقتلت بأسمها، مئات الآلاف منهم في مقابر جماعية ومراسيم تراجيدية لا تقل فضاعةً مما حدثت في كارثة ومجزرة هولوكوست. بعبارة أخرى، أننا، على الصعيد الديني، مسلمون حقيقيون وليس ثمة أية إشكالية ثقافية أوإجتماعية أودينية يمكن من خلالها التشكيك أوالتقليل من شأن تديُننا أوإنتمائنا الديني للإسلام، نحن في هذا الخصوص، غير قابلين للمناقشة والجدال والسجال وإنما نستحق أن نتصف من خلال الإعتراف بحقيقة كبيرة لنا، هي: أننا الكرد، قياساً على بعض القوميات الأخرى العربية والإسلامية، أكثر القوميات تمسكاً بهذا الوجه من وجوه هويتنا الدينية، وأكثر المجتمعات إحتراماً لكل ما يمت بصلة بالدين الإسلامي. فمن هذه الناحية نلاحظ أنه لاتوجد قرية كردية تخلو من مسجد للعبادة والصلاة الجماعي، ولا تلاحظ مدينة كردية تغيب فيها أصوات الدعوة الى الخير والنهي عن الشر والمنكر من خلال المساجد الكبيرة والضخمة التي شيدت فيها. بأختصار شديد، نحن من الإسلام ولا يحق لأحد، لوأراد ذلك، إنتزاعنا من هذه الهوية التي هي، شئنا أم أبينا، وجه آخر من وجوه هويتنا الدينية وبعد آخر من أبعاد حياتنا الروحية. الذات هي الآخر بعينه إنطلاقاً من هذه المسلمة، لا يمكننا، دينياً أوعلى مستوى هويتنا الإسلامية، إعتبار أنفسنا، بأي شكل من الأشكال، بمثابة الآخر المختلف

بالنسبة للآخر الذي يسمى الإسلام أولجميع الفرق والجماعات الدينية والسياسية أوالقومية التي تعتنق الإسلام وتملي على نفسها مهمة الدفاع عن هذا الدين ضد ما يسمى بالكافرين والمرتدين أوالذين يشكلون التهديد على الدين الإسلامي، فنحن من حيث رأسمالنا الديني، على سبيل المثال لا الحصر، إمتداد لأبناء ذلك القائد الإسلامي الذي يتباهى به جميع الأمم الإسلامية على قياداته التاريخية والمنتصرة لجيوش الاسلام وإنتصاره على الصليبيين. كما إننا أبناء جميع أولئك القادة والزعماء الذين حاربوا الإستعمار البريطاني وسياساته ومخططاته بهواجس ومبادئ دينية أكثر منها قومية، وهذا يعني هنا أننا بمثابة الذات للآخر، أما الآخر فهو، على الصعيد الديني، ليس شيئاً آخر سوى ذاتنا.

من هنا، لايمكن تفسير قيام النظام البعثي المقبور بجرائم وحملات الأنفال السيئة السمعة بأنه كان حرباً على الكافرين أو إبادة للكفار. ان تلك الجرائم والمجازر التي وقعت وأقترفت بحق الكرد لم تستطع محوالهوية الإسلامية للمجتمع الكردي أوتشويهها، ولا حقيقة المجتمع الكوردي الدينية كانت تمهد أوتسوغ لذلك أوتسمح به. بعبارة أخرى نقول: أن ما قام به النظام البعثي في حملات الأنفال، لم يكن شيئاً سوى تلاعب بالهوية الإسلامية أوتصنع لآخر وهمي متوهماً بذلك أن: هذا الآخر الوهمي، سوف يُشرعن له تصفية حساباته الأيديولوجية والسياسية والسلطوية مع الكرد ويضمن له دعماً دينياً وقومياً أيضاً من جانب الدول العربية والإسلامية. ولكي يفلح النظام في مخططه الجهنمي هذا، نعلم جميعاً أنه تشبث بنظام سيمولوجي ديني بحت، ذلك تغطيةً لمجمل العمليات العسكرية التي شنها من أجل السيطرة والإستيلاء على مناطق واسعة من كردستان العراق ولقتل ثوار الكرد والمدنيين دون أي تمييز كما ولتدمير القرى الكردية أيضاً. فمن هذه الناحية، لاحظنا معظمنا أن النظام البعثي سمى عملياته العسكرية بأسم إحدى السوَر القرآنية التي هي (الأنفال)، كما قام بتسمية القطعات العسكرية الرئيسية له بتسميات دينية أيضاً تعود عناوينها، تاريخياً، الى فجر تاريخ الإسلام، مثلاً كان يطلق عليهم أسم (قوات القعقاع) أو(مسلم بن عقيل) أو(خالد بن وليد) وأسامٍ أخرى مُماثلة تحيل الذاكرة فوراً الى تاريخ حروب الإسلام والقادة المسلمين، هذا فضلاً عن تسميته للعمليات العسكرية المرحلية أثناء الأنفال بتسميات أخرى تسبغ هوية دينية ومقدسة على مجازر وجرائم الانفال كأسم أوعنوان (توكلنا على الله) مثلاً. بهذا المعنى، نحن نستنتج هنا حقيقة كبيرة مفادها: أن النظام البعثي السابق كان يرمي الى إخراجنا من دائرة الهوية الإسلامية، ذلك ليس لأننا لم نكُن مسلمين أولأننا كنا كُفاراً، وإنما لأن البعث، هو، آيديولوجياً، له دلائل أومقاييس خاصة يقيس بها صحة إسلامية الآخرين من أهل الدين أوغيره بل وكل شيء، وذلك إنطلاقاً من سؤال آيديولوجي وشوفيني،هو، بمجمله: مدى التقاء الآخر مع مفاهيم البعث للإنسان والمجتمع والعالم؟ بمعنى آخر، أن البعث لم يكن يؤمن إطلاقاً بالآخر المختلف، ولم يؤمن بأن تكون مسلماً معارضاً

لسياساته وأفكاره ومبادئه، وإنما كان يطالبك دوماً بالتماهي المطلق معه تحت شعارات الوحدة والتوحيد، كما أنه كان يطالبك بدعوة الحرية والتحرر لا من تسلطه وإستبداده أبداً، وإنما من فكرة التحرر أصلاً. أنه، بكلمة، كان يعترف بالآخر بقدر ما يكون هذا الآخر نسخةً منه أومرآةً له أومتماهياً معه. إختزال الإسلام أومأزق المعرفة من هنا، يتضح لنا، مما أسلفنا، أن الإسلام وعلاقته كدين بكارثة الأنفال، مُختزل آيديولوجياً في تمثيل البعث له في أسوء الصور وأقبحها، ولاشك أن البعث هونفسه كان وراء ذلك الإختزال، ويأسف المرء هنا عندما يتذكر أن ثمة من يقع، في أوساطنا الثقافية أيضاً منذ زمن وحتى هذه اللحظة، في مآزق إختزالات خاطئة من هذا القبيل، لأنه يلاحظ أنه ما يزال هناك مغالطات معرفية كبيرة في تحديد الهوية الإسلامية، تتمثل، هذه المغالطات، قبل كل شيء، في إتهام الدين الإسلامي ذاته على ما حصل للكرد لا القوى الإجتماعية التاريخية التي تدّعي تطبيق الدين الإسلامي. وهذه المغالطات هي في نظرنا لاتدل، في آخر الأمر، على شيء آخر سوى العجز والفشل في دراسة الإنسان والمجتمعات أوالسلطات والقوى. وحول هذه الظاهرة الخطيرة في أوساطنا الثقافية الكردية، عليَّ أن أذكر هنا إن هناك العديد من الكتاب والمثقفين الكرد، يمارسون اليوم، للأسف، هذه السياسة المعرفية الساذجة لإستنتاج أسباب ما حلت بالكورد في كارثة الأنفال. الأمر الذي يستدعي المساءلة والنقد وعدم السكوت عنه بأي حال من الأحوال، لأنه معلوم تماماً أن دراسة أبعاد وجوانب كارثة الأنفال، علمياً كانت أم فلسفياً، تستدعي منهجية ´دقيقة تتغذى من النظريات والإكتشافات المعرفية أوالإنجازات والمفاهيم الفكرية والفلسفية. وبعبارة مختصرة نقول: أن الدراسة في هذا المضمار غير قابلة أبداً لإنتاج المعرفة بناء على إفتراضات أوإسقاطات إعتباطية وآيديولوجية، ولا يمكن أن تفيدنا، بهذه الطريقة، في أي شيء آخر سوى الجهل إزاء حقائق الأشياء. الصمت الإسلامي ولكن هنا لابد أن نذكر أيضاً أن ثمة من يسأل بالمقابل: لماذا إذن ظل العالم الإسلامي صامتاً إزاء كارثة الأنفال والكورث الأخرى التي تعرض لها الشعب الكردي المسلم إذا كان الإسلام حقاً بمنأى عن تشريع تلك الجرائم والكوارث؟ ولماذا لم يكن هناك من يُدين النظام البعثي على جرائمه تلك؟ ولماذا لم تتخذ منظمة المؤتمر الإسلامي، التي عقدت إحدى مؤتمراتها في نفس العام الذي وقعت فيه كارثة الأنفال، أي موقف ديني يشجب من خلاله تلك الأنتهاكات الصارخة لحقوق المسلمين وتلك المجازر التي حدثت في قلب العالم الإسلامي وعلى يد النظام العراقي الذي لم يكف أبداً عن إدعاء أنتمائها الديني للدين الإسلامي الحنيف؟!. هذه الأسئلة، برأيي،تحيلنا ثانيةً، دون شك، الى ذكر مسألة أهمية التمييز بين الدين الإسلامي كنصوص قرآنية هي كلمات الله وكاحاديث نبوية هي خطاب الرسول وبين القوى الدينية والفرق الإجتماعية المختلفة التي تعتنق الإسلام وتؤسس إسلاميتها على ضوء تفسيراتها أوشروحاتها أوتأويلاتها المختلفة لتلك النصوص والأحاديث. ولا مراء هنا أن لحقيقة

الإختلاف في الإسلام أسباباً كثيرة، أبرزها في نظرنا هي: أن النصوص القرآنية هي نصوص مُنفتحة ومتسعة أمام القراءة والتفسير والتأويل، كما إن القراءة، تفسيراً كانت أم تأويلاً، تتأثر دائماً بأحوال المفسر أوالمأول الإنسانية. وهذا يعني أن التفسير أوالشرح أوالتأويل هوعمليات محايثة تنطلق من بنى ومصادر معينة في الإنسان، تهيمن على قدرات الإنسان المعرفية وتوجّه إحتياجاته أوتحرك غرائزه وآماله أوتثير عشقه ولهوه. بعبارة أخرى، أنها عمليات ناسوتية تعبر، قبل كل شيء، عن حقيقة المسلمين ومشروطية إستيعابهم وأستنباطهم لمصادر التدين ومنابع القيم والأفكار أوالإجماع والقياس أوالتشريع والتطبيق اوالتقديس والطاعة. ولهذا السبب بالذات لا يمكن تجاهل هذه الحقيقة أوغض النظر عن هذه الإختلافات والفروقات الواضحة، بين الإسلام كنصوص قرآنية وأحاديث نبوية وبين المسلمين كفاعلين إجتماعيين غير معصومين. حقائق دامغة كما ويمكن هنا أيضاً، إستناداً على ما ذكرناها من حقائق، تفسير كيفية تحوّل الإسلام تاريخياً الى مذاهب وفرق دينية عديدة مختلفة وكذلك كيفية بروز إشكالية الهوية الإسلامية،لأن، المسلمين من هذه الناحية، وكما هومعلوم، منقسمون، للأسف، على أنفسهم وقد يزدادون إنقساماً، كما جاء في الحديث النبوي، الى أن يصل عددهم الى سبعين فرقة أوأكثر هذا في الوقت الذي يُقال أن الفرقة الناجية منهم هي فرقة واحدة فقط لا أكثر. وهذا يعني أن الهوية الإسلامية هي هوية مركبة من مناهج دينية مختلفة كالنهج الشيعي والسني والعلوي والأسماعيلي والدرزي والزيدي.. ومركبة أيضاً من مذاهب وطرائق عديدة كالجعفري والمالكي والحنبلي.. الخ. وكان مآل هذه الإختلافات، كما نعلم جميعاً، على مر تاريخ الإسلام، هوتحاربات وفتن ونزاعات داخلية دموية جعلت الإسلام فاقداً لهويته ومدمراً لذاته الى درجة تفتيت الذات الى آخرين مختلفين عن بعضهم البعض. فمن هذه الزاوية لا يمكن لأحد نسيان الفتنة الكبرى التي، كما يقول السوسيولوجي العربي الكبير " برهان غليون " بدأت بقتل عثمان بن عفان على أيدي جند الامصار المنطلقين من مصر والعراق،والتي وقعت في أرقى مراحل الإسلام التاريخية ولا أفعال القرامطة مثلاً، التي يذكر عنهم المفكر العربي " حسن القبيسي " بأنهم هجموا على الكعبة فقتلوا حجاجها _ بأسم الإسلام طبعاً _ وملأوا ارض الحرم بجثثهم وداسوها بحوافر الخيل ثم حملوا الحجر الأسود معهم والقوه في اليم، مما أدى ذلك الى أن يظل معشر المسلمين يحجّون الى الكعبة طيلة ثلاثين عاماً بلا حجر أسود !.. كما لا يمكن للمرء صرف النظر مثلاً عن جماعة التكفير والهجرة التي دعت دعوة صريحة الى هدم كل المساجد على الارض _ بأسم الإسلام طبعاً _ فقط لأنهم يذهبون الى أنه لا تجيز الإبقاء إلا على المسجد الحرام ومسجد الرسول في المدينة، وذلك، كما يدعون، تبعاً للسنة النبوية الكريمة التي أمرت ذات يوم بهدم مسجد ضرار. أما الأمثلة المعاصرة في هذه الخصوص فهي كثيرة لدرجة لا تعدُّ لنا ولا تحصى إذ نعلم جميعاً كيف إن ثمة دولاً كثيرة، تدّعي إنها

إسلامية الدين، تمارس بحق مواطنيها المسلمين أبشع الجرائم وأشدها رعباً، وذلك بأسم الدستور أوالقوانين التي تزعم أنها ملهمة من الشريعة الإسلامية، أوكيف تمارس، هذه الدول، سياسات شوفينية أوعنصرية أوفاشية بذريعة الدفاع عن الأمة الإسلامية أوالدين الإسلامي. وقد كان النظام البعثي المقبور خير دليل على ما نذهب اليها هنا من حقائق دامغة في هذا الشأن إذ أنه كان، وكما يعترف اليوم بذلك الكثير من المفكرين والمثقفين العرب أنفسم، أخطر الأنظمة تلاعباً بالهوية الإسلامية وأكثرها إنتهاكاً للقيم الدينية السمحاء لا سيما أثناء حربه القاسية مع (الجمهورية الإسلامية الأيرانية) وفي عمليات الأنفال السيئة السمعة التي أباد فيها مئات الآلاف من أبناء شعبنا الكردي المسلم. كما أن الأمثلة الأخرى في عالمنا المعاصر على نماذج التلاعب بالهوية الإسلامية تطال أيضاً الحركات الدينية الإسلامية المتطرفة والإرهابية، التي ترهب وتقتل وتذبح تكفر دائماً وأبداً بأسم الدين والهوية الإسلامية لاسيما إزاء المسلمين أنفسهم.. ومن هنا، نستنج بل ينبغي أن نستنتج في نهاية موضوعنا هذا: أن حملات الأنفال أيضاً التي شنها النظام البعثي السابق، جاءت هي الأخرى في هذا الإطار تحديداً وعبر هذه اللعبة السياسية والعنصرية بالذات، التي ألبست لباساً دينياً بينما هي لم تكن شيئاً آخر سوى لعبة للتشدد والتسلط وسياسة للصهر والقهر.



قراءة نقدية للاسلام

تأليف: د. كامل النجار

ترجمة: مريوان هەڵەبجەیی

السليمانية ٢٠٠٦

الأنفال التي بدأت ولم تنته

جليل البصري

حقيقة ربما غفلت عنها اقلام كثيرة تناولت جريمة الانفال المخزية هي ان احداث نيسان عام ١٩٨٧ في وادي باليسان وما تلاها من تداعيات كان البروفة الاخيرة بل بداية عملية الانفال ..

فقد شنت قوات النظام العراقي مدعومة بافواج الجحوش والدبابات والمدرعات والسمتيات هجوما على وادي باليسان الذي لم يكن خاضعا لسيطرتها ليلة ١٩٨٧/٤/١٦ بعد ان امطرت قريتيه الرئيستين (باليسان وشيخ وسان) ومسالكه الجبلية بعشرات القنابل التي احتوت على غاز الخردل والذي تجاوزت فيه اعداد الضحايا الى ١٥٠ شخصا وجرى احتلال الوادي واعتقال الكثير من الرجال من اهاليه ناهيك عن ان رجال الامن قاموا باعتقال كل الرجال والنساء والاطفال المصابين الذين لجأو الى مستشفى رانية بشكل رئيس او ذهب البعض منهم الى اربيل ونقلوا بشكل سري الى سجن امن الطوارىء في اربيل حيث مات العشرات منهم بعد ان منع عنهم الدواء وقام رجال الامن بدفن جثثهم في اماكن مجهولة فيما سيق الرجال جميعا بعد مدة الى مكان الى مكان مجهول حيث لا يعرف مصيرهم بالتحديد الى الان وهو نفس ما فعلوه في عام ١٩٨٨ في حملات الانفال المشؤومة .. مع فارق هو انهم اعادوا النساء الى الوادي ليكن شهودا على الرعب ويبقى الجرح مفتوحا مثل جرح الاف البرزانيين المغيبين .

في تلك الفترة بدأ التمهيد لعمليات الانفال واستمرت بحملات تدمير القرى حتى في القرى الخاضعة لسيطرة الجيش او القريبة من الطرق الرئيسية فدمرت في الشهر الخامس من نفس العام قرى (شيخ محمود ياه) و (سيساوه) بعدها وعشرات القرى في سهل حرير وجمعوا في مخيمات كبيرة قرب مدينة حرير نفسها او في العراء .. واصطدمت هذه العمليات بمقاومة باسلة من قوات البيشمركة فتوقفت الى حين حيث لم تكن اوضاع النظام في حربه مع ايران على ما يرام وبدأ يخطط لتطور عمليات ابادة الريف الكردستاني وتحويله الى مخيمات لتشمل عمليات انتقامية واسعة من سكان القرى المدنيين في المناطق والقرى التي كانت خاضعة لسيطرة قوات الثيشمرطة .. والتي تلقت تهديدات

بالرحيل وترك قراهم واملاكهم وبساتينهم والحضور للعيش في الخيام .. هكذا تعامل النظام تحت اشراف المجرم (علي حسن كيمياوي) مع هذا الشعب وكانت الذروة في عمليات الانفال التي ابتدأت في شباط عام ١٩٨٨ ولم تنته الا في اواخر نيسان لتصبح هذه السهول والجبال العامرة باهلها وبقراها وخيرها وبركتها اطلال شاهدة على اكبر جريمة يرتكبها نظام في حق شعبه ويعيد الى ذاكرة التاريخ الغزو المغولي التتاري الذي اغرق الدنيا بالدم.

وقد تصاعدت هذه العمليات مع تصاعد حدة الحرب مع ايران في قاطع حلبجة والذي اتخذ ستارا لتامين اكبر مجزرة وابشعها ترتكب بحق مدينة امنة نفذت باسلحة دمار شامل هي الاسلحة الكيماوية القاتلة .. وكانت تتويجا لتصعيد الرعب الذي ابتدأ في ١٩٨٧/٤/١٦ في باليسان وشيخ وسان .. وكانت هذه السهول والجبال والشعاب تمور بالهاربين الاطفال والنساء والانفس من مسلسل الرعب .

صحفي الماني من مجلة (دير شبيغل) حضر الى كردستان في تلك الفترة برفقة مصور اسود وشاهد في تخوم وادي باليسان وسما قولي المئات من العوائل الهاربة من مناطق گەرميان وگڵەزرده وعبر سهل كويسنجق تصحب معها النزر اليسير من حاجتها على ظهور الحمير او على الاكتاف وتقطع هذه المسافات الطويلة لا تلوي على شيء غير الحصول على مكان امن حيث لم تكن عمليات الانفال قد بدأت في منطقة باليسان وسهل كويسنجق .. قال لي انه سأل بعض القادة وهو ينظر الى هذه الجموع المهاجرة وقد علت على وجوهها اثار الرعب والنكبة .. ماذا تستطيعون ان تفعلوا لهم .. قلت له اكتبوا كلمة حق عن ما يفعل بنا على غير حق .. فقال هكذا قالوا لي وسافعل ..كانت الوديان والجبال تعبق بالحرائق والوجوم القاتل .. توقفت الحياة وصار الفلاح مشلولا لا يقدر على ان يمنح الارض التي عرفت آباءه واجداده الاقدمين حبه وعرقه .. يقتله الرعب في انتظار جيش المغول لياتي من كل حدب وصوب فيدمر البيوت ويهلك الزرع وينهب كل شيء ويأخذ البشر الى مصير مرعب مجهول ..

لقد هاجمنا الجيش من ١٣ جهة وسدوا علينا كل المسالك وكان القصف لا يرحم والرعب من الكيمياوي والانفال يجعلك لا تستطيع ان تتنفس الهواء؟ انت المزارع الذي عاش امنا رغم الحروب والمصائب .. امنا على اهله باقل تقدير وعلى بقائه في هذه البقعة التي لا يعرف غيرها في ارض الله الواسعة .. اخذت زوجتي وابني الوحيد وسرت مع جبل هيبة سلطان يقع الجبل في مكان صعب وبقينا في شعابه بلا طعام وماء توقفنا حركة الجنود في الاسفل والصياح والدخان المنبعث من كل مكان ليخطف جمال السهل المنتهي بمدينة كويسنجق الباكية .

حدثني هذا الرجل الهارب من قرية نائية على الزاب في سهل كويسنجق عن رحلة العذاب التي دامت ٢٨ يوما لتنتهي في الحدود الايرانية في هذه الخيمة التي يجلس فيها .. لم يكن سياسيا او معارضا .. لم يكن جحشا او مرتزقا لم يكن غير مزارع يعيش في امان الله ..

في تلك الليلة استسلم هو وزوجته وبناته للبكاء وهم يعدون الاهل والاقارب الذي لفهم طوفان الحقد

البربري الانفالي الى عوالم الرعب المجهولة وكانوا بالمئات اذ لم ينج من القرية غير بضع عائلات تعد على كف اليد الواحدة ..

من يعيدهم الينا ؟ ومن يقول لنا ما جرى لهم لكي نستريح من هذه الحسرة الراسخة في القلب ..

نعم ليست الانفال هي الرقم (١٨٢)الف مؤنفل فقط بل هي كل هذه العذابات التي تجرعها الناجون والتي يعيشونها مع الذكريات القلق والسؤال .. بل هي كل الرعب المحير الذي ارتسم في قلوب المؤنفلين وهم يعانون الهوان والموت على يد جلادي النظام ومجرميه دون ذنب اقترفوه .. انها المعاناة التي لم يراها شعب على يد الغزاة الحاقدين حكام البلد ..

نعم انها الانفال التي ابتدأت ولم تنته لليوم .. فالضحايا باقون في الانتظار .. والمؤنفلين بلا مصير معلوم .. والديار لم تلملم جراحها.



الانفال

مجلة اصدرتها
وزارة حقوق الانسان وشؤون
المرحلين والمؤنفلين فى السليمانية

الأنفال عيون كوردستانية تدمع باستمرار



د. جرجيس كوليزاده

الأنفال كارثة تراجيدية انسانية كبيرة لحقت بالجنس البشري، جرت عملياتها في منطقة كوردستان بفترات مختلفة لابادة الكورد عن طريق سلسلة من العمليات العسكرية الهمجية الكبيرة التي شنها قوات الجيش العراقي بأمرة طاغية العراق صدام وزمرته وضباطه، للقضاء على الوجود البشري الكوردي في المجمعات القسرية والقرى الكوردستانية، بجميع صنوف الأسلحة العسكرية المحرمة وغير المحرمة.

راح ضحية هذه العمليات أكثر من ١٨٠ الف انسان كوردي خلال فترة قليلة من الزمن، والضحايا لم يكونوا مسلحين، وانما مدنيين فقط، رجالا ونساءا بل أكثر الضحايا كانوا من النساء والأطفال وأكثرها تعود الى عائلة واحدة. في عمليات الابادة هذه لم يتح المجال للهروب من قبل أي شخص، لان القرى كانت مطوقة بالكامل بالقوات العراقية وأفراد الأجهزة الأمنية القمعية وافراد من الميليشيات الكوردية التي كانت تحارب وتقاتل الى جانب الحكومة ضد طموحات الشعب الكوردستاني وضد القوى التحررية الكوردية في الجبال التي كانت تشكل أغلبها من بيشمركة الحزبين الكوردستانيين الرئيسين الاتحاد الوطني و الحزب الديمقراطي.

ولم تكن هذه العمليات بداية الانفال، بل سبقتها عمليات ابادة على الدوام على شكل افراد وجماعات، وبعض الاحيان على شكل مجاميع سكانية كبيرة، مثل عملية انفال ثمانية الاف رجل من البارزانيين في المجمعات السكنية القسرية التي كانوا يقطونوها بقوة وتعسف الحكومة العراقية في مناطق قوشتبة وبحركة وحرير وسوران في محافظة أربيل.

نتيجة لمأساة هذه العمليات التي سميت بالأنفال من قبل قيادة نظام الحكم البائد فان ذكراها تعتبر تراجيديا كوردستانية أليمة، وملحمة انسانية مؤلمة أصبحت صفحة ملاصقة باستمرار للحياة اليومية للإنسان الكوردي، نتيجة الاثار القاتلة التي تركها هذا الحدث المأساوي في حياة أهل كوردستان خاصة على حياة العوائل المؤنفلة، ومن هذه الآثار أخبار العثور المستمر على المقابر الجماعية التي تعود أغلبها للكورد في مناطق مختلفة من الوسط والجنوب العراقي.

من هذه المقابر الجماعية، المقبرة التي كشفت في الفترة الأخيرة في محافظة السماوة بالقرب من الحدود السعودية والتي احتوت على أكثر من ٥٠٠ رفاة شهداء عائدة للبارزانيين تم انفالهم في سنة ١٩٨٣ من قبل الأجهزة الأمنية الصدامية في تلك المنطقة الصحراوية الحدودية.

عمليات الانفال التي بدأت تتكشف ملفاتها للشعب العراقي بوضوح وبأدلة دامغة لا تقبل الشك والظنون بدلالة المقابر الجماعية التي تكتشف بين الحين والآخر، من ضمنها المقبرة الجماعية للبارزانيين التي كشفت عنها قبل فترة، تشكل صدمة كبيرة للعراقيين والرأي العام الاقليمي والدولي لهول المأساة التي تعرض لها الشعب الكوردستاني على يد أنظمة الطغيان والاستبداد خاصة في عهد البعث الشوفيني.

ولا شك ان هذه المقابر عند كشفها تتم دراستها من منظمات دولية ومن قبل الجهات الحكومية المعنية في اقليم كردستان، للتعرف على رفاتها وترتيب برنامج عمل لها لاعادة رفاتها الى كوردستان لدفنهم في أرض آبائهم وأجدادهم.

بالأمس أعيد رفاة ٥١٢ كوردي شهيد من البارزانيين الى أرض كوردستان، من الجنوب العراقي، من خلال مراسيم رسمية حزينة اشترك فيها الرئيس العراقي جلال طالباني ورئيس اقليم كوردستان مسعود بارزاني وممثلان عن الحكومة العراقية وحكومة اقليم كوردستان وممثلان عن الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ودول اخرى، حيث تم استقبال الرفاة في احتفال رسمي منظم في مطار اربيل الدولي لاعادتهم الى أرضهم ودفنهم في منطقة بارزان وقد تم أخذ الاستعدادات لهذا الدفن الجماعي منذ أكثر من اسبوعين.

في بداية المراسيم قال رئيس الجمهورية جلال طالباني في كلمة القاها بهذه المناسبة الحزينة حول ممارسات النظام البائد " ارتكب العدو الفاشي جريمة كبرى ضد البارزانيين الابرار وعلى ابناء كردستان اذ دفنت عشرات الالوف من المسالمين والابرياء وهم احياء في مقابر جماعية واصبحت رمزا لحكمه الاجرامي الاسود". وأضاف طالباني " نحن نجتمع اليوم لنؤدي واجب التقدير والتكريم

لشهداء بارزان وسائر شهداء كردستان والعراق لنخلد ذكراهم ونستلهم دروس الفداء والتضحية لماسيهم الخالدة".

و قال السيد مسعود بارزاني رئيس اقليم كردستان العراق في كلمته "بانه تم اعتقال هؤلاء الثمانية الاف شخص من ابناء عشيرة بارزان من الذين يتراوح اعمارهم بين عشر سنوات فما فوق وبمعاونة الحرس الجمهوري وقوى الامن"، واضاف بارزاني" اقتيد هؤلاء المعتقلين لاول مرة الى سجن ابو غريب بعدها تم نقلهم الى بويصة وهي ناحية تابعة لمدينة السماوة على حدود السعودية"، وأضاف " بانهم عثروا على ملفات بعد سقوط النظام العراقي السابق في عام ٢٠٠٣ وهي تحوي على كافة المعلومات التي تشير الى انهم تم اعدام مائة شخص في كل مساء وجميعهم دفنوهم هناك ويظهر من الملفات ان الاعدام تم بشكل منظم".

وللتذكير بأحداث عملية انفال هذه المجموعة من الرفاة الشهداء وابادتهم على يد ازلام العهد البائد، فان عملية انفال ثمانية آلاف بارزاني بدأت في الصباح الباكر من صبيحة احد ايام شهر تموز من سنة ١٩٨٣، حيث تم تطويق البارزانيين المدنيين في المجمعات القسرية في قوشتبة وبحركة وحرير وسوران وأماكن أخرى من قبل الجيش وقوات الاجهزة القمعية العراقية، تحت اشراف رجال أمن وضباط كبار من الاجهزة الخاصة بامرة الطاغية ورجال حكمه، فتم فصل الرجال عن النساء، وتم اعتقال كل بارزاني من عمر ١٢ ٨٠ سنة وتم زجهم في باصات اعدت لغرض نقلهم الى بغداد، فتم اعتقال ثمانية الاف رجل من طفل وشاب وشيخ ونقلوا الى سجن ابو غريب في العاصمة بغداد، ثم نقولوا الى المنطقة الجنوبية للقضاء عليهم باطلاق الرصاص عليهم، والمجموعة التي تمت اعادة رفاتهم، تم رميهم من قبل الاجهزة الامنية في محافظة السماوة في ذلك الوقت بامرة واشراف مدير جهاز الامن كما أشار اليه السيد مسعود بارزاني في خطاب رثائه في الاحتفال الحزين، وقال ان المدير المعني قد انتقم الله منه وقضى نحبه في الانتفاضة الكوردستانية المباركة في السليمانية في عام ١٩٩١.

بهذه المناسبة علق أحمد عبدالله ٤١ سنة على هذا الأمر قائلا: ان تفاصيل عمليات الانفال السيئة الصيت، بالرغم من عرضها في الاجهزة الاعلامية الدولية والاقليمية، لكنها قد تكون غير معلومة وغير معروفة بتفاصيلها للرأي العام العربي، لأن هذا الرأي يتسم بالانفعالية ولا تفكر بطريقة عقلانية وانما دافعها العواطف الجياشة التي لعبت بأوتارها صدام ونظام البعث البائد، والتي ما زالت تلعب بعواطفها جهات عربية تفكر من منطلقات ايديولوجية بائدة تسلك من الشوفينية منهجا لها. ولكن يبقى الامل معلقا ببعض العرب العقلاء الذين يريدون نهج منهج جديد للشعوب العربية اعتمادا على الحقائق ووقائع الامور وواقعية الحياة، وليس على التشبث والتمسك بماضي جامد لم يصنع شيئا حيويا لحاضرهم ولا لمستقبلهم، وكان نتيجة لهذه الرؤية غير الواقعية هي انكار المأساة والويلات التي تعرض لها الشعب الكوردستاني منها عمليات الانفال ومذبحة حلبجة وغيرها، وانكار

الكوارث التي تعرض لها الشعب العراقي في عهد نظام صدام البائد، لهذا نأمل ان يحدث تغيير جذري في الرأي العام العربي من هذه الناحية لكي تنكشف الامور والحقائق امامهم على مصراعيها.

في نهاية هذه السطور لابد لنا من القول، لا شك ان عودة ٥١٢ رفاة شهيد تشكل حالة انسانية نبيلة كبيرة، لانها تمثل ارتياح ووضع حد ونهاية لانتظار اهاليهم وذويهم، انتظار خرق حساب السنين ليمتد الى أكثر من عقدين من حساب الزمن الطويل، انتظار ينتهي حاله بحالة ارتياح ذوي هذه المجموعة التي تشكل جزءا من مجموعة ثمانية الاف وجزءا يسيرا من ١٨٠ الف حالة انفال للكورد، لهذا تبقى البقية على الانتظار المتواصل الى حين يأتي فرج الله بالعثور على البقية الباقية لاراحة العيون الكوردستانية التي ادمعت باستمرار طيلة عشرات السنين.

*كاتب وصحفي كردي عراقي مقيم في أربيل.



قبور غير هادئة

البحث عن المفقودين في كردستان العراق

تأليف: هيومان رايتس ووتش

واطباء من اجل حقوق الانسان

الترجمة من الانكليزية

محمد حمه صالح توفيق

مديرية دار الترجمة في وزارة الثقافة

لحكوكة اقليم كوردستان

ط ١ - ٢٠٠٤

أرامل الأنفال وما بعد المأساة



خالد سليمان

بقيت مآسي الأنفال كفضاء واسع تتآكل فيه روافد الضحايا والمعتقلين والمؤنفلين والمعدومين، فبعد أن عاشت هذه الروافد أيام الإنتظار والصمت والخوف اصطدمت بهول المقابر الجماعية وتحولت الى جسد ثقيل حزين لا تدركه جغرافيا السياسة والإعلام والثقافة.

أركز هنا على الآثار الإجتماعية والنفسية التي تركتها الأنفال داخل المجتمع الكردي، بالإضافة إلى التركيز على الأسئلة التي طرحها حجم تلك العملية الإستئصالية في ظل صمت دولي وإقليمي سمح لجماح الرغبة في القتل لدى حزب البعث في العراق في التوسع عبر جميع الوسائل المتاحة. وكانت الوسيلة الفعالة في تنفيذ "الأنفال"، هي خوض معركة وجودية خارجة عن منطق الحروب التقليدية التي تعتمد المال والسياسة والجغرافيا والدين، رغم أن صدام حسين كان قد استخدم الصبغة الدينية وأستعار منها إسم الأنفال لعمليات الإبادة التي اقترفها في جميع أنحاء كردستان.

وضعت الأنفال المجتمع الكردي أمام تجربة تاريخية قاسية مع خيالات نظام فاش تمت مقاربتها مع الواقع وفق مشروعية الجسد الكردي للتنكيل، وكان "المحال "في تلك المقاربة بين خيال البعث

والموت والواقع هو بقاء شيء من الواقع ولهذا قال "علي كيمياوي "في إجتماعه مع دوائر الأمن والمخابرات العسكرية والفرق البعثية في مدينة أربيل عام ١٩٨٧ : (لايبقى منزل واحد في القرى الكردية في سهول أربيل باستثناء القرى العربية. أنا أشرف بنفسي على العملية وإذا بقي منزل واحد سأعرف ماذا أفعل بالقيادة المسؤولة عن العملية). وقد تم تنفيذ جميع أوامر "الكيمياوي "بعد أن نصبه صدام حسين القاتل الأول في كردستان بقرار رسمي صادر من مجلس قيادة الثورة.

على المستوى التقني للعملية استخدم البعث "الرعب القياسي "في تنفيذ خطته العسكرية، وقصف للوهلة الأولى القرى قصفاً جوياً وبرياً ثم بدأ بهجوم شامل شاركت فيه القوات العراقية النظامية والحرس الجمهوري والاستخبارات العسكرية والفرق البعثية بالإضافة الى قوات المرتزقة الكردية "الجحوش "وتم تطبيق قول البعث التاريخي في العملية وهو "التصفية أو التجميع ".

كانت الخطوة الأولى هي التصفية وإعتقال ونقل المجموعات البشرية نحو الجنوب العراقي "سجون نقرة السلمان الواقعة في الصحراء الغربية حصراً "، في جو من السرية والكتمان بحيث لم يعرف مصير هؤلاء الأطفال والنساء والشيوخ الأ بعد سقوط البعث ومقابره الجماعية. ولابد من الإشارة هنا الى العثور على دمى الأطفال في إحدى المقابر الجماعية قرب مدينة كركوك وكانت الجثث للنساء والأطفال فقط. أما الخطوة الثانية فكانت "التجميع "في مجمعات سكنية قسرية تم تأسيسها قبل وأثناء الأنفال، وهناك الآن أكثر من عشرين مجمعاً في كردستان تعيش فيه النساء بلا رجال، الرجال بلا نساء ولا أطفال، والأطفال بلا آباء ولا أمهات، والنساء اللاتي أصبحن أرامل مع اكتشاف المقابر الجماعية.

لقد عاشت تلك النسوة أكثر من أربعة عشر عاماً من الإنتظار على أمل عودة أطفالهن وأزواجهن يوما ما، وتحملن ظروف قاسية بين ثقل الأيام وأسئلة الصغار الذين ولدوا في المجمعات دون أن يتعرفوا على وجوه الآباء والركض وراء الحصادات الآلية في كل صيف يأتي، بغية الحصول على باقة من السنابل وبالتالي على كسرة خبز تبث الحرارة والدفئ في الغرف المجردة من التدفئة والضوء. وكانت السنابل والصيف والتهرب من أسئلة الصغار حول عودة الكبار تقدم شكلاً من أشكال مقاومة الحياة التي تجسدت صورها في إنتظار مطلق، إنتظار لم يشبه الأ الوباء والشيخوخة المبكرة والتلاشي في الحرّ البعثي، الذي أنهاه الإنهيار البعثي ايضاً.

نحن هنا أمام مأساة في أوجها تتشكل عناصرها من القوت اليومي لشخصياتها المقتلعة من محيطها التاريخي والإجتماعي والروحي، مأساة تعلن موت الجميع في دوائر متداخلة،وفق سياسة التنحيت على الجسد أو ذاكرة البقاء كمرارة أبدية في الحياة. فالرجل الذي أعدم نفسه في اليوم الأول من العيد — لا أتذكر إن كان عيد رمضان أوالأضحى عام ١٩٨٩ هرباً من حزن أولاده وبعد زوجته التي كانت معتقلة في نقرة سلمان، كان يريد إبعاد جسده عن عملية التنحيت والبقاء كمهانة يومية أيضاً، أما

النساء اللواتي أخترقن العزلة بالبحث عن الصيف والسنابل و نشرات الأخبار اليومية و "العفو العام"، فقد اكتسبن حلم عودة المبعدين أو المدفونين "المؤنفلين "وتطعيم الباقين والناجين والهاربين في مجمعات الأبد البعثية، وكان عملهن بالتالي إلتفافاً حول الزمن والتاريخ والواقع والمدن — المجمعات — التي بُنيت كي تصبح معسكرات للأرامل مع مرور الأيام.

للدخول الى تفاصيل هذه المأساة في مجمعات الأرامل واليتامى التي تشكلت في رحم القتل المجاني وموسم حصاد البشر ضمن إحتفال دموي أقامه "العوام "في كتمان، لا نحتاج الى الكلمات بقدر إحتياجنا لصور تؤسلب المحنة كإطار تاريخي لحدث "الترّمل "و "التيتيم "دون شهادات وفاة عن حدث موت الأزواج والآباء. ففي وقت كانت تتحرك فيه صور "المُنتظرين "في المجمعات، وفقاً لإيقاع البحث عن باقات من السنابل،و بغية تقليل أيام الإنتظار وتليين جدران الغرف المتصلبة، أصبح "اللاحدث "أو "اللاخبر "بالأحرى المعنى الوحيد والمطلق للحياة، لكن الجميع تظاهر بإمتلاك أمل لعودة "الغائبين "المؤنفلين،هكذا تم إختصار الزمن من خلال رواية الأشياء المتعلقة بما قبل الأنفال (الأغاني، الأعراس، مواسم الحصاد، المعارك التي كان يشعلها الأطفال وتتورط فيها النساء، الهروب الجماعي من القرى خوفاً من أسراب طائرات الهيليكوبتر.. الخ). مرّ على هذا الإيقاع عقد ونيف دون حدث واحد في حياة تلك النسوة اللواتي طُلقن حسب رغبة أصحاب مزرعة الجثث وفصلن عن أزواجهن عبر الإفناء والقتل والسجن والدفن والتقبير.

وفي هذه الفترة ذاتها بدأ المجتمع الكردي يعاني من ثقل المأساة التي ترفدت في ذاكرة الناس والحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية والنفسية. إذ ظهرت مدن أفقية — المجمعات القسرية — كأورام خبيثة في جميع مناطق كردستان، وأصبحت بخشونتها وغلاظتها المعمارية جزءاً من تفاصيل الحياة اليومية. تضم في أحشائها مجتمع معزول عن العالم والتاريخ. مجتمع قطعت أوصاله عبر فكر إستئصالي تمخض عن خيال وتراث سياسيين تجسدا في التجربة البعثية بكافة أشكالها العلنية والمخفية. علماً ان هذه المدن كانت نموذجاً لأسلوب العمارة الحديث في استراتيجيات الهندسة العسكرية والأمنية للتجميع. وإذا نظرنا لبناها الأساسية نرى أنها تخضع للمراقبة والسيطرة الكاملتين من حيث موقعها الجغرافي وبهذا استطاع البعث إبعاد الناس عن أسلوب عمارتهم العفوي والمنسجم مع طبيعة الوديان والجبال التي تضمن الأمن وسلامة الناس وفق ثقافة الموروث وغرائز الحياة. أما الخطوة الثانية بعد إختيار الموقع فكانت خريطة "المجمع "وكيفية تجسيد فكرة "التجميع" التي تلت التصفية كرؤية كليانية تتطلبها يوميات دولة البعث. إذ تم تشريع قانون هندسي خاص يضمن الأفكار التي بُنيت من أجلها المجمعات، وتجسدت الرؤية وفق هذا القانون في أشكال بناء البيوت وإقامة الشوارع وتوزيع المياه والحصص التموينية الغذائية ومداخل ومخارج المجمع.

إن المشكلة المستعصية التي تواجه الجميع هنا هي حجم المأساة وقدرتها على إنتاج ذاتها على المستوى الإجتماعي والنفسي والثقافي، وحسب الدراسات الميدانية الكردية فإن المجتمع المؤنفل هو مجتمع مجرّد من التنمية الإجتماعية والسكانية والتربوية، لا تصل فيه الحاجات الضرورية للإنسان (الأكل، الشرب، السكن، الجنس، الراحة) الى أدنى مستواها، هذا بالإضافة الى تلك الذاكرة الأليمة التي تحملها أرامل الأنفال وأيتامها عن يوميات تنفيذ العملية وتتماتها في معسكرات القتل في توبزاوا ودبس وقورتو وغوبتبة وأخيراً في نقرة السلمان. تسقي هذه الذاكرة حياة المجتمع المؤنفل بمياه نموذج خاص من الإبادة الجماعية التي نفذها فكر خلاق في استئصال الآخر.

في دراسة ميدانية حول تأثير الأنفال على النساء يقول الكاتب الكردي "طه سليمان": إذا كان عام ١٩٨٨ عاماً لعمليات الأنفال على الكرد وهويته القومية من قبل البعث، فإن الأعوام التي تليها بمثابة أنفالات مستمرة على حياة تلك النسوة اللاتي أصبحن في هوامش العملية وهن يتحملن مشاكل إجتماعية وإقتصادية ونفسية صعبة للغاية. يطرح الكاتب -جانباً مهماً من الآثار التي تركتها الأنفال وهي أن هناك "الأنفال الهامش "أي المجتمع الناقص الذي يتكون من بقايا الموت ويعيش في مخيمات الأشباح. وسبق للكاتب نفسه أن كتب كتاباً عن المشكلة نفسها بعنوان (في هامش الأنفال) وهو عبارة عن تحقيقات صحفية حول حدث عام ١٩٨٨ الذي أصبح القتل فيه مركزاً والمذلة هامشاً، وشكلاً من أشكال الترمل الجماعي لشريحة إجتماعية واسعة أطلق البعث سراحها كي تتوضح الصورة التي رسمها للأنفال، والا ماذا يعني إطلاق سراح إمرأة ووليدها الذي ولد في معسكرات التجميع وقتل زوجها أو الإفراج عن إمرأة أخرى ولدت في إحدى معسكرات التجميع مع وليدها وقتل زوجها. تعطي هذه النماذج التي يذكرها الكاتب في تحقيقاته الميدانية فكرة واضحة عن رغبة البعث في دراسة نتائج العملية وتقييم أبعادها على ضوء الهامش الواسع الذي تركته أنفالاته التسع. ونذكر هنا بعض النسوة اللاتي يتحدثن للكاتب المحقق عن المجتمع الهامشي وبطلاته المفارقات بين المجمعات والبحث عن السنابل وبين سرد المآسي وقيامة التجميع في غوبتبة وقورتو وتوبزاوا ونقرة سلمان. فـ "شمسه محمد "مثلاً أنفلت عائلتها المكونة من خمسة عشر فرداً، لم ينج منها إلا إبنها الصغير وحفيد لها، أما فتحية سيد رضا فلم تبق لها إلاّ صور الأيام الأولى من الأنفال مع عائلتها التي راحت بالكامل. آمنة خورشيد، عادت من نقرة سلمان بعد أن ماتت إثنتان من بناتها هناك من الجوع، ولكنها لم تر زوجها إلاّ في اليوم الأول من تركهم القرية. الآن وفي المجمعات أو "معسكرات التجميع "هناك مجتمع يعيش على هامش سرد الحكايات عن تلك اللحظات التي ظهر فيها الموت بأشكال عديدة في كل تلك المجمعات المذكورة لا كشواهد حية على ما جرى، بل كتجليات تاريخية خلاقة في تطبيق تمارين القتل الخيالية ورسم نموذج الدولة والسياسة على أساسها. ويمكننا القول أنه مجتمع سردي جديد

يعتمد الحزن في إظهار عناصره، ويتكلم بلغة الصمت والدموع في حضور البهجة والفرح، إنه مجتمع أقتضته صورة الغابة المقلمة التي كان يبتغيها الفكر البعثي.

في الوقت الذي تخبرنا صور المقابر الجماعية عن موت ذوينا وتسدل ستارة الإنتظار الجميل الذي كنا نعيشه، تتجذر ظاهرة "الترّمل "التي أعلنها سقوط البعث لآلاف من الكرديات، وتتأصل مظاهر التراجيديا في دوائر أخرى تختلف عن سابقاتها التي تجسدت في مونولوج طويل في سرد إنشطار الذات بين باقات من الإنتظار وأيام من جمع السنابل وسنين كبرت معها أسئلة المؤنفلين على أرضهم.

تبقى مشكلة المجموعات التي نجت من الأنفال وبشكل خاص النساء والأطفال كتراث متجدد لخيالات السياسة القوموية البعثية في المنطقة ولا تتوقف عن إدامة الحزن التاريخي وإقامة جسر بينها وبين جيل لم يتعرّف على هويتها إلاّ من خلال الأنفال والطروحات (الإفنا — عرقية) التي شرّدت الأسماء عن أمكنتها عبر سياسة الترّمل والتيتيم والتقبير في إحتفالات دفن الأحياء.

من الانفال الى الاستقلال

شعب يصنع التأريخ

تأليف: د. منذر الفضل

دار آراس للطباعة والنشر

اربيل ٢٠٠٥

الواقعية السياسية في رواية "مخاض الشعب"



د. عادل گرمياني
جامعة بغداد/ كلية اللغات

تمهيد:

فن السياسة واحدة من طرق إدارة المجتمع، ورجال السياسة دوماً يسعون من أجل مصلحة حزب أو منظمة، ويتصرفون حسب افكار واراء خاصة. كل حزب ممثل لطبقة من طبقات المجتمع، وفي نضاله يحاول تثبيت اسسه وجذوره داخل المجتمع.

يبرز في النص الروائي ذو النمط الواقعي السياسي (Political Realism) التزام البطل بفكر وعقيدة حزبية أو وطنية، ودرجة هذا الألتزام يبين طبيعة تفكير وعقيدة كاتبها. والرواية لكونها " أكبر فنون الأدب من حيث االعمق والسعة "[1] استطاعت أن تكون "أداة فنية للتوعية، التي من خلالها بالأمكان إظهار ظروف الشعب، وتجسيد مشاكله عن طريق أشخاص الرواية. من هنا تصبح الرواية طاقة سياسية مهمة في التعبير عن روح الشعب ومشاكله وطموحاته"[2].

تطورت الحياة الآمنة نحو الخراب مع بدء معركة (جالديران) في عام ١٥١٤، والتي كانت في حقيقتها حرب المطامع بين ملوك العجم والسلاطين العثمانيين، حيث ادت تلك المعركة الى تقسيم أرض كردستان الموحدة بين هاتين السلطتين آنذاك. وبعد الحرب العالمية الأولى وعقد معاهدة لوزان في عام ١٩٢٣ تعرض الأرض الموحدة لشعبنا الكردي الى خطر ثاني اكبر، حيث جزأت أرض كردستان بين أربعة دول هي إيران وتركيا والعراق وسوريا.

وازداد هذا الخطر بعد سيطرت الأستعمار البريطاني على العراق بشكل عام وعلى كردستان العراق بشكل خاص، وبدأ العملاء بملاحقة المناظلين والرجال الخيرين لشعبنا، وبذلوا الجهود المضنية للقضاء على تجربتي حكمدارية الشيخ محمود الحفيد في عامي ١٩١٩و ١٩٢٣ التي اقامها في السليمانية.

وكذلك كان لهؤلاء العملاء دورهم في اثناء عامة الشعب الكردي عن المشاركة الجماعية في ثورة العشرين في جنوب العراق، وتلطخت أيادي النظام الملكي وعملاؤه بدماء ابطال شعبنا في الحادثة الدموية التي حصلت أمام السراي في السليمانية في عام ١٩٣..

تدهور حال معيشة شعبنا بعد الحرب العالمية الثانية نحو الأسوء ، وذلك بعد قيام النظام الملكي لقمع حركة شعبنا الوطنية التحررية باعتقال مناظلي الأحزاب الوطنية وتطبيق الأحكام العرفية في مدن أقليم كردستان في أعوام الأربعينيات والخمسينيات. هذه الأعمال للنظام الملكي لم تستطع ابدأ أن تخلق حاجزاً بين شعبنا في كردستان العراق وعامة الشعب العراقي في بقية المدن، وعلى سبيل المثال كان لجماهير مدن كردستان دورهم — كثيراً أو قليلاً — في المشاركة وتأييد اضراب كاور باغي في عام ١٩٤٦ في مدينة كركوك، وكان لهم دورهم في المظاهرات العامة لكل الشعب العراقي لتأييد الجبهة الوطنية بعد تأسيسها في عام ١٩٥٢، وكذلك كان لجماهير شعبنا الكردي دورهم في تلك المظاهرات لمساندة الشعب المصري بعد الهجوم الثلاثي لبريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر في عام ١٩٥٦، وكان هذا التعاون بين شعبنا الكردي مع عامة الشعب العراقي سبباً من اسباب انتصار ثورة ١٤ تموز الخالدة في عام ١٩٥٨.


الروائي ابراهيم احمد

هذه الصفحات الوطنية من التاريخ المعاصر لأمتنا انعكست في الأدب الكردي بشكل عام وفي الرواية الكردية بشكل خاص، وتم تصوير وتجسيد الظروف الصعبة لمجتمعنا كقضية سياسية معاصرة في بعض الروايات. وإذا كان " معيار جودة الرواية يكمن في مدى تأثره بالسمات المرحلية التي يمر بها

المجتمع، متجسداً بمحاولته التعبير عن شخصيته المستقلة الرائدة في المجالات السياسية والأقتصادية والأجتماعية، فأن كتاب هذا الأتجاه في الرواية العراقية، قد ادركوا بعمق حقيقة هذه المسألة، وتمثلوها بصدق فني "[3]، ولذا يعتبر الروائي دائماً شاهداً على عصره، وتشهد روايته على طبيعة ذلك العصر.

يجد الباحث في الروايات الكردية بأن الخط السياسي في روايات (شار – المدية) للروائي حسين عارف و (ثةرستطةى دلدارى – معبد الحب) للروائي اسماعيل رسول و(هةلكشان بةرةو لوتكة – الأرتقاء نحو القمة) للروائي عبد الله سراج ليست هي الطابع الرئيس فيها، وهذا الخط السياسي هو في خدمة الخط الأجتماعي لهذه الروايات. وكذلك تناولت تلك الروايات الأحداث السياسية لأعوام النظام الملكي في الأربعينيات والخمسينيات وتنتهي بثورة ١٤ تموز لعام ١٩٥٨، وماعدا رواية (الأرتقاء نحو القمة) التي ظل البطل (توفيق) حتى عام ١٩٦١ له دوره السياسي بعد التحاقه بمجاهدي جبال وسهول كرميان، ولم تقدم روايتا (المدينة) و(الأرتقاء نحو القمة) نهايتهما، ورغم قيام حسين عارف بتقديم الجزء الثاني من روايته مختتماً بها احداث روايته، إلا أن عبد الله سراج لم يقدم الجزء الثاني لتلك الرواية التي توقفت مع انبثاق ثورة ايلول الكردية في عام ١٩٦١، وماعدا حسين عارف الذي كشف الجهة والحزب السياسي المقصود فأن البقية من كتاب تلك الروايات لم يجرأو على كشف الجهة السياسية والحزب المقصود في احداثها.

الخط السياسي في روايات (ژانی گەل – مخاض الشعب) للروائي ابراهيم احمد و(هيض – لاشيء) للروائي خسرو الجاف هو الطابع العام والخط الأجتماعي فيهما هو في خدمة الخط السياسي، بينما الخط السياسي في رواية (راز – اللغز) هو في خدمة الخط التاريخي فيها.

تعتبر رواية (مخاض الشعب) للروائي ابراهيم احمد*[1] ثالث رواية كردية مكتوبة في كردستان العراق، وهي أول رواية سياسية كردية فيها. وفي هذه الرواية نجد ظاهرة عدم كشف اسم الجهة السياسية، حتى أن الكاتب يستخدم رمز (ل.ن.أ) لاسم تلك الجهة، وحسب اعتقادنا فأن هذه الأحرف الثلاث هي مختصر لعبارة (لةشكرى نيشتمانى ئازاديخواز) الكردية التي تعني باللغة العربية (الجيش الوطني التحرري). وكذلك لا يسط الروائي أي شعاع مباشر على ذلك الحزب الذي يشرف على ذلك الجيش، على الرغم من أن الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني كانا على الأغلب لهما دورهما بين المسلحين الكرد في تلك الفترة التي يتحدث عنها الروائي.

كذلك لم يسلط الكاتب شعاعاً كافياً على طبيعة افكار تلك المنظمة التي يكون (جوامير) أحد ابطالها واعضاؤها، ويكون (نريمان حسن) أحد معتمدي تلك المنظمة داخل المدينة حين يقوم بإيصال الرسائل بين مسلحي المنظمة خارج المدينة وبين مؤيديها داخل المدينة، ويقوم ايضاً بإدارة امور نضالها السري داخل المدينة.

راعى الروائي في هذا النص الجانب الرمزي في تسمية البطل، حيث تعني كلمة (جوامير) في اللغة الكردية (البطل)، واستخدم حرفاً واحداً كرمز لاسماء المدن التي تدور جوانب من أحداث الرواية فيها، مثلاً استخدم هذه الحروف لاسماء المدن (ض، ه، ن، ك، م)(*4) ، وكان المفروض به أن لا يتبع هذا الترميز في طبع روايته خلال عام ١٩٧٣ ويكشف بالكامل اسماؤها لانتهاء الخوف من الرقيب الذي يحاسبه عليها في فترة كتابته لهذا النص الروائي في اعوام الخمسينيات، لأن الكاتب يهدي نصه الروائي الى ثوار الجزائر.

تم بناء الحدث الرئيس لهذه الرواية على تلك الصدفة التي تؤدي الى اعتقال البطل (جوامير) عندما يذهب مضطراً لأحضار القابلة المأذونة (ثيرؤز خان) لأنقاذ زوجته (كالى) في وقت ولادتها. صحيح كان بأمكان (جوامير) أن يسلك طريقاً آخر في الذهاب الى بيت القابلة المأذونة، ولا يلجأ الى الطريق المؤدي الى امام باب السراي، الذي أدخله فيما بعد بين الجماهير المنسحبة من المتظاهرة واعتقاله معهم، لكن الروائي لتحقيق دور الصدفة في بناء حدث روايته يجعل من بطله لا يتذكر ذلك اليوم الذي يقرر فيه اهالي المدينة القيام بمظاهرة كبيرة أمام باب السراي، وبذلك من ضمن المتظاهرين رغم انفه ثم يدفع رغماعنه ثمناً كبيرا.

كذلك تجعل هذه الصدفة من (جوامير) لدى ازلام السلطة واحداً من زعماء ووقادة تلك المظاهرة، وحقيقة هذه الصدفة تظهر من خلال حديث (جوامير) نفسه عن ذلك الحادث لقراء النص، حيث يوضح بأن لا علاقة له بتلك المظاهرة، وأنه موظف لا نشاط حزبي له. هذه الحقيقة التي يظهرها (جوامير) تعطي طابعاً حقيقياً وواقعياً لنسج الحدث الرئيس، وتتجلى تلك الحقيقة في حديث (جوامير) بعد عشر سنين من السجن واطلاق سراحه:

-لا أنسى ! أخاف أن يُكتب غالبية التاريخ هكذا ؟ صدقوني كم لهؤلاء الأشخاص الذين جاءت بهم الأمبريالية باسماء كبيرة وممثلين لهذا البلد علاقة مع الحقيقة الكبرى لهذا البلد، أنا ايضاً بنفس الشكل كنت قائداً لتلك المظاهرة وبذات القدر كانت لي علاقة بهم..

(مخاض الشعب / ص١٢٢-١٢٣)

ويستمر (جوامير) في حديثه، ويقول:

حقيقتها هي الآتي.. حين خرجت من البيت كنت مثل علمَ أموات (تلة سيوان)(*5) بمظاهرة الحزب !، ولأجل الوصول بسرعة الى مكاني المقصود كان من الضروري المرور من أمام باب السراي الذي كان اقرب طريق، وحين رأيت المكان مكتظاً لا يستطيع الطير النفاذ من خلالهم رجعت راكضاً حتى اصل لمكاني المقصود من طريق آخر، ولتعاسة حظي تم في تلك اللحظة اطلاق النار على الساحة من فوق ابنية السراي فاضطر الناس للتراجع الى داخل الأزقة والهرب، ولكون جنابي لم يكن معهم وكنت الأخير بعدهم جميعاً فأصبحت هكذا من أولهم، وبهذا الشكل انقلب حالي واصبحت رائداً للمتظاهرين وأحد قادة الحركة المشهورين.. (مخاض الشعب/ ص١٢٣).

يتضح من هذا الحديث بان (جوامير) لم يكن حسب رغبته وقراره في تلك المظاهرة التي حدثت يوم ٢٥ تشرين، ولم يكن قائداً حقيقياً لجماهير تلك المظاهرة التي تسببت في معاقبته بشدة من قبل السلطة. هذه الصورة المجسدة للبطل بين حقيقة حياته في كلا الزمنين الماضي والحاضر يوصل (جوامير) رويداً رويدا الى أن يصبح، بعد معرفته بفناء عائلته، وتهديم بيته وقصف القرى، وقتل العديد من موطني القرى الأبرياء بسب قصف طائرات النظام، وتطبيق الأحكام العرفية داخل المدن، كل هذه الأمور تدفع (جوامير) ليتخذ قراره بالألتحاق بصفوف (ل. ن. ا — جيش التحرير الوطني)، وبهذا لم يرد الروائي أن يجعل من بطله بطلاً كاذباً، بل هيأ له الأرضية رويداً رويدا، ومن عندها يصبح (جوامير) حقيقة من ابطال شعبه، ويصبح من رجاله الأبطال، ونعتقد بأن البطل (جوامير) له دوره في تخليد الكاتب (ابراهيم احمد) روائياً مثلما فعل (جان فال جان) بطل رواية (البؤساء) في تخليد الروائي الفرنسي (فيكتور هيكو).

حاول الروائي من اختيار اسم (جوامير) لبطله و (مخاض الشعب) لعنوان روايته أن يستفيد من جانب المعنى الكنائي والبلاغي لهاتين الكلمتين، بل أن معنى (مخاض الشعب) تفسر بهذا الشكل الثوري من قبل نريمان حسن:

-الثورة هي مخاض الشعب ، والمخاض يحمل معناه بذاته إن كان يخص المرأة أو الشعب، لذا ليس بالشيء العجيب أن يكون مخاض الشعب مليئاً بالمعاناة والآلام وفصد العرق وانهمار الدموع وسكب الدماء، هكذا هو.. ولكن هل هناك شكاً في أن يرافق ميلاد أمة حرة مرفوعة الهام وسعيدة مخاضاً مليئا بالمعاناة والمآسي ؟!..

(مخاض الشعب / ص٢٢)

يتضح حقيقة الحدث الرئيس لهذه الرواية السياسية عن طريق الأسترجاع (Flash Back)، ولكن حقيقة حبكتها (Plot) مبنية على اساس حبكة الفكرة[6*] التي تبرزها تطور الأحداث، وحبكة هذه الرواية هو محاولة البطل لرؤية اسرته ومعرفة اخبارهم. هذه الحبكة منسوجة بشكل لايدع الروائي (لاوه) ابن عم البطل حتى نهاية الرواية أن يبلغه بوفاة زوجته (كالى) اثناء الولادة، ولا يدع ايضاً أن يتحدث اصدقاء (جوامير) له عن تلك الحادثة، لأن هكذا عمل يؤدي الى كشف كامل لغز الحبكة، فليس من المعقول أن لا يعرف هؤلاء الأصدقاء بمصير اسرة (جوامير) خلال عشرة أعوام من سجنه، بعد أن يصاب بطلق ناري ويحال الى السجن وبسببه يُعتبر من أحد قادة المظاهرة.

حبكة وحدث الرواية الرئيس ليستا بالخياليتين، بل انهما منتقيتان من واقع مجتمعنا في العهد الملكي، حتى أن طبيعة نسج حبكة الرواية تهيأ السبيل لعودة (جوامير) الى داخل الكفاح المسلح لشعبه ويناظل في صفوف مسلحي(ل.ن.ا) للأنتقام لنفسه وشعبه من الأعمال الدموية وجرائم النظام الديكتاتوري لعصره.

لم يبالغ الروائي في تصوير المشاهد الحزينة لمحصلة قصف سكنة القرى، وكذلك لم يفعل هذا

الشيء في تصوير مشهد اطلاق النيران على جماهير المظاهرة بعد انسحابهم، بل حتى الروائي في وقفة[7*] يصور بشكل واقعي بريق موقف (situation) مشاعر وجدان الجندي حين يرى بأنه قتل امرأة وطفلا بريئا، وهذه الوقفة يجسدها هكذا:

-من نافذة اسفل غرفة المكتبة العامة،التي تطل على مركز الزقاق ، يبدو رأس جندي يوجه فوهة البندقيه التي أمامه بلا خوف على الناس، وبين الفينة والأخرى يمشط الشارع بالرصاص، وكل من تصيبه فهو حظه !. هناك أمرأة تأخذ بيد ولدها علا منها صرخة وسقطت على الأرض.. توقف الرمي.. ورغم أن الجندي كان مطلاً عليها برأسه، لكنه لم يطلق الرصاص ! ياترى هل قتل المرأة البريئة ؟ فصراخ الطفل قد جعله مضطرباً، أم أن الصراع بين وجدانه واصابعه قد بدأ، كان يبدو قلقاً..

(مخاض الشعب / ص١٨-١٩)

الرواية مليئة بالأحداث السياسية، ومضمون الرواية يظهر بعض الجوانب من طبيعة واقع حياة شعبنا في أعوام العهد الملكي في العراق، الذي كان بقوة القتل والأحكام العرفية واعتقال المناظلين وسجنهم، وتهديم بيوت هؤلاء الذين يبدون اعمال معارضة للسلطة، وغلق تلك المحلات التي يقتل شرطي امامها، ومحاصرة المدن وعدم السماح لأي شخص لايحمل اجازة من مسؤولي السلطة بمغادرة المدن، ومنع التجول داخل المدن من الساعة التاسعة ليلاً حتى السادسة صباحاً. بهكذا اعمال حكمَ الشعب الكردي بشكل خاص والشعب العراقي بشكل عام، حتى أن الحياة كانت صعبة لحد أنه لم يكن هناك فرق بين حياة ما بين داخل السجن وخارجه. هذه الحقيقة تظهر من خلال حديث (لاوه) حين يقول لجوامير:

-يا أخ جوامير ! لاتسأل عن حال هذا الناس كيف كانوا يعيشون، فلم يكن أحداً صاحب حريته وحياته وناموسه، ولاتعتبرها كذبة أن قلت بأنكم في السجن كنتم اكثر حرية واطمئناناً منا نحن الطلقاء !.

(مخاض الشعب / ص٣٦-٣٧)

في البناء الفني لهذه الرواية تم الأستفادة من طريقة سرد الذكريات وتبادل الرسائل والمنلوج والأسترجاع والحوار القصير والطويل، وهناك في النص عدة صور فنية مليئة بالكلمات البلاغية وعدة اسطر شعرية موظفة لخدمة طبيعة الحدث الرئيس للرواية.

لشخصية (لاوه) دور مؤثر في مساعدة نسج حبكة الرواية، ولها دورها في انقلاب (جوامير) نحو النظال الثوري ، ورغم أن (لاوه) لم يكن منتمياً لأي حزب، ولكن بأفعاله جعل من (جوامير) أن يعود الى داخل واقع شعبه ويتخذ قراره من محصلة رؤية مصاعب حياة شعبه.

صورت شخصية (لاوه) بأنها متذمرة من واقعها، وتبحث عن حلم جميل عن طريق شرب الخمر، ولكن شخصية (جوامير) على العكس صورت وهي تبحث عن واقع جميل لايعتبر شرب الخمر وسيلة لصنع حلم جميل، بل يعتبره في تلك الأيام العصيبة هروباً من الواقع، ويراه عملاً غير مقبول، ولا يتفق

مع ظروف الأمة. وبهذا الصدد يرى جوامير عملية شرب الخمر هكذا:

-اعتقد... السكير بفقدانه للوعي والمتعة الكاذبة التي يصل اليها يفقد كلياً المتعة الحقيقية، ولايهتم بالسبب الرئيس للحالة السيئة وخراب البيوت وحياته وحياة شعبه المليئة بالمعاناة، ويرفع يده عن النضال من اجل القضاء عليها..

(مخاض الشعب / ص١٢.)

لا يستمر هذا الموقف لجوامير حتى نهاية الرواية، بل يتراجع عن قراره حين يقول لأصدقائه:

-لقد قررت في سجني أن لا أشربها إلا في عيد الأستقلال..

(مخاض الشعب / ص١١٤)

هذا التناقض في موقف (جوامير) يوزي موقفه في اظهار نفسه كإنسان لا يرغب في الأمور السياسية، ولكن مرارة الواقع تجعله يلجأ لشرب الخمر ويتخذ قراره النهائي للبدء بالنضال المسلح والثوري، بعد أن يجد نفسه رجلاً أعزب يعيش داخل مدينة لم يبق فيها مجالاً لحياة هادئة.

كان (جوامير) في البداية مستقلاً، لكنه فيما بعد اصبح بطلاً ملتزماً، ولم يكن في مجال السياسة فقط صاحب موقف جيد، بل حتى في المجال الأجتماعي ايضاً يصبح صاحب ذلك الشعور. صحيح أن (جوامير) رغب كثيراً في أن يتزوج (ئاسكؤلة) ابنة عمه، ولكن حين يعرف بأن زوجة عمه لا ترغب في تزويجه اياها من منطلق طبقي عندها تبرد مشاعره تجاهها. وتلعب الصدفة والأضطرار مرة أخرى دورها في انجذاب قلبه نحو (كالى) تلك الفتاة المظلومة من اقارب (العمة ئةضى) والدته، فالروائي في هذا المجال يجعل من مقتل والد (كالى) في قرية (طولان) على يد أحد رجال السلطة ووضع اليد على ينبوع ماؤه سبباً لبقاء (كالى) ووالدتها في بيت (جوامير) حين تأتيان الى المدينة لكي تأخذن بحقهما، ولكن مساندة الظالم من قبل المسؤولين لايدعهما الوصول لتلك الأمنية.

هذه الحبكة الثانوية تمهد السبيل لظهور الحب بين (جوامير) و(كالى)، وتكون محصلتها تكوين اسرة بينهما، ولكن الأيام العصيبة لاتدع قلبهما يهنأ بأطمنان بطفل. والجدير بالذكر هو اظهار الروائي مقدرة القراءة الجيدة لدى (كالى)، حتى انها لاتجد صعوبة كثيرة في قراءة قصائد (نالى) والشعراء الأخرين، ولكن الروائي لايظهر مستوى التحصيل الدراسي لدى(جوامير) و(كالى)، رغم أنه يتحدث عن مكتبة (جوامير) ورغبته في انشاء مكتبة داخل مدينته بعد اطلاق سراحه.

هناك في المجال الأجتماعي لهذه الرواية حديثاً عن الحب والأضطهاد الأجتماعي، ولكن هذا المجال موظف بشكل أكثر لخدمة الخط السياسي لهذه الرواية. والبطل له في المجالين الأجتماعي والسياسي دوره المؤثر، ولم يحاول فقط للعيش داخل مجتمعه، بل أن نتيجة تطور الأحداث تجعله يقرر تغيير الظروف الأجتماعية والسياسية لشعبه، وبهذا يخطو نحو تمثيل خصائص البطل الأنموذجي والجيد.

أن طبيعة بناء المكان داخل هذا النص هو مغلق، لأن البطل (جوامير) يقضي سلسلة حياته بين المدينة والسجن، بل حتى في التحاقه بمسلحي

(ل.ن.ا) لايبتعد عن محيط مدينته، وكذلك يقوم الأشخاص الآخرون للرواية من سكنة مدينته بالذهاب الى مدن أخرى والعودة الى مدينتهم. أن مساحة المكان في هذه الرواية واسعة لحد ما وهناك اسماء لأكثر من مدينة دونت بشكل رمزي، لكن الروائي لم يهتم بجانب وصف المكان، وكذلك لم يهتم كثيراً بوصف محيط البطل والأشخاص.

لم يتبع الروائي في بناء زمن نصه الأسلوب التقليدي، وجعل من الزمن الحاضر اساساً للحديث عن الأحداث الماضية للبطل (جوامير) التي تشمل أعوام الأربعينيات حتى منتصف الخمسينيات. هذا الزمن الداخلي للرواية، أو زمن السرد، يتفق مع طبيعة زمن النص، أو الزمن الخارجي للرواية، لأن الروائي أشار الى كونه قد بدأ بكتابة روايته في شهر نيسان من عام ١٩٥٦، أي أن زمن النص وزمن الكتابة هما في العهد الملكي. والجدير بالذكر أن الروائي في زمن سرده التجأ الى الزمن المفتعل ويقع في خطأ، وعلى سبيل المثال لو طرحنا عشرة أعوام سجن (جوامير) من عام ١٩٥٦ الذي هو عام كتابة هذه الرواية عندها يكون زمن السرد هو عام ١٩٤٦، وهكذا لايتفق بداية سجن (جوامير) مع تاريخ أعدام ابطال الحزب الأربعة في عام ١٩٤٩ الذين أعدموا بعد القضاء على جمهورية كردستان في مهاباد لدورهم في تلك الجمهورية[*]، وبهذا الصدد يشير (جوامير) الى اعتقال وحكم الأعدام بحق ثلاثة ابطال للحزب ويقول: " ثيرؤت وباوقيس ومةريوان هم ثلاث قادة ابطال للحزب أصدر الوحوش بحقهم حكم الأعدام".

(مخاض الشعب / ص١٥١-١٥٢)

استخدم الروائي هنا الغموض حول حقيقة هذا الحدث المهم، لأن الأبطال الذين تم أعدامهم شنقاً في سجن باب المعظم بتاريخ ١٩٤٧/٦/١٩، بسبب اشتراكهم في جمهورية كردستان هم اربعة وليسوا ثلاثة، وهم كلاً من: (مصطفى خوشناو، عزت عبد العزيز، خيرالله عبد الكريم، محمد محمود قودسي). هذا الغموض مكرر بشكل واضح لحماية نفسه من رقابة المطبوعات حين أهدى نصه الى انتفاضة الشعب الجزائري، رغم أن أجواء النص وطبيعة المكان واسماء الأبطال منتقاة من واقع حال ومعيشة أمتنا في السليمانية، التي كانت بعد قمع انتفاضة كل جماهير العراق في عام ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسموث التي وقعها آنذاك صالح جبر رئيس وزراء العراق في العهد الملكي وممثل حكومة بريطانيا. كذلك استخدم الروائي الغموض في حقيقة ظهور النشاط المسلح في مدن ومناطق كردستان العراق، وهذا الجانب من حق الروائي في محاولته منح جانب واقعي أو غير واقعي لطبيعة أحداث نصه. كذلك استخدم الروائي غموضاً آخر في تسجيل تاريخ المظاهرة ويقول فقط (٢٥ تشرين) من دون تحديد مقصده أهو تشرين الأول أم تشرين الثاني ولم يحدد عامها ايضاً ؟!، كذلك استخدم الروائي غموضاً آخر عندما يجعل من (ل.ن.ا) وليس (حزب هيوا) او الحزب الديمقراطي الكردستاني هي التي تقود النشاط المسلح لثوار المنطقة.

استفاد الروائي من اسلوب الصوت المنفرد (Mono Phone)[*7] التي في أطارها يوضح فقط

وجهة نظر (Point of view) البطل وتكون مسيطرة على اراء الأشخاص الآخرين. كذلك استفاد الروائي من صوت المؤلف الضمني في سرد أحداث النص، وفي هذا المجال يشترك في سرد طبيعة الأحداث كلاً من صوت (أنا) الراوي الغائب من خلال استخدام ضمير الشخص الثالث المفرد مع صوت (أنا) للبطل من خلال استخدام ضمير الشخص الأول المفرد، أي أن الروائي استفاد من الراوي المراقب والراوي المشارك، وأن راوي الرواية هو كلي العلم ومع البطل ينظر للأحداث.

أن دور (جوامير) في قراءة تلك الرسالة المرسلة له من قبل (لاوه) أبن عمه يعتبر كقارىء ضمني (Implid reader)، ولكن (لاوه) واصدقاؤه يؤدون دور المروي لـه (Narrtee) عند سماعهم للروي. كذلك استفاد الروائي من كلا اسلوبي السرد الموضوعي والسرد الذاتي، وعلى سبيل المثال عند ولوجه الحديث ووصف المكان والملابس وسيماء الأشخاص استفاد من السرد الخارجي، لكنه في وصف الأنفعال النفسي لجوامير استفاد من السرد الذاتي، وباستخدام هذين الأسلوبين للسرد اعطى طابعاً واقعياً لطبيعة أحداث الرواية.

لم يستعجل الروائي في تفكيك حبكة الرواية، حيث تطور الأحداث رويداً رويدا تظهر حقيقة حبكة الرواية، بل أن وصول رسالة (لاوه) الى (جوامير) في نهاية الرواية تزامل لحظة وصول (جوامير) الى حقيقة ماجرى لأسرته، وهذا الأمر تؤدي الى زيادة توطيد نسج حبكة الرواية.

الهوامش

١- احمد محمد عطية – الرواية السياسية، مؤسسة مطابع معتوق، بيروت، بلا عام طبع، ص٧.

٢- المصدر نفسه المصدر، ص١٧

٣- باقر جواد الزجاجي – الرواية العراقية وقضية الريف،دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٩٩

* ولد الروائي ابراهيم احمد في عام ١٩١٤ في مدينة السليمانية، واكمل في عام ١٩٣٧ دراسته في كلية الحقوق في بغداد، وهذا الروائي من مشاهير كتاب وادباء شعبنا. ساهم مع الكاتب والصحفي الراحل المرحوم علاءالدين سجادي باصدار مجلة (گەلاوێژ) خلال أعوام ١٩٣٩- ١٩٤٩، وكذلك كانت له دوره الكبير في اصدار جريدة (خەبات – النضال) لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني بعد ثورة ١٤ تموز المجيدة في عام ١٩٥٨، وله عدة مقالات منشورة في عدة جرائد ومجلات كردية باسم مستعار أو باسمه الصريح، وله عدة نتاجات أدبية منها:

- بەرەو ڕووناكی – نحو النور

- كوێرەوەری – البؤس، مجموعة قصصية، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٩

- ژانی گەل – مخاض الشعب، رواية، مطبعة كاكەی فەلاح، سليمانية، ١٩٧٢،

وكذلك تم طبعها للمرة الثانية في مطبعة سەيديان في كردستان ايران. وقد نشر قسم من هذه الرواية بشكل حلقات خلال عام ١٩٦٩ في مجلة

(رزگـاری – الأسـتقلال) الـتي كـات تـصدر في السليمانية، وآخر تلك الحلقات كانت في العدد الثالث عشر من تلك المجلة، ومن الجدير بالذكر أن هذه الرواية سيتم تحويلها الى فيلم سينمائي كردي بدأت مراحل تصويرها الأولى في مدينة السليمانية منذ ٢٠٠٦/٢/١٢، ويقوم مخرج كردي من ايران بإخراجها مع مشاركة عدد هائل من الممثلين الكرد فيها.

* يقول الروائي بصدد مثل هذه الرموز " بدأت في نيسان عام ١٩٥٦ بكتابة هذه الملحمة، وكان العائق الكبير أمامي هو كيف انقذها من يد رقيب النظام العميل والرجعي (نظام نوري سعيد) واوصلها ليد القراء الكرد. ولتجاوز هذا العائق سلكت الطريقة القديمة، ألا وهو طريقة تمويه واخفاء أرضية ولغة الملحمة، وعدم الأفصاح عن اسم وجنسية وقومية ابطالها "... انظر كلتا صفحتي ٢٥٠ و٢٥١ من الرواية. هنا لانعرف كيف يتفق هذا التوضيح للكاتب مع جملة اهداء الرواية حين يقول فيها: " مخاض الشعب.. مهداة الى مناضلي الجزائر الشجعان.. نيسان/١٩٥٦/ كركوك، وكذلك لم يفصح عن معنى هذه الحروف (هـ.ل.ن) لا في مقدمة د.كمال فؤاد ولا في معلومات نهاية الروية ؟!.

* مقبرة تلة سيوان تقع بالقرب من مدينة السليمانية، ومعروف عنها مقبرة لشهداء وأدباء ووجهاء هذه المدينة.

* اساس (حبكة الفكرة) تتكون من عملية التغيير التامة في فكر البطل ومن ثم في مشاعره، وكلا جانبي الشخصية والفعل تسيطران عليه وتوجهانه... انظر: اليزابيث ديبل – الحبكة، ترجمة: د. عبدالواحد لؤلؤة، ص٣.

* يتوقف في الوقفة استمراية الزمن والأحداث لكي يُظهر موقف شخصية بشكل تجعل القارىء يشاركه ذات الأحساس.

* في رواية الصوت المنفرد كما يشير اليه يرتبط الفكرة البارزة بسيطرة الراوي أو تلك الشخصية التي من خلال اطار افكارها تؤدي دور السارد، وكذلك في هكذا نوع من الروايات يهيمن الأيديولوجيا المنفردة لصاحب الفكرة البارزة على كل العمل الأدبي... انظر: فاضل ثامر في كتابه - (الصوت الآخر – الجوهر الحواري للخطاب الأدبي)، مطابع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢، ص٢٠-٢١

المصادر

- ابراهيم احمد - ژانى گەل – مخاض الشعب، رواية، مطبعة كاكەى فەلاح، سليمانية، ١٩٧٣

- احمد محمد عطية – الرواية السياسية، مؤسسة مطابع معتوق، بيروت، بلا عام طبع.

- باقر جواد الزجاجي – الرواية العراقية وقضية الريف، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨.

- فاضل ثامر في كتابه - (الصوت الآخر – الجوهر الحواري للخطاب الأدبي)، مطابع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢.



قصائد للشاعر

فريدون عبدول برزنجي

ترجمة: د. عزالدين مصطفى رسول

والقلب ينكسر كالزجاجة

من يقول انني لست رحالة؟

اذن فلماذا اجعل

من كل بلدان الهموم ليلا

محطات قصائدي

ولا ابلغك؟

انت ذهبت ولم تقولي لي

من اين اقص

حكاية عشقك

انت ذهبت

وسلكت طريقك ولم تلتفتي الي

سبع سنوات من البعاد

علمتني على الاحتراق

ففي كل يوم

مسني اللهيب عشرات المرات

ولم احترق

**

من يقول انا لست رحالة؟

فلماذا اقطع ليلا

كل حدود الكلمات

ولا ادفىء نفسي

ولو كان لساعة

في احضان قصيدة؟

وخطوات

خطوات الظمأ

فوق عشرات الانهر

وينابيع العشق

ولم ارتو من مياهها بالتمام

**

منذ ميلادي والى الآن

اخطوا خطوات الغربة

ولم اجد احدا

يفتح ابواب قلبي..

ويأخذ مني حقيبة الارتحال

ويواسيني قليلا

**

ما اقدم جروحي

ان دماء التأريخ تتقطر منها

ومنذ ان وجدت

قلبي منطرح امام قبضات

هذه الدنيا الصاخبة

فيكف لايتكسر

مثل الزجاج؟

**

قلبي الان

مجموعة هموم متعقدة

قلبي الان

مجموعة هموم مباركة

ولهذا ازحف احيانا

بهدوء

نحو عالم المعاناة والحنين

واحيانا

يمسك الشعر الغاضب

بتلابيبي

والعن..

كل شاعر جبان

العن كل انسان

يركع لعدوه

العن

الدنيا التي

اضحت نسيج عنكبوت

٢٨ آب ١٩٨٥

الى العام ١٩٨٤

شفتا العاشق

تمطران البسمات

ولكنهما تبكيان من الاعماق

ايتها السحابة امطري

كي اعرف

أدموعي اكثر انهمارا

ام امطارك..

امطري كي اعرف

أ أنين قلبي اكثر جيشانا

ام بكاؤك

هيا امطري

فالمطر المنهمر وحده

ينقي اوساخ جسم

هذا العالم

الذي امسى دون وضوء

لماذا لاتأتي الرياح

بصوتك

صوتك

نغمة موسيقى

موجا.. موجا

تهاجم دماغي

رويدا.. رويدا

تمتزج بدمائي

وتتقطر في اعماقي

**

لماذا لا تأتي "الرياح" بصوتك

كي يصوغ دماغي

ويهز اعماقي
انت بعيدة
يقولون: ان البعاد
يخمد نار العشق
ويخنق الحب
اترين مابيني وبينك
مثل ذاك وماقلناه
قشة في مهب الريح
**
عندما كنت لي
كان كل شيء جميلا عندي
وما كان اسهل عندي
حل اعظم هم وعقدة
ولكن الان وانت غائبة عني
اظن ان صوت الطائر
لن يسمع
ولن يأتي النسيم بريح منعشة
وتهرب بسمات شفتي
ويتبدل مزاج شعري
لماذا لا تأتي الرياح بصوتك
كي يصوغ دماغي
ويهزني من الاعماق

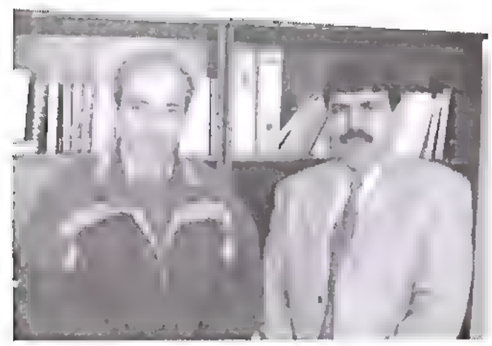
السليمانية ١٩٨٥

اشتاق اليك

احبتك بصمت
فعلي ان اذكرك بصمت
افتح شباكي
فأدخلي مع الهام قصيدة
تعالي كي احدثك
عن وحدتي، بغيابك
ثقي ان اله الجمال سيغفر لنا
**
يا ابنة الشعر
مع حنين
كل نغمة مبهجة
اشتاق اليك
مع انين كل قلب هائج
اشتاق اليك
مع حفيف النسيم عند المساء
مع قطرات المطر
اشتاق اليك
**
عندما لا اراك
احسد ذلك الرياح
الذي يهتز جدائلك مساء
فانها تشم احيانا
عطر ضفائرك
**
عندما اراك عند المساء
يرميني وهس قصيدة جميلة
في بحر المعاناة
وانت ادرى
ان قصيدة تكتب لك
ما اشد آلام مخاضها

خريف ١٩٨٤

قصائد للشاعر الكردي مؤيد طيب


الشاعر مؤيد طيب مع المترجم بدل رفو في دهوك

ترجمة: بدل رفو المزوري
النمسا/ غراتس

1- دهوك

كم هي عذبة رائحتك
يا وطني المزق
تحت بساطيل المحتلين...
قالوا:
غدوت مدينة كبيرة
قالوا:
تهيجت كلاب السلطان المسعورة
ويسكبون الدماء في الأزقة
قالوا:
العجائز الشمطاوات
تنخرن جسدك
وترعشن اوصالك
قالوا:

مهما أظلمت ليلة السلطان
فنارك ستظل نيرة،
ولن تفر مشاعلك وقناديلك
قالوا:
غدوت مدينة كبيرة
لكني !مهما عبرت الشهور والسنين
وكبرت...
ساظل طفلا صغيرا في اعين والدتي
هكذا انت..
مهما جاوزت التلال والجبال
ومتى ما اخفيت جفنيك
تعالي وضعي راسك على صدري
احببتك..في موسم الشتاء
حين كانت قمم الجبال مغطاة بالتلوج

احببتك في موسم الربيع
حين كنا شلة اطفال
نسرق اللوز من بساتينك
عشقتك في موسم الصيف
حين كنت ثملاً في منتصف الليالي
والنسمات تقدم من واديك
هويتك في موسم الخريف
حين كانت وجبة جديدة من اطفالك
يتراكضون صوب المدرسة
لكني في الغربة..
احبك دائما وابدا
وفي كل الازمنة
فإن غدوت ذئبا مفترسا
قادما من الغابات،ا`حبك
وان غدوت مزنة حالوب شديدة
وهطلت على رأسي، أحبك
وان إستحلت ينبوع نار
تنهل من تحت قدمي، احبك
قالوا: غدوت مدينة كبيرة
فمن امواجك يتراكض
أتباع السلطان..
قالوا:
لقد إستحال الوحش فرعونا
يتسلق شجرة الرمان
كي يغير وجهة شمسك
لكن، ستظل شمسك مثلما كانت
تشرق من (كه لى بيسرى) أبدا
وتغيب في (كرى شاخكى) دائما

٢ــ ألهوى

حين أحببتك...
أحببتُ النار والامطار
أحببتُ المشانق والخنادق
أحببتُ المناضلين والكادحين
أحببتُ النجاد السامقة
أحببتُ كل المدن والقرى
لكن!
حين ركعتُ لقامتك
وقرأتُ صفحة عشقك
وخلجتُ شجرة الامنيات
لم اركع في حياتي لأحد قط
ولن يقدر احد أن يأمرني
بالركوع.

فاتنتي..
من ثغرك ...
عرفت كم هو رائع وطني
ومن خصلات شعرك الاسود ، الحالك
علمت بان الليلة التي ستحل
على وطني، كم هي سوداوية
لكن عشقك في قلبي
نار وتطلب النيران
وان تفجر هذا الفؤاد
الملئ بالنار المتاججة
فأية ليلة ستبقى
واي هشيم أسود
سيوقف زحف النار.

٣ـ أغنية

يخاطب الشاعر في هذه القصيدة ابن اخيه شفان بمناسبة عيد ميلاده من الغربة ،وهي مهداة ايضا الى الاطفال الأكراد بمناسبة اعياد ميلادهم ،إن كانت اعياد ميلاد ويعلمون متى ولدوا....

شفان يا حبيبي ...
في اعياد ميلاد هذا الوطن
يوقدون الشموع...
لكن! في وطني يحرقون القرى
شفان .. ياروح العم
في اعياد ميلاد هذا الوطن
يقطعون التورتة
لكن!
في قريتي يبترون الرؤوس
شفان .. ياعمر العمر
في اعياد ميلاد هذا الوطن
ومن افواه القناني
يتناثر الشراب والهوى
ومن شفاه الناس
تتراقص الاغاني
والمواويل
لكن! في ميادين وطني
ومن فوهات المدافع والطائرات
تنبعث النار والقنابل
ومن التراب تتطاير
الاجساد والايدي..
لكنكم ستظلون احياء ترزقون
ولن تموتوا.

مؤيد طيب ... شاعر كردي من مدينة دهوك والتي تغنى بها الشاعر في هذه القصيدة التي كتبها في الغربة ، حين كان مقيما في السويد .. وتتميز قصائد الشاعر بالواقعية الثورية وهناك بصمات واضحة من صور وتركيبة قصائده على الشعراء الشباب في الثمانينيات ويحظى الشاعر بشعبية كبيرة في منطقة بهدينان وحاليا يعيش الشاعر في مدينة دهوك .. وترجمت القصائد بقليل من التصرف

badalravo@hotmail.com

الحبيبة الآتية من حلبجه



سوزان سامانجي

ترجمة: إبراهيم محمد

اقتربت "سانيا خانم"، وهي تجوب المنزل جيئة وذهاباً بفردتي (مشايتها) المدويتين، من ابنتها التي تغسل الشرفة، وقالت لها: "أسرعي، لقد حان وقت قدومهم، لانريد أية نواقص، فاطمة خانم هذه كثيرة الكلام". انتصبت ابنتها، والعرق يتصبب منها: "ألا ترين حالي، أوشكت أن أهلك من التعب !!؟". ردت سانيا خانم، بصوت خفيضٍ وبثقةٍ: "فلتسرّ أمورُ أخيك بخير، ولايهم مايحل بنا من عناء ..؛ هل تعلمين أنها قامت بتجهيز ابنتها، دون أي تقصير، ابنتها جميلة، وربة بيت. بالرغم من لامبالاة فاطمة خانم الظاهري، فإن شحم قلبها، يذوب عندما يمر إسم إحسان على مسمعيها". ثم أسرعت نحو الباب الخارجي، الذي كان يُطرق، ولم يفتها، أن تقولَ لابنتها: "أسرعي، وبدلي ملابسك".

كان القادم ابنها إحسان، الذي ضاقت الدنيا به منذ بضعة أيام، محتارة بصدده. قالت له بصوت أمومي: "مابك يابني. منذ فترة لاتستطيع المديةُ فتح فمك!، لاتكتم همومك عني، أنا أمك". لم يأبه إحسان بكلمات أمه، وبآلية، قصد الحمام، واضعاً رأسه المثقل بالألم تحت الماء. سمع صوت أمه: "تفضلوا، تفضلوا". عندما خرج من الحمام سمع جلجلة ضحكة أمه، وحديثها مع الضيوف.

تبرّمت سانيا خانم من تأخر ابنها. سحبت فردتي (مشايتها) نحو غرفة ابنها، ووقفت أمام بابها المفتوح. أجالت بعينيها. رأت إحسان مستلقياً، يحدق في السقف. نقرت الباب بهدوء، وقالت: "ابني..، فاطمة خانم ومن معها، قد جاؤوا للعشاء، لاتتأخر كثيراً..". لم يتحرك إحسان. تأملت سانيا خانم في وجه ابنها العابس.

دخل إحسانُ البَرِمُ الصالون. جلس على طاولة الطعام. كان الكلُ مشدوهين أمام التلفزيون. اختلست فاطمة خانم نظراتِ الغبطة مابين إحسان، وابنتها، بشعرها القمري المنسرح إلى الخلف. كانت سانيا خانم متضايقة من تصرفات إحسان، وطريقة مقابلته للضيوف، فيتغير لونها من حين إلى آخر، ولم تدرِ ماتفعله، سوى أن تنظر إلى ابنتها، نظرات استغاثة. تناول إحسان عشاءه دون شهية، وهو يتأمل نقوش غطاء الطاولة القماشي ويدير بمقبض ملعقته. لم يحتملِ البقاء أكثر. غادر مكانه دون صخب. وقال بصوت خفيض: "المعذرة، لدي عمل هام". عندما أغلق باب الغرفة. كانتِ الأنظارُ كلُها متجهةً نحوه؛ وهو بدوره خلف وراءه صوت الفرقة الموسيقية في التلفزيون، وهي تنشد "وأنا أيضاً، سأذهب إلى العاصمة".*

بؤساء، مغتمون، يجوبون الشوارع. يقف رجالٌ نصف عراة على الشرفات في صراعهم المرير مع قيظ النهار. نساء يختبئن خلف أبواب مفتوحة، ينشدن نسمة طرية من الهواء. سيارة العروس المزركشة. سيارات الإطفاء الزاعقة، وهي ترش الطرقات الإسفلتية بالماء. كل هذا وإحسان لايبالي، غير أن رائحة التراب المرشوش بالماء، قد أفعمت منخريه. وعلى عادته، مثل كل المرات رفع يده عالياً، وهو يلوح للباص الصغير القادم، مشيراً له بالتوقف. كان صوت "شفان" المنبعث من آلة التسجيل في الباص الصغير، وهو يغني "حلبجه" قد ترك أثراً كئيباً على وجوه الركاب، فتسرب الحزن الخفي إليهم.

عند موقف Daxkapiye، ترجّل إحسان من الباص، وهو يتجه نحو Fiskayae، مـرّ من أمام المشفى، واجه بعينين فارغتين سيارة الإسعاف المبهرة الأضواء، رأى الحشد من الناس، وهم يسيرون بخطوات عجولة. انحدر من التل، فلفح وجهَه هواءٌ ساخنٌ، له رائحة اليانسون. جلس على جذع شجرة بجانب الطريق. فتش في جيوبه عن علبة تبغه، العلبة التي كان قد نسيها في البيت.

كانت أضواء التلفزيونات تتراقص داخل المنازل. والأولاد الذين خرجوا للنوم مبكراً على أسطح منازلهم، يتعاركون فوق الفُرُش والبُسُط. وثمت كلاب شاردة هنا وهناك، تنبح. في الضفة الثانية من نهر دجلة، تتكسر أضواء المصابيح بليونة فوق سطح ماء النهر.

في بداية النصف الثاني من شهر آذار، قصف صدام حسين مدينة "حلبجه" بالأسلحة الكيمائية، فقتل خمسة آلاف كردي. والتجأ الآلاف منهم إلى تخوم تركيا، واجتازوا الحدود. فاضطر الأتراك إلى استقبالهم. فتم إيواء إثني عشر ألفا من "البيشمركه"، مع نسائهم وأطفالهم، في معسكرات خاصة. كان الرعب والقلق باديين على وجوه أولئك الرجال، بملابسهم المتشابهة بلونها القهوائي الفاتح. والنسوة بملابسهن الطويلة الملونة، وأحزمة خصورهن النسيجية البيضاء، وهي تتدلى طويلاً. وبتلك المناديل الملونة المعصوبة على جباههن.

أطفال بوجوه وأجساد غارقة في جروح غائرة. كان الباص الذي يعمل عليه إحسان، ينقلهم من المعسكر إلى المشفى، وهم يئنون بصمت.

في يوم ربيعي مشمس، وهو عائد بباصه من المدينة إلى المشفى، مر إحسان بجانب المعسكر، رأى عند بابه حشداً من الرجال والنساء، وهم ينتظرون قدوم الباص. صعدتِ الباصَ فتاةٌ شابةٌ ، بملابس رمادية، وبخطوات متثاقلة، جلست على الكرسي الذي يلي كرسي إحسان مباشرة. لقد زادتِ العُصابةُ السوداء التي شدت بها جبينها، والخمار الذي لفت به وجهها وفمها، اتساع مقلتيها وبريقهما. ثبّت إحسان بعفوية مرآة الباص الداخلية عليها. أسندت رأسها على زجاج النافذة، وكانت بأصابعها الطويلة الرفيعة تمسح عينييها الناعستين. عند موقف المشفى، وقفت الفتاة، وبمساعدة بيشمركه عجوز نزلت بتثاقل. حينئذ بدت لاحسان قامتها الرهيفة، أكثر وضوحاً، تحت تلك الملابس الطويلة؛ فتحسر، وهو يتابعها بنظراته!!.

منذ ذلك اليوم، وماتلته من أيام، لم يعد بمقدور إحسان نسيان ملابسها الرمادية الطويلة، عينيها الدعجاوين، أصابعها الطويلة، وطريقة مسحها لعينيها. وكان، وهو وراء المقود، دائم التفكير بها، يراها بين رماد الضباب، خلل نافذة الباص، أمام استراحة المشفى، أوعلى باب المعسكر. فتلفح بدنه موجةٌ من الغبطة. كان يمرر بعينيه على الحشد، وعلى أمل اللقاء بها ثانية، كان يغتلي من الانتظار.

بينما كان إحسان يتلقف المسافرين في باصه، في موقف المشفى، في حدود الساعة العاشرة؛ رآها؛ كانت ترفع أطراف ثوبها الرمادي الطويل، وتنزل من الدرجات بتثاقل. سقطت سيجارته من فمه من شدة انفعاله. تغيرت سحنته، اختلطتِ الأصواتُ عليه، وبدت أمام عينيه خيوطٌ داكنةٌ، انتقلت يده الرُجفة إلى المرآة. جلست هذه المرة، في الصف الثاني، وهي تتحدث مع المرأة الجالسة خلفها، وتشير لها بأصابعها الطويلة إلى الدواء الذي بين يديها. ثمت حادثة مرور على الجسر، فتوقفت المواصلات، نزل المسافرون كلهم من الباص، إلاّ هي، أسندت برأسها على النافذة، متأملة المشهد في الخارج. انزلق خمارها قليلاً، فبدا شعرها بلونه الأصفر العسلي. بعد هنيهات، قامت من مكانها، أسندت نفسها على مساند الكراسي، اتجهت إلى احسان، وبكردية صافية، طلبت منه ماءً من أجل شرب حبوبها. تشوش إحسان، ولم يستطيع السيطرة على رجفة يديه وشفتيه، وهو يقدم لها الماء من الترمس؛ أعادت القدح إليه، وشكرته: "إسمي جيان"، قالت. ثم حدثته عن حلبجه.. وهي تقاوم عبراتها. كانت هي وعمها في المعسكر، لم يكن بامكانهم الخروج منه، إلا في ساعات محددة.

اعتاد إحسان في بدايات كل نهار على وضع ترمسه على الكرسي الذي يليه تماماً، وجيان تعرف ـ عندما تأتي ـ أن هذا المكان هو لها، فتجلس. الآن، ارتسمت ضحكة على وجهها، احمرت عيناها، واكتسحت رقبتها بقعٌ حمراءُ غائرةٌ. بعد أن بدأت تسهيلات الخروج من المعسكر، أتقن إحسان معرفة مواعيد زيارة جيان للمشفى، وهذه المرة، وضع فوق الترمس سبحته بحباتها الحمراء والبيضاء، ويتدلى من "الإمام" حرف (I). عندما كان

ينزلها في السوق، يتآكله القلق واللهفة ونفاد الصبر. تبادلا البسمات لشهور عديدة من خلال مرآة الباص، ورانت العذوبة والحرارة على هذه الهدايا المتبادلة. في يوم ما، دست جيان له علبة، وذهبت مسرعة، فتحها إحسان بلهفة، كانت قصاصة ورق مركونة على الملابس، كتبت عليها: "غداً، نوروز، ارتدِ هذه الملابس، سأكون عند الباب". كانت هذه العبارة كافية، لئلا ينام طيلة تلك الليلة.

في يوم رائحة الربيع، تحولت ساحة المعسكر إلى ميدانٍ للحياة، ارتدى البيشمركه ثيابهم الجديدة، وكانت الألوان الزاهية لألبسة النسوة تشعّ تحت أشعة الشمس، تحلق الجميع حول النار، يرقص، وينشد بفرح للحرية، و لـ كاوا الحداد، واندحار ظلم "دهاك"؛ ثم تحولوا إلى الطرف الخلفي للمعسكر، حيث ثمت دغل صغير.. جلسوا على العشب المندى. كان خمار جيان قد استقر على كتفيها؛ فبدت خصلاتها الصفراء العسلية تتطاير مع هواء آذار، وتلمع فيها الخيوط البيضاء أكثر، وثمت وَجلٌ دفينٌ في بريق عينيها.

مرة أخرى، جاءت الأوامر، بعدم الخروج من المعسكر؛ فكبرت نظرات جيان أكثر في وجدان إحسان، وشواه الشوق إلى صوتها الطري، فلم يعد يطيق غيابها، ولمرات ومرات، وبالرغم من الحراسة المشددة، والأسلاك الشائكة، إلا أنه كان يحوم جيئة ذهاباً حول المعسكر وعلى التل القريب، ولم ينقطع عنه.

انتشر الخبر الأسود في المدينة: لقد دس السم في خبز البيشمركه، فتسمم الكثيرون، ونقلوا إلى المستشفى. في المساء، وفي قاعة كبيرة كئيبة، رآها واقفة عند رأس عمها الذي يحتضر، تقبل يده، مرتعشة الشفتين، منكسرة يائسة: "لمَ ضاقت بنا الحياة، أين الإنسانية؟!!"، قالت جيان. بكى البيشمركه والنسوة بصمت.

مرة، كانت هي وإحسان، يمشيان عند القرية القريبة من المعسكر، جلسا تحت شجر الحور، كان حفيف الأوراق وخرير الجدول القريب منهما يتمازجان، ثم سرعان ما يتلاشيان. مسحت عبَراتها، وهي تقص عليه حكايات ليالي الشتاء، وثلوج جبال "متين"، والزهور التي تتفتح في السهل، والينبوع الأبيض. قالت له بصوت طري ومُذنب: "لقد أصبحنا حملاً ثقيلاً عليكم، لكم أيضاً فقراؤكم". كانت مثل طير جريح يغني في القفص. لم يدرِ إحسان ما يفعله؛ لكنه، كان يتذكر جيداً أمر فرمان والي المحافظة: "ممنوع الزواج من هؤلاء".

تالياً، جاء اليوم الأخير. مثلما جاء البيشمركه، هكذا سيرحلون أيضاً. في المرة الأخيرة، جاءت جيان حزينة كئيبة، وجلست في الصف الأمامي من الباص، لم تنظر قط إلى المرآة، أسندت رأسها إلى زجاج النافذة؛ وعندما همت بالنزول، عضت شفتيها، وقالت: "غداً".

في اليوم التالي، كان إحسان عند باب المعسكر يراقب رحيل البيشمركه، لمح جيان: كانت تهبط من التل، بثيابها الرمادية، وهي تلوح بمنديلها الأحمر مودعةً. مسح إحسان دموعه التي لامست حد رقبته.

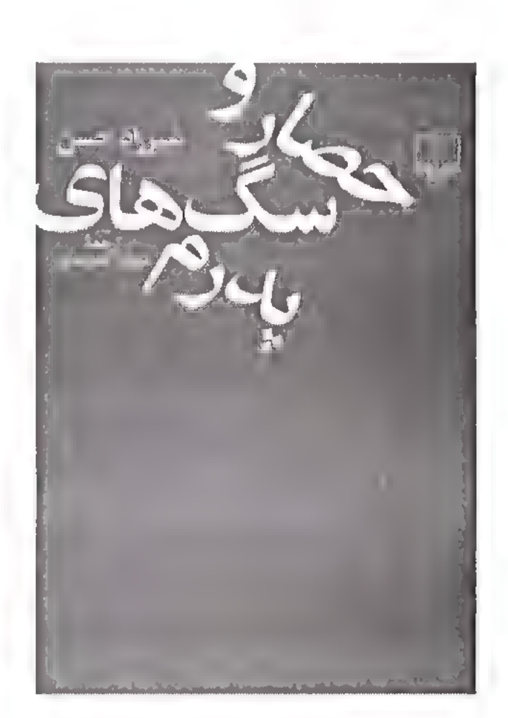
كان القمر على نهر دجلة مضيئاً، والرجل الضئيل الذي ينحدر من تل المعسكر، ينظر بفضول إلى إحسان. استقام إحسان ويداه في جيبه، سار بخطوات ثقيلة بين بساتين Hewsele الجامدة في الليالي المقمرة،

مرَّ بجانب دجلة الذي يجري بهدوء، راقب الأضواء المتراقصة على ضفته الثانية. تنصت لصوت الليل، وبخطوات متثاقلة اتجه نحو المنزل.

عندما دخل الحي، كان الكل نياماً. فقط الصوت المألوف لجلال بك وهو يتردد في الحي كله. طرق إحسان الباب بخفوت. وعندما سمع الصوت المدوي لفردتي (المشاية)، تذكر عيني أمه الحمراوين المنتفختين.

دياربكر - آمد

★ بالتركية في الأصل: Ben de Giden paytahta



حەسار وكلاب ابي

رواية شيرزاد حسن

ترجمة من الكردية الى الفارسية

مريوان هەڵەبجەيی

طهران - ٢٠٠٦





الهجره

للشاعر شيركۆ بێكەس

ترجمة من الكردية الى الفارسية

ناصر حسامي

مطبعة رنج - ٢٠٠٦



آخر خبر

قصة وترجمة: معتصم سالەیی

دون استاذ عادل فترة خدمته في دائرته على الورق، كانت الحصيلة ثلاثين عاما وعشرة اشهر وسبعة أيام. بعد تلك المدة الطويلة من الخدمة الفعلية احيل على التقاعد. والآن هو عاطل عن العمل ويمضي معظم اوقاته في بيته. طيلة فترة خدمته حافظ على سمعته ولم يتطاول على اي شخص ولم يغمط حق احد. ولم يشاهده احد في يوم من الايام وهو يتسلم مبلغا من المال لقاء تيسير وتصريف امور احد المراجعين. واتصف بالنزاهة والخلق القويم. وكان مثالا للموظف الصادق الامين. عندما احيل على التقاعد، حزن جميع موظفي ومستخدمي الدائرة لفراقه. وبالاخص سالت الدموع من عيون جميع الفراشين في الدائرة. والآن لاينفكون يزورونه في بيته بين فينة واخرى.

لقاء خدمته الطويلة كوفئ بمبلغ قدره ثلاثة آلاف دينار صدامي..! وفي نفس اليوم قام بتنظيف مرفقهم الصحي في البيت وكلفهم ذلك خمسة آلاف دينار، اي انه اضاف الفي دينار من جيبه على مكافأته لانجاز تلك العملية التنظيفية! والآن يتقاضى مرتبا تقاعديا يعادل سعر ربع كيلو من اللحم فقط..! لكن لحسن الحظ تزوجت بنته (الماس) وهي تعيش الآن مع زوجها في احدى الدول الاوروبية. وانها تراسل دوما والديها وتستفسر عن احوالهما، وتمتد لهما يد العون والمساعدة. ويقول استاذ عادل مع زوجته (ست بروين) بانه لو لم تكن مساعدة بنتهما لهما، ماتا كليهما من الجوع في زمن الحصار الاقتصادي منذ امد بعيد. استاذ عادل في كل الاماكن يثني على إبنته (الماس). ويعبر عن رأيه قائلا بان البنت وليس الابن تكون عونا وسندا للوالدين. وحسب رأيه الشخصي فان اي انسان في شيخوخته لو لم يكن ابا لبنت، فانه لايعتبر صاحب ذرية.. ولحسن حظهما انجبا بنتا وفية كالماس. لتعزيز رأيه يستشهد بابنهما البكر والذي بدوره يعيش كلاجيء منذ سنوات في الغرب، لكنه لايدور بخلده ان يستفسر عن احوال والظروف المعيشية لوالديه. يدعي الوالدان ان سبب فتور مجافاة فلذة كبدهما يعود الى خوف وتردد ابنهما البكر من زوجته، في حين لاتتوانى زوجة ابنهما عن مساعدة والديها كما يشاع.

عادل افندي كأعتياده مثل باقي الايام انحدر عصرا داخل السوق مشيا على الاقدام، وفجأة واجهه مختار محلتهم. بعد القاء التحية بدأ بتجاذب اطراف الحديث. وعلى حين غرة هبت عاصفة رملية صيفية حارة بوجههما. بادر الاستاذ (عادل) بالحديث قائلا:

-الم يتناه الى سمعك اي خبر جديد؟

بكثير من الدهشة اجابه المختار:

-كلا.. لم يرد الى سمعي اي نبأ جديد.

-ياترى لماذا لم تسمع بآخر الاخبار.

-كن على ثقة تامة بأنني لم اسمع بأي خبر جديد؟

-آخر الاخبار يفيد بان فصل الشتاء القادم يكون حارا وجافا من دون سقوط الامطار..!

تلقى المختار هذا الخبر بكثير من الجدية. لانه كان معتادا على اقتناص جميع الاخبار والاسرار الجديدة بكثير من الفضول. على مدار الساعة كان يصيخ السمع لعله يتلقى خبرا ذات اهمية قصوى. هذا الخبر الذي ورد الى سمعه من قبل الاستاذ عادل لم يكن بالنسبة له خبرا جديدا، لانه سبق له ان تناهى الى سمعه هذا الخبر عدة مرات من قبل بعض الناس هنا وهناك. لكنه من عادته ايضا ان يستفسر ويسأل لمرات عدة حول مصداقية الخبر ومصدره حتى لو سبق له ان تلقاه ايضا، ليتنسى له ان يسبر اغوار جميع الاسرار والاخبار، هذه المرة كان كله اذان صاغية لمحدثه فاتحا فمه بذهول. ومن ثم امطر الاستاذ عادل بالعديد من الاسئلة حول الموضوع كي يكون بوسعه الاطلاع التام والاحاطة بجميع جوانب الخبر. كل هذا الاهتمام المتزايد جعل من محدثه ان يراجع نفسه ويبدي ندمه في قرارة نفسه لما فاه به لمختار المحلة. لكن لاتوجد في اليد حيلة لانه نطق بذلك الكلام ولايوجد اي مجال للتراجع.. امام الحاح واصرار المختار اضطر ان يعيد مجريات الخبر لعدة مرات.. بعد التحدث والتداول انفصلا عن بعضهما واخذ كل واحد منهما طريقه الخاص.

عند جلوس (الاستاذ عادل) على مائدة العشاء، كانت الهموم والاحزان بادية على وجهه بكل وضوح.. احست زوجته (ست بروين) بان زوجها غير متحمس للأكل ويغمره الحزن والاسى.. ارتاعت في الامر ووجهت له السؤال قائلة:

-ما خطبك وماذا دهاك؟ لماذا تمتنع عن الاكل وهل الم بك المرض!؟

هز زوجها رأسها وبكثير من الاسى اجاب:

-في حقيقة الامر اقدمت على عمل مشين لايحمد عقباه.. لانني في هذا اليوم ابلغت مختار محلتنا خبرا جديدا. وقلت له بان الاخبار تتوقع ان يكون الشتاء المقبل فصلا جافا وحارا.. لكن المصيبة انه بعد سماعه لذلك الخبر، كست الجدية سيماء وجهه وبكثير من الاهتمام تحرى الامر ووجه لي الكثير من الاسئلة المحرجة.. بحيث ولد لدي فكرة سيئة، واقتنعت في دخيلتي بأنني اقدمت على التفوه بكلام غير معقول.!

نظرت ست بروين بكثير من الفضول الى ملامح زوجها المهموم. ومن ثم استرسل زوجها في كلامه قائلا:

-لكنني بعد فوات اوان عنفت ووبخت نفسي وقلت في سريرتي بانه كان الاولى لي ان يحترق لساني على ان اتفوه بذلك الكلام للمختار..

احمر وجه ست بروين من الحنق والغضب وانفجرت قائلة:

-من دون شك فان تصرفك هذا يتعبر في غاية السوء.! مادخلك انت بكل هذه الاحاديث؟ فمن المؤكد ان كلامك هذا يؤدي بك الى الهلاك.. لانك باشاعتك لهذا الخبر يكون قد وضعت نفسك في خصام مع الاف البشر من الذين يرنون ليلا ونهارا الى رحمة السماء..! ودفعت بنفسك من دون سبب وجيه الى عداء المزارعين والفلاحين والتجار واصحاب المواشي وبائعي الغلال..!

يازوجتي العزيزة.. ليس في اليد حيلة.. فان الكلام كالسهام، لانه لو انطلق فليس بوسعه الرجوع مرة اخرى..

بعصبية لامتناهية بدأت الزوجة بالصياح:

الجانب الخطير في المسألة ربما يكتب مختار المحلة تقريرا بحقك.. في تلك الحالة تساق من قبل البعثيين الى دائرة الامن للتحقيق معك بخشونة.. فليس من المستبعد ان تعدم ويعلق جسدك بحبل المشنقة..!

انتابت استاذ عادل نوبة من السعال الحاد وارتبك اكثر من ذي قبل لدى سماعه اسم دائرة الامن وحبل المشنقة من قبل زوجته.. ومن ثم اسهبت زوجته في الكلام موبخا اياه قائلة:

-بالرغم من ان هذا الكلام شائع وليس كلامك فقط، لكنه كان من الاجدر لو لم يصدر منك..! والان امامك فرصة واحدة للخلاص من هذه المحنة، وهي التوجه نحو المختار صباحا لتتراجع عن كلامك..

-يا زوجتي العزيزة بالرغم من انني احب الصدق، ولا احبذ التفوه بخلاف الحقيقة، لكنني مرغم على الانصياع لكلامك والعمل وفق ماقلته لي..

في تلك الليلة العصيبة لم يغمض للزوجين جفن وهجرما النوم.. ساورهما القلق وشعرا بالخوف والرهبة من الخطر الذي ربما يحدق بهما مستقبلا.. في صباح اليوم التالي استطاع استاذ عادل من البحث ومن ثم اللقاء بمختار المحلة والتحدث معه قائلا:

ابو رفيق.. يا مختار محلتنا العزيز.. بالامس ابلغتك بخبر جديد حول المناخ والطقس في الشتاء القادم..

مختار المحلة كعادته صاغ السمع وبكثير من الاهتمام تساءل:

-كيف.. ثم ماذا..!؟

قلت لك بالامس بانه يتوقع الخبراء ان يكون فصل الشتاء القادم جافا وحارا.. لكنني تحريت عن الامور فاستطعت التوصل الى الخبر الحقيقي والذي يفيد بعكس ماقلته لك..

تفرس المختار في وجهه كثيرا، ومضى محدثه استاذ عادل في القول:

-آخر خبر يفيد بان فصل الشتاء القادم يكون عام خير وبركة.. والامطار الغزيرة تهطل ليلا ونهارا من دون انقطاع، وتكسو طبقات الثلج جميع الازقة والاسطح والاراضي الزراعية. ويصل الامر حدا بحيث لايستطيع المرء التحرك من مكانه بسهولة.. بالنتيجة يطل علينا عام مليء بالبركة. وتكثر المياه ويزدهر الزرع.. ويعم الخير البشر والحجر والبقر كما يقال..!

تعجب المختار لدى سماعه هذا الكلام وتساءل قائلا:

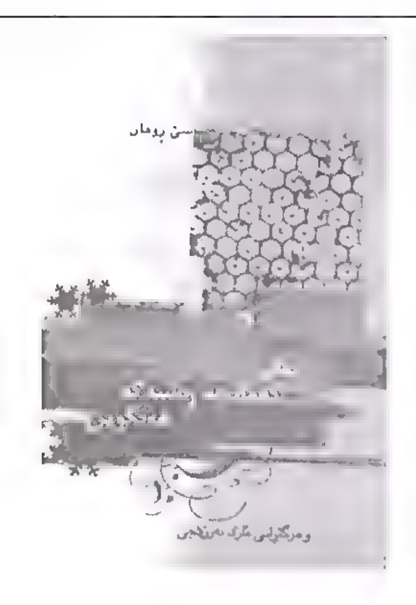
من اين استقيت هذا الخبر..؟ فيا ترى هل ان مصدره هو الجريدة ام التفزيون ام المذياع..!؟

-كلا يا مختارنا. بل سمعته من قبل عابر سبيل.

-ماذا كان يعمل هذا الرجل وما اسمه وما هو مكانه الان؟

-في حقيقة الامر ليس لدي اية معرفة به.. الشيء الوحيد الذي اعرفه هو انه بائع جوال يتجول في الازقة والدرابين. كان يتحدث لجمع من النسوة اللائي كن تجمعن حوله لشراء البضائع. سمعته يحدث النساء بهذا الخبر الجديد حول الطقس والمناخ المتوقع للشتاء المقبل..!

بعد الحديث وتداول الآراء افترقا من بعضهما وأخذ كل منهما سبيله الخاص.. ضحك الاستاذ عادل اثناء سيره على نفسه لما آلت اليه الامور. وكيف اقدم على نسج الكلام من اجل تفنيد ماتفوه به للمختار قبل يوم مضى..! واليوم قام بتدبيج بعض الاخبار الموهومة والكاذبة بغية الخلاص بنفسه من الهلاك والدمار كما كان يعتقد.. كان جذلا من الفرح وتنفس الصعداء. وكل مبتغاه كان الوصول الى البيت باسرع وقت ممكن، حتى يتسنى له ان يريح زوجته ويروي لها كيف استطاع بمهارة ان يبتدع من نسج خياله شخصية بائع متجول..!



ثلاث روايات

الثلج، الكمان الاسود، العسل

للروائي ماكسينس فيرمين

ترجمة: آزاد برزنجي

مطبعة رنج – السليمانية ٢٠٠٦

تحليل الخطاب المسرحي وصلته بالواقع

قراءة في مسرحية ـ هل تخضر الجذوع*

للكاتب القدير محيي الدين زنكه نه



تحسين گەرمیانی

يخبرنا الكاتب منذ اللحظة الأولى،حالة تلويث الواقع،من خلال جملة إشارات محسوسة،يوزعها بدراية تصب في صالح النص المسرحي،الذي يروم من خلاله أخبارنا برؤيته لما يجري أو ما سيجري،/تناسق السنادين..الجذوع المقطوعة الملونة..سروال(مريم)/هذه الإحالات الإشارية تؤكد سمة الصراع،بين ماض يتواصل وأمراض مدينية تزحف لابتلاع كل ما هو تليد وتبديله بما هو بليد ../سروال أسود ضيق،بلوزة خضراء فاقعة اللون../..

ما الذي يريده الكاتب..؟.سؤال مطروح جوابه (نص) مفكك لأغراض فنية، يقترح رؤية ونباهة لإعادة هيكلة (الثيمة) وبيان مغزى ما يبغيه،يعرف أهل المسرح،أن من واجب الكاتب،توفير أرضية عقلانية تروض الأمزجة وتقنعها،ليس ذلك فحسب،بل تمهد أمام الأذهان شيئاً محسوساً أو ملموساً مما هو قادم من أخطار تلهث وإن كانت خبط عشواء تتنافى مع الواقع،وندرك طبعاً أن الألوان والمبهرجات الظاهراتية ليس بوسعها تتغير طبائع الجذور وأن الشك آفة قائمة تتغلغل لالتهام براءة الحياة،(مريم)زوجة(دلير)و(شلير)أبنتهما المنكوبة،لا يوضح الكاتب بطريقة مباشرة حالة الفراق بين الزوجين،بل يجعل الأمور تتضح على لسان(مريم)مع انتباهة ذكية حين يستخدم الهاتف كوسيلة إيضاح،فالخلافات العابرة (مقارن واقعي)لما يعبر من كلام متبادل عبر جهاز الهاتف،وتمكن الكاتب من تعليب الواقع وتأهيله لبناء جسد مسرحيته،لو رغبنا أن نعرف أسباب الفراق،علينا أن نتلصص بدقة على كل سكنات وحركات(مريم)كونها الشخصية الفاعلة والحاضنة التي تتشرنق فيها المكونات المسرحية لـ(هل تخضر الجذوع)نجد أنها تبث أسرارها إلى (جلال) ـ شخصية غائبة جسداً ـ عبر الهاتف..

/ بل السبب الوحيد الذي حملني على الافتراق من زوجي هو ذلك الخانق من الشكوك الذي كان يغطسني فيه/..

وليس من الغريب على المثقف المتابع أن (الشك)احد أهم مرتكزات الحضارة الغربية،فالغرب دائماً يبذل مساعيه الخفية لإزاحة أو هدم القيم الحضارية النبيلة وتبديلها بحضارات مرحلية تنسجم مع قفزاتها المعلوماتية من جهة ومن جهة أخرى إزاحة الكيانات الثابتة لشعوب تلتصق بجذورها المعرفية المتوارثة،كي تتداعى وتغدو شعوب قلقة ممكنة الاحتواء،دائماً نجد ثمة تفاسير مضادة مهيأة،أو قابلة التأويل وأحداث فعل التدمير،الشك منح حضارتهم سمات بارزة،كالاهتمام الزائد بالمظهر،في محاولة لطمس الأصالة،فتنامت جراء ذلك ارتباطات اجتماعية متفتحة،من منطلق دنيوي أن الإنسان كائن زائل يستوجب استغلال حياته بالمتع والمنافع الشخصية،هذا الفاصل أستغله الكاتب،ووظف خبرته المسرحية ودربته الفنية لإنتاج (نص)مشحون بالتوتر،مما ترك فرصة ملائمة لتمرير رسالة شفاهيه وعيانيه لأولي الألباب،يمكننا أن نستنتج أن الكاتب يريد أن يقول علناً (احترسوا..؟؟)فالافتراق ما بين الزوجين هو النول الذي يدير الكاتب رحى فكرته حوله،وهو

عنصر التوتر الذي ينطلق منه كالبرق على حد زعم (كولن ولسن) لأن هذا الافتراق قائم أساسه على شكوك،وهذه الشكوك شحنت(مريم)الشخصية الأكثر تواجداً بالقلق،وأغرقتها في بحر وساوسها ولا إنتمائيتها،لتواجه العزلة والبحث عن بديل أو ظل يؤويها ويناسب رغباتها المتفتحة،تجد نفسها أسيرة فراغ يتسع،والفراغ الغربي يملئ بما يناسبه أو يردعه كسد نقص،هو تعويض في متناول اليد،يمكننا أن نضيف أن المسرحية هي إخبارية أيضاً،إن سمح لنا التعبير أو أهل التخصص،إذ أن إقامة العلاقات خارج بيت الزوجية أشبه بالتسلية ومطهر تثقيفي حداثي ، (مريم)تختار من يوافق مزاجها المتحرر أو المتهور لا فرق،ترتبط بمن هو مؤهل لسد الفراغ الذي تركه(دلير)،هي تريد أن تستكمل قيافتها الأنثوية ليس غير،وجدت(جلال)الغائب قرينها لتوازن من شخصيتها أو كرد اعتبار لأنثى جريحة، نستنتج هنا ونشم رائحة صدام حضاري،بين قطبين غير متآلفين،الغرب والشرق،أو اليقين والشك،تم توليفة هذا الصراع من قبل كاتب متمرس جعل من بيت أسري مسرحاً لتمرير رسالته الأخلاقية..

***

يوحي فاصل الاستهلال رومانسية الرحلة، (رنين الهاتف)والهاتف ـ آلة إخبارية ـ تجري الكثير من التحرشات والعلاقات المهموسة عبر ثناياه،تبدأ(مريم)بتعثر وهذا دليل ما أسلفنا من ذكر بخصوص توترية النص،مع بدء الرنين تتفاعل وتسقط في مستنقع الشكوك رغم أنها اتصلت مسبقاً برادم فجوة فراغها(جلال)وهذه الشخصية لا نعرفها عيانياً طبعاً إن رام مخرجاً إخراجها من على خشبة المسرح،بل من خلال جملة عابرة وتأتي ضمن سياق التوتر فيما بعد،نستعين بها لغرض إعادة الأشلاء لأمكنتها الصحيحة..

هي : أنا أنتظر زيارة..

هو : من..

هي : تعرفه..

هو : سمعت..جلال..يدعى..جلال..؟

هي : أجل..

ينثر الكاتب لكل سؤال مطروح إجابته في ركن ما من المسرحية،وهذه الطريقة تشحن الديناميكية والتفعيل المتصاعد للفعل الدرامي،وهو ما يوازي التشويق في القصة القصيرة،لنرجع قليلاً ونتلصص أو نسترق ما تقوله(مريم)لـ(جلال)لحظة المكالمة..

/ لا..لا موجب أن تكلف نفسك إلا إذا كان عشاؤنا لا يروق لك../..

هنا يلوح لنا أن العلاقة بين(مريم وجلال)ليست جديدة،علاقة وطيدة وجدية،ثمة علامات على ذلك،إلصاق صفة(فيروز)بـ(مريم)خصوصاً أنها فيما بعد تعود وتغني لـ(فيروز)../ياالله تنام ريما/..حتى (دلير)يتلبسه الشك أيضاً..

هو : منذ متى تعرفينه..

هي : وهل لذلك أهمية..

هو : في..في..أقصد خلال مدة زواجنا..

هي : (بحدة)لست المرأة التي ترتبط برجلين..ماذا تحسبني..؟

نجد أن استخدام مفردة بـ(حدة)تعني وفق المنطق أن سراً من أسرارها قد أنكشف،وبدافع غريزتها الأنثوية العنيدة أجابت باستفزاز كوسيلة دفاع لتبديد حدة السؤال الخادش لها،هذه الفواصل الدقيقة والتنشيطية غالباً ما تأتي صياغة لابد منها لبناء المعمار الفني للنصوص الراقية،وهي وسيلة من وسائل لملمة شظايا النصوص المفككة بغية ترتيبها وإعادة تأثيثها في بيت الفن،لتكملة القيافة المهندمة،أو إعادة أجزاء الرسم للوحة التي أرادها الكاتب،نهتدي لمنابت الشكوك من خلال الفعل الدرامي،دون أن يجعلها الكاتب بما يرهل نصه أو يسقطها في فخ المباشرة،تناثر التفاصيل خلقت التوتر ليغدو حاضنة لملاحقة الأشلاء قبل تجميعها،كونه يستفز ويرهص الذاكرة،نرصد فاصلاً اخلاقياً لدى الكاتب حين يخبرنا معرفة(دلير)بالعلاقة بين(مريم وجلال)من خلال عدم تحميله موقفاً عدائياً أو انفعالياً،يمرر على لسانه ربما بكل تواضع مفردة(سمعت)وهذا يدل على أن الرغبة قائمة لإعادة ـ الخضرة ـ لجذور آيلة ليباس،وأنه أي(دلير)مستوعب(مريم)كامل الاستيعاب،لذلك يتجنب زيادة توترها النفسي،وهي محاولة تصالحية لانتشالها من عزلتها وإخراجها من مأزق مزاجها المثخن بأمراض محدثات تزحف لالتهام ـ مريماتنا ـ و ـ سمعت ـ يعزز من الفضاء الشكوكي للمسرحية،أو بالأحرى يحاول أن يفهما بكل أدب أن الفراق نجم عن حفنة شكوك وظنون،ويمكننا إلى أي مدى أن نتصور عجز(مريم)للتكيف أو التعويض من خلال مهاتفتها،ماضيها مشحون بصدامات،رغباتها بلا حدود،ثمة أخطبوط يبتلع(شلير)،ومن العلامات الدالة على لا أنتمائية(مريم)سرعة نسيانها زوجها،نسيانها رقم هاتف الدكتور،قلعها الأشجار،تحاول بشتى الوسائل الدفاع عن كيانها أو عرين أنوثتها رغم بلاغة جرحها،و(دلير)أيضاً يناضل بغية تنقية الأجواء أو فتح نافذة تكفي لمرور نسمة قد تسمح ضخ المياه إلى الجذوع اليابسة،دائما في المسرحيات الهادفة توجد فواصل مفاجآت تدفع الثيمة باتجاه ضفة المستحيل،لنتمعن في بكاء(شلير)أليس يشبه جرس إنذار..؟نجد أن(مريم)تستيقظ من إستمراريتها بالتمرد،كونها على موعد مع(جلال)وحين تتناول ـ المنشفة المبللة ـ ندرك أن(شلير)مصابة بالحمى،تغني(مريم) ـ ياالله تنام ريما ـ قبل أن تخفت صوتها تدريجياً،وهذا إيعاز بانتهاء ـ مشهد ـ ساده الجذب من فعل التوترات المتواصلة..

***

ليست ثمة مشاهد،يشير الكاتب أن المسرحية من فصل واحد،فالخفوت الحاصل في صوت(مريم)يرافقه(رنين)يفاقم الموقف ويزيد من تأزم(مريم)ربما يريد الكاتب عدم السماح لنصه الركون لهنيهات هدوء،وجد التعبير الموسيقي المرادف للقلق والشكوك من خلال هذا الفاصل المتوازن،رنين يتصاعد على اضمحلال أو خفوت صوت،هنا لابد من وقفة تأمل لقراءة هذه اللمسة الساحرة العابرة قراءة ثانية،لنضع الرنين الأول في يميننا ـ رنين الهاتف ـ وهو جهاز منزلي أي بمعنى آخر

داخلي،إشارة غير قابلة التأويل لبدأ العرض الداخلي ـ في الصالة ـ للمسرحية،أما الرنين الثاني نمسكه بشمالنا،جاء من خارج الصالة،تحديداً من وراء باب حديقة المنزل،إيذان غير قابل النقاش ببدء العرض أو الصراع الحقيقي،القسم الأول تستولي(مريم)على المساحة التمثيلية أي ـ مونودراما ـ تم إلحاقه بقسم درامي،صراع ممتع بين(مريم ودلير)..

١ـ رنين الهاتف..داخل الصالة ..(مريم)..تحاور عبر الهاتف..(جلال)..مونودراما..

٢ـ رنين جرس الباب..باب الحديقة..خارج الصالة..(مريم)تحاور وجهاً لوجه(دلير)..دراما..

***

ترتبك(مريم)تحاول أن تتزين بزي يرضي القادم(جلال)،ارتباكها يفسر ليس لصالحها،أنها شخصية لا تثق بنفسها،غالباً ما يخفق الإنسان القلق في اتخاذ قراراته،بياغتها من غير أن تحتسب(دلير)تنتابها حيرة وقلق،مرة أخرى يتواجد الكاتب لإسعاف النص بومضة من الشفرات السرية المتناثرة،برهان آخر على لا أنتمائية(مريم)،يحملها نسيان برقيتها له للمجيء،وعودة(دلير)هنا يريده الكاتب عودة الماضي،وقد تكون إحالة قصدية منه للتعبير عن التصاق الإنسان بجذوره،ف(مريم)أرادت منه الحضور لغاية،تريده المجيء لأخذ أشياءه القديمة،وهي رغبة للتخلص من كل مخلفات ماضيها..

هي : (تتجنبها)..معك سيارة..حمالون..

هو : (بدهشة)..سيارة؟حمالون؟لم؟..

هي : كيف تنقلها إذأ..؟

هو : (تشتد دهشته)أنقلها؟أنقل ماذا؟

هذه المفاجأة سلبت إرادة(مريم)،وجدت نفسها بين ثلاثة أسهم أوهنها قاتلة..

(جلال)..قادم في الطريق../(شلير)عليلة تشتد حمّاها../(دلير)يباغتها في وقت غير مناسب..)

عودة(دلير)كان بمثابة القشة التي قضت على آمالها وحرمتنا من رؤية شخصية(جلال)..وشأن الكتاب الكبار لا يسقي(محي الدين زنكه نه)الجذور دفعة واحدة،أنه طبيب يعرف كيف يداوي العلة المستعصية،يزق أو يضخ الأمل رشفاً،أنه تمرين أخلاقي لصناعة المسرحيات الهادفة،نراه يزيد من كمية الحوار،وهي طريقة علمية لتفريغ شحنات الغضب أو تطهير الذات من تكلسات الماضي،هذه الطريقة نستدل منها،تمهيد أرضية خصبة لتفجير قنابل المفاجآت المكنة من جهة،إضافة إلى وظيفة إثراء وتكملة الفقرات أو الحلقات المفقودة للنص..

هو : قطعت كل الأشجار الباسقة..

هي : لا أظنك تعتقد بأني طلبتك..لكي تحاسبني على أفعالي..

هو : لم تترك شجرة واحدة تعلو على الآس..

هي : شتلت بدلأ..عنها..الزهور..وهي أجمل..

هو : صحيح..ولكنها أقصر عمراً..

نلتمس من خلال هذا الحوار شيئاً من الألفة وخفوت حدة الخلاف بينهما،حوار هادئ وناعم وحزين ومثمر ومعبر وفيه أمل ممكن،ثمة حزن يعتصر قلب(دلير)حين يكتشف اقتلاع شجرة الزيتون،كونها تحتضن ذكرى أول(..........)تنبتر المفردة من وقع الغصة،ومن سياق الحوار نجد أنهما

قاما بزراعتها بعد أسبوع من الزواج،نجد أن شخصية(مريم)متحررة من خلال المكاشفات المحمومة،عنيدة،تأثرت بالمستوردات والمحدثات الحياتية الزاحفة،امرأة تريد أن تتنصل من واقعها صارت بحكم القدر امرأة لزوج متسامح،رغب أن يعيش معها في ظل - زيتونة - زرعاها معاً ذات يوم سعيد وأثمرت من بعد ليالي سعيدة فاكهة(شلير)..وضمن سياقات التحاور يعرج الكاتب وعلى لسان(مريم)صوب(سعاد)زميلة(دلير)يريد الكاتب توضيح طبيعة(مريم)بيان طبيعتها المتبجحة،شراسة أنوثتها،لا تني الاصطياد حتى في المياه العكرة،تفسير آخر لمسكونيتها بآفة المدينية الغربية،فهي لا تعرف طبعاً - هكذا أراد الكاتب - أين تضع أقدامها،مثل قطة جريحة،لا تعترف بخسارتها،تريد رد اعتبار،رغم نبرة الزوج المسالمة،تتعلل أنها بحاجة إلى تلك الغرفة،غرفة مهملة ظلت أشياء(دلير)تجثم فيها،وفق اعتقادها،بات المنزل ملكها بعد افتراق(دلير)طبعاً،ما الذي تبغي من وراء ذلك،الفضاء المسرحي يفصح بأن القضية سيكولوجية أنثى متمردة،تريد القضاء على الجذر الأخير من ماضيها،بعدما أحدثت التغير الشامل لحياتها القادمة،اقتلعت شجرة الزيتون،رمز الحب وبداية رحلة لم تكتمل،ووضعت بلهفة حلم في أفق مستقبلها(جلال)..

***

(مريم)تحاول منع(دلير)من الوصول إلى(شلير)لحظة يتناهى بكاءها،وما انتصاره سوى انتصار الماضي على كل زاحف جديد،مرض(شلير)هنا يجيء كناية عن مرض واقع(مريم)الجديد،نجدها تتخبط وسط صراع من ثلاث محاور،أسمينها ثلاثة سهام،يائسة تظل مثل غريق ينشد قشة النجاة..

***

انفعالية(دلير)تتفاقم لحظة اصطدامه بحرارة(شلير)من هذه اللحظة يبدأ الكاتب بحقن بذور الأمل ورشق الضوء كبداية نهاية لمسرحيته،يحصل خفوت في حدة التوتر..وتنحدر(مريم)من أعالي أحلامها وغرورها بسرعة البرق إلى منبسط تواضعها..

﴿(مريم)عدوانية..(مريم)متوسلة..(مريم)مسالمة..﴾

مثلما يبدأ الكاتب التصعيد التدريجي للنص للكشف عن الجوانب الخفية،يبدأ بالتغير الشامل صوب النقطة الحاسمة،نقطة التنوير،هي بطبيعة الحال صحوة متعافية في جسد المسرحيات الواقعية،فالمرض كما هو معلوم لا يبلى دفعة واحدة،لابد من أجواء تنقيهية قبل اقتلاع الفيروسات المعششة في غفلة من العقل،هذه النهاية المتوقعة تذكرنا بنهاية مسرحية(الرجل الفظ)**لـ(تشيخوف)..(بوبوف)تتحول أيضاً من شخصية مجابهة إلى شخصية مساندة مع(سميرنوف)رغم أنها استنجدت بخادمها(لوكا)..

لنتأمل هذا الحوار لنلتمس ذلك الهدوء الساحر الذي يبثه الكاتب رغم قلقية النص..

هو : لنأخذها إليه..

هي : نأخذها؟حقاً؟أنا وأنت؟..

هو : لم لا؟ما الضير..

هي : حقاً ؟ألا تعرف ما الضير..

لا يمهل الصياد الماهر طريدته الجريحة فرصة للمة قواها،يدفع الكاتب(دلير)لينقض ويضع على لسانه لهجة انفعالية بغية سد منافذ العودة للمجابهة بوجهها..

هو : انتظري فارسك الموعود إلى ما تشائين..

لقد اختار الكاتب هذه الجملة لتكون المطرقة التي تدق آخر مسمار في نعش الماضي،لأن(دلير)لحظة اندفاعه لحمل(شلير)يركل الحقيبة،وركل الحقيبة هو تأكيد على ركل الماضي،ركل الحياة المتنقلة مذ حصل الفراق،هنا تستجيب(مريم)وتندفع وراءه متوسلة..

هي : دلير تمهل..ريثما أغير ملابسي..أرجوك..

سرعان ما تنسف من بالها تغير ملابسها،وتكتفي بشد روبها/ماضيها/وتندفع لتولد من جديد..

***

(جلال)يمثل رمز الحضارة العليلة،عدم مجيئه حل ملائم عن عدم تمكن المدينية الغربية من التسلل إلى بيت مقدس بماضي مشرق أساسه الحب والتسامح. وعدم تغير(مريم)ملابسها للحاق بـ(دلير)نقطة حساسة،كون(مريم)لابد أنها أعددت ما يناسب ذوق(جلال) ذوق الحياة التي رسمتها وهو ما لا يلائم ذوق ماضيها (دلير)..

***

من خلال هذه القراءة نستنتج أن الكاتب(محي الدين زنكه نه)التقط حالة من حالات الشواذ القادم لتفكيك المواريث الاجتماعية،عالجها بنص مسرحي احتراسي،مع وضع الحلول من خلال تسامحية وعقلانية الزوج،نجد أن(مريماً)مهما حشدت حولها من بدائل تعويضية،سقطت من جديد في بئر ماضيها(دلير)..!!

***

*هل تخضر الجذوع ـ مسرحية من فصل واحد ـ محي الدين زنكه نه ـ مجلة البيان الكويتية ـ ١٩٩١ .

** الرجل الفظ ـ مسرحية ـ تشيخوف ـ نفس المصدر.

تنويه واعتذار

في العدد ١٣ من مجلتنا وفي الصفحة ٢٢٣ في موضوع (محنة عدنان الصائغ)

كتبنا سهوا عبارة "... بسبب انتمائه الطائفي..."

والصحيح هو "بسبب نشره قصائد بعنوان قصائد متمردة"

لذلك اقتضى هذا التنويه مع اعتذارنا للقراء وللشاعر عدنان الصائغ.

رائحة التفاح

(مسرحية من فصل واحد)

احمد عبدالحسين - بغداد

- لمن؟

- الى ميديا..........طبعا.

الأشخاص:

١- الأول: الحارس على وديعة تتفسخ

٢- الثاني: ابسط يديك امامه... سترى نفسك.

٣- الثالث: كل شيء سيرتد الى العالم شعراً.

٤- مراسل التلفزيون.

٥- مصور التلفزيون.

ملاحظة:

في اعلى الجزء الامامي للمسرح تنتصب شاشة تلفزيونية كبيرة، سنرى من خلال النص ضرورتها فهي مفردة هامة من مفردات هذا العمل، نظراً للحاجة المتكررة اليها كما سيتوضح في أكثر من موضع داخل هذه المسرحية، وكل ما تصوره كاميرا المصور التلفزيوني يظهر على الشاشة.

(ساحة في مدينة كردية، في وسطها تماماً شخص ممدد على الارض، ملفوف بأغطية كثيرة بحيث لايبدو منه أي شيء... الصمت ينبئ عن خلو المدينة من سكانها ويقطعه احياناً صوت قذائف. الأول يلبس زياً كردياً بالياً، يجلس على الأرض، يدخن، لحظات ويدخل الثاني يلبس هو الآخر زياً كردياً لكن لون ملابسه أبيض بالكامل. الأول يترقبه بفضول، ثم مايلبث أن ينهض، يتقدم نحوه)

الأول: أتراهن..

الثاني: بماذا؟

الأول: خمسة دنانير..

الثاني: حمراء؟

الأول: حمراء..

الثاني: ليست مزورة؟

الأول: أصلية..

الثاني: أراهن..

الأول: هات يدك...

الثاني: (يهمّ بمصافحته لكنه يتريث): قل لي أولاً ، على ماذا نتراهن؟

الأول: على انهم سيأتون اليوم..

الثاني: من؟

الأول: الجيش، الجنود المدججون بالسلاح، سيجتاحون المدينة..

الثاني: الجنود.. أكيد.. طبعا سيأتون..

الأول: لا.. أنا الذي قلت أولاً انهم سيأتون..

الثاني: وأنا أيضا أقول انهم سيأتون..

الأول: اذن.. فانا أقول.. اليوم.. اليوم بالذات.

الثاني: اليوم.. نعم بالتأكيد..

الأول: لكنك يجب ان تقول شيئاً آخر..

الثاني: لماذا؟

الأول: لكي نتراهن..

الثاني: ولماذا اقول شيئاً آخر مادمت أعرف انهم سيأتون..

الأول: اليوم؟

الثاني: اليوم.. اليوم..

الأول: اذن.. لن نتراهن؟

الثاني: لن نتراهن..

الأول: ضاعت خمسة دنانير..

الثاني: الى جهنم الحمراء..

الأول: حمراء أصلية...

الثاني: لن نتراهن..

الأول خسارة...

(يبتعدان قليلاً عن بعضهما، ثم يعودان الى ذات المكان)

الثاني: اسمع... اذا كنت مصراً على الرهان..

الأول: قل...

الثاني: تراهنني على الجهة التي سياتون منها..

الأول: من..؟

الثاني: الجنود، الجيش الذي سيجتاح المدينة...

الأول: موافق.. أراهن " يمدّ يده للمصافحة " هات يدك...

الثاني: " دون ان يمدّ يده " حسناً.. أنا أقول انهم سيأتون من جهة... الجنوب... وأنت؟

الأول: " يسحب يده بسرعة " الجنوب؟ طبعا من الجنوب... مادمنا نحن في الشمال وهم في الجنوب لابدّ ان يأتوا من الجنوب.

الثاني: قل شيئاً آخر...

الأول: لماذا؟ أي مخلوق بربع عقل... حتى لو كان يلبس شروالاً، يدرك ذلك " بسخرية " من الجنوب...

الثاني: أنت غير متعاون بالمرة... هناك أربع جهات ولاتختار منها الا واحدة.. هي الجهة التي اخترتها أنا، باللمصادفة السعيدة.

الأول: ليست مصادفة.. انهم في الجنوب.. صحيح؟

الثاني: هكذا يبدو..

الأول: وكل من هو في الجنوب، اذا جاء، فسوف يأتي من الجنوب... اليس كذلك؟

الثاني: " باستغراب " دائما يحدث هذا؟

الأول: دائماً.. أبداً وفي كل الأحوال.

الثاني: ماذا تسمي ذلك؟

الأول: قدر... انه قدر...

" أصوات قذائف يعقبها صمت قصير "

الثاني: " مشيراً الى الرجل الممد على الارض " ما هذا الشيء؟

الأول: انسان...

الثاني: ميت؟

الأول: لا... أنه... " لايجد تعبيرا مناسباً "... انه يحاول...

الثاني: يحاول... يتمرن.. " ساخراً " يجري بروفة؟

الأول: أنه مريض...

الثاني: ما مرضه؟

الأول: لا أدري.. لكن يبدو مرضه خطيراً...

الثاني: ما هو؟

الأول: لا أعرف...

الثاني: ماذا... ايدز؟ طاعون؟ ملاريا؟ ماجستير؟ اسهال؟ لوكيميا؟ مابه؟

الأول: قلت لك لا اعرف.. اذا كانت امه لاتعرف مابه فكيف تريدني ان أعرف، ثم ان الطب ليس اختصاصي...

الثاني: وما اختصاصك؟

الأول: لا يخصك...

الثاني: لماذا؟

الأول: لانه اختصاصي أنا.. يخصني أنا وحدي...(صمت قصير)

الثاني: هل مرضه معدٍ؟

الأول: أمه تقول لا...

الثاني: أحسن... ولماذا لفلفوه هكذا اذن؟

الأول: امه تقول ان الهواء يؤلمه، يتوجع من ملامسة الهواء...

الثاني: أيّ مرض هذا...؟

الأول: وكلما تعرض للهواء.... يتفسخ أسرع....

الثاني: (مشمئزاً) ... يتفسخ؟

الأول: يتفسخ... انه يتآكل شيئاً فشيئاً...

الثاني: كيف عرفت... هل رأيته؟

الأول: لا.. أمه قالت.

(صمت)

الثاني: اين هي الآن؟

الأول: من؟

الثاني: أمّ هذا الشيء المتفسخ...

الأول: راحت.... قالت ستأتي بعد قليل وتركتني حارساً عليه...

الثاني: أسمع... سأرفع عنه الغطاء قليلاً...

الأول: (بعصبية)... لا.. لن اسمح لك...

الثاني: فقط اريد ان ارى يده... قليلاً... ربما أكون أعرفه (يتقدم الى الرجل المريض)... صحيح قلت لي ما اسمه؟

الأول: لا اعرف... لكن لن أسمح لك ابداً ان تكشف عنه الأغطية..

الثاني: ما بك يارجل...؟ فقط ارى يده... يده اليسرى فقط...

الأول: ابداً...

الثاني: ما بك.. لماذا؟

الأول: أولاً... لانه قد يموت اذا تعرض للهواء. ثانياً لأنه أمانة، الاتفهم، أمانة. أمه قالت ابق حارساً عليه واطرد عنه الكلاب والشياطين والارواح الشريرة.

الثاني: (شاعراً بالاهانة). انا لست كلباً..

الأول: قد تكون شيطاناً...

الثاني: (يصرخ) لست شيطاناً. (صوت قذيفة).

الأول: اذن فأنت روح شريرة...

الثاني: (يكتم غضبه). أنت تتمادى...

الأول: لم لا؟ كل شيء جائز الآن... ففي مثل هذه الساعة، في مثل هذا الصمت الذي يوقظ حتى الأموات، تتساوى المدينة والمقبرة. المدينة كلها الآن مقبرة. مقبرة كبيرة.

الثاني: (متوجساً). ماذا تقصد؟

الأول: (يتقدم اليه وبنبرة اتهامية) اقصد انها فرصتكم للخروج من قبوركم وغزو هذه المدينة المهجورة... ظننتم ان المدينة أصبحت تحت سلطتكم... ها..؟

الثاني: (يتراجع امامه خائفاً) مجنون... أنت مجنون؟

الأول: سمعت ان الارواح الشريرة تتلهى بالبشر الضعفاء.... المرضى... قلت لي انك تريد ان ترى يده اليسرى.. أليس كذلك؟

الثاني: لا.. أعني كانت فكرة، قلت لعلي أعرفه او ربما أعرف علته... لأساعده.

الأول: أتريد أن ترى يده.. اليسرى؟

الثاني: لا.. لا أريد..

الأول: كنت في مكان ما هنا في هذه المدينة، مكان فيه الكثير من الجن والشياطين والارواح التعيسة الهائمة، رايتهم كلهم، وكلهم كانوا بلا ظل... ليست لهم ظلال (بنبرة اتهامية وبصوت عميق)، أين ظلك؟.

الثاني: (يشتد خوفه، ويلتفت باحثاً له عن ظل)، ولكنك أنت أيضاً...

الأول: أنا ماذا؟

الثاني: أنت أيضاً.... بلا ظل..

(انفجار قريب جداً... يسقطان من الخوف... بعد قليل ينهضان وهما ينفضان التراب عن ثيابهما ويتطلعان الى بعضهما بدهشة... يدخل المراسل التلفزيوني يحمل مايكرفوناً يتبعه المصور، المراسل شعره اشقر يربطه من الخلف، يلبس نظارة سوداء، المصور زنجي غير مكترث بما حوله يأتمر بأوامر المراسل. يبدأ بتصوير الساحة ثم يركز كاميراه على الأول والثاني اللذين يتسمران في مكانهما. منذ هذه اللحظة يظهر كل ما تصوره الكاميرا على الشاشة التلفزيونية المثبتة في أعلى المسرح).

المراسل: (يتقدم بمايكروفونه امام الكاميرا) نحن دائما واياكم مع الحدث اولاً بأول، من هذه المنطقة الساخنة حيث يتوالى القصف المدفعي على المدينة التي أصبحت فارغة تقريباً. وفي هذه البقعة التي أقف عليها وقع قبل قليل أنفجار مدوٍ، يبدو اننا نشاهد هنا احد ضحاياه (يشير الى المصور بتصوير الرجل المريض) كما ترون... لا اثر للدماء... لعله مات من الرعب...أو جرّاء شدة الصوت، أو لعله مات من الفرح لأن القذيفة لم تصبه و فالكرد... – هل قلت سابقا – طيبون ومسالمون لكن لهم طبائع عجيبة في الموت كما في الحياة... تصوّروا كل واحد منهم يلبس دكاناً كاملاً من القماش ويسمونه شروالاً، ويلف خصره بدكان آخر ويسمونه بشتين، والمعضلة الحقيقية التي أصادفها الآن، والتي لن يصدقها أحد الا اذا مجنوناً مثلي وجاء الى هنا، هي ان الكرد ليس لهم ظل... كيف لم ينتبه أحد لهذه الحقيقة المرعبة... صديقتي الشقراء الحلوة التي حدثتكم عنها قبل قليل... (يخرج من جيبه صورة

فتاة شقراء شبه عارية تجلس على البحر).. هذه صورتها

(يقرب الصورة من الكاميرا)، حذرتني كثيراً... نصحتني ان لا آتي الى هنا... لكن... نصحوا الخنزير ان لايتمرغ في الوحل فقال ياه لقد ذكرتموني بموعد حمّامي يضحك ثم يتصنع الجد -... اتركم مع الاعلان.

(يظهر الاعلان على الشاشة: الفتاة الشقراء صاحبة الصورة، صديقة المراسل، تعلن عن نوع من انواع الكريمات...قبل نهاية الاعلان يغادر المراسل والمصور وبعد نهاية الاعلان بالضبط يبدأ الأوّل والثاني بالحركة).

الثاني: الى متى تبقى حارساً لهذه الكومة من العظام؟

الأوّل: الى أن تأتي أمه.

الثاني: الا تريد ان تنجو بنفسك؟.. الجميع يهربون..

الأوّل: أريد.. لا استطيع... ليس قبل ان تحضر امه..

الثاني: لكنها قد لاتأتي...

الأوّل: ستأتي... ستأتي..

الثاني: ان لم تكن ماتت فهي الآن مع القافلة الطويلة التي تحرث الجبال هرباً من الوطن...

الأوّل: ستأتي... سوف ترى..

الثاني: أتخيلها الآن مع الحشد الغائص في الطين، بالكاد تحرك رجليها وهي تولول وتقول للعجائز من حولها لقد تركت ابني المريض، وحيد قلبي، ملاكي المتعفن تركته على قارعة الطريق.. واولداه... لكن الحمد لله... تركت معه فزّاعة تحرسه من الكلاب والشياطين والأرواح الشريرة.

الأوّل: (غاضباً).. فزّاعة... أنا فزّاعة، انا يا من لا ظل له.. على الأقل لدي سبب وجيه لبقائي هنا، سبب انساني.. لكن أنت يا عديم الظل تستطيع ان تخبرني عن سبب بقائك؟..

الثاني: (متلعثماً).. لديّ اسبابي...

الأوّل: اسبابك؟..

الثاني: ولست مجبراً على التصريح بها..

الأوّل: حسناً... حسناً.. دعني اخمّن اسبابك (يلف حوله متخذاً هيئة المحقق).. أسبابك.. هل عندك سيجارة؟ (يناوله الثاني سيجارة) شكراً.. قل لي، من هم المضطرون للبقاء هنا في المدينة؟ (الثاني يهمّ بالأجابة لكن الأوّل يقاطعه بحركة من يده) أنا اجيبك... الثوار الذين يقاومون الجيش.. والمتعاونون مع الجيش، يعني الطابور الخامس (يشعل له الثاني السيجارة) شكراً... واللصوص. (يحاول الآخر الدفاع عن نفسه لكن الأوّل لا يمنحه الفرصة ابداً) الثوّار كما أعرف وتعرف ويعرفون ويعرفن، مكانهم ليس هنا، من بقي حيّاً منهم فهو يتقي الرصاص بصدره الآن من اجل ان ننجو نحن... يؤخر الكارثة لينفذ الجميع بجلودهم... ثم انك لا تحمل سلاحاً كما أرى اذن لست ثائراً، أنت لاتكملك حتى ظل ثائر... (الثاني في وضع المتهم) لست من الثوار... ماذا بقي لدينا... ها..؟ (يحاول الثاني الكلام لكن الأوّل يردعه)... آه... تذكرت الطابور الخامس واللصوص (ينفث الدخان في وجهه)... اختر واحداً...

الثاني: (بمنتهى الهدوء)، أنت تخرّف...

الأول: اختر سبباً من اثنين، اللصوصية أو الجاسوسية... الجاسوسية أو اللصوصية، أو الاثنين معاً.... احجز لنفسك مقعداً،هيا، بسرعة (بينما يتكلم الأول فان الثاني يتفرّس فيه بصمت وعمق). لو كنت مكانك لأخترت اللصوصية وانقذت رأسي.

الثاني: (ينظر بعمق في عيني الأول) هل تعطيني يدك؟

الأول: لا تتوسلني... (يقدم له يده اليمنى يقرّبها من فم الثاني) لا داعي للتوسل وتقبيل الأيدي واللحى... حتى لو قبّلت يدي الف مرة فان العدالة ستأخذ مجراها، عليك ان تختار...

الثاني: (لم يزل يتفرّس فيه بهدوء) ليست هذه... أريد اليسرى...

(الأول يسحب يده اليمنى ويقدم اليسرى بدلاً عنها يقرّبها من فم الثاني الذي ينزلها ببطء شديد، يمسكها بين يديه ويبدأ بقراءة خطوطها)

الأول: (تاركاً يده باستسلام بين يدي الثاني) انصحك للمرة الأخيرة... اعتبرني أخاً لك، صديقاً، اعترف بأنك لص وانج برأسك. الأنكار ليس في مصلحتك...

الثاني: (لم يزل يقرأ في كف الأول) متى أخرجوك من هناك؟

الأول: (غارقاً في شخصية المحقق وكأنه لايسمع) كل شيء هيّن الا التجسس... انه خيانة عظمى...

الثاني: (دون ان يرفع عينيه) كيف أخرجوك من ذلك المكان؟

الأول: وخصوصاً في زمن الحرب...

(اثناء الحوار بين الأول والثاني يدخل المصور والمراسل دون اثارة أنتباههما ويبدآن بتصوير مايجري بين الأثنين، والذي اصبح الآن على الشاشة ايضاً).

الثاني: (لم يزل يقرا كف الأول) كل شيء واضح... صريح... منكشف..

الأول: أمامك طريقان لا ثالث لهما.. اعترف أو...

الثاني: طرقك مسدودة...

الأول: اللصوصية أهون الشرين، اعرف القانون جيداً، اكلته وتغوطته ثم اكلته مرة اخرى وتغوطته، اعرف كل خباياه وألاعيبه...

الثاني: (غارقاً في قراءة الكف) اذا اختفت الخطوط من على قبة المشتري تهالك العقل، اذا انعقد خط الحياة من وسطه تماماً دل ذلك على قلب مخبول ودهشة وهيمان... المبتدئون في قراءة الكف يعرفون ذلك.. لاتتحرك.

الأول: الا التجسس، المادة " ١٣ " من قانون العقوبات المعدل في ١٩٨٨/٣/١٦ نصت على معاقبة الواقفين في الطابور..

الثاني: اخرس.. دعني أرى اين ينتهي هذا الخط... خط الحياة...

الأول: الطابور الخامس، وكل من لايتقيد بنظام الطوابير يجعلون مؤخرته قاووشاً، بعدها يسلقون رأسه كالبيضة ثم يرفعون أوراق عائلته وعشيرته الى الجهات المختصة لترفعها بدورها الى المختبر..

الثاني: ما أقصره... خط الحياة...

الأول: الى المختبر الكيميائي الأعلى...

(عند لفظ كلمة الكيميائي يحدث تشويش لمدة نصف دقيقة على شاشة التلفزيون، يرفع الثاني

راسه متطلعاً الى الأول ثم الى المصور والمراسل، الجميع كأنهم يتشممون شيئاً ما غريباً).

المراسل: (الى المصور) هل شممت رائحة غريبة؟

(المصور يهز رأسه موافقاً).

المراسل: تفاح؟ (المصور يومىء موافقاً).

المراسل: آه... نعم... رائحة تفاح... هل معك تفاحة؟

(المصور يهزّ راسه نافياً)

المراسل: بالأمس اكلت تفاحتين... الغريب ان تفاحهم ليس له رائحة تفاح.. غريب أليس كذلك؟

(المصور يبدي استغرابه)

المراسل: ماذا يتبقى من التفاحة دون رائحة تفاح؟

(المصور يبدي اشمئزازاً)

المراسل: بالغرابة تفاح الكرد، لا أدري كيف استطاع الكرد ابتكار هذه السلالة المهجنة من التفاح... انه انجاز في علم الوراثة..

(المصور يوافق دون حماسة)

المراسل: ام لعل السبب يكمن في نوع السماد الكيميائي الذي يستخدمونه...

(هنا أيضاً عند لفظ كلمة " الكيميائي " يحدث تشويش مرة أخرى على التلفزيون، الأول والثاني ينظران الى بعضهما ثم عند ما ينتهي التشويش يعاودان النظر الى الكاميرا).

المراسل: (يتقدم أمام الكاميرا) أعزائي المشاهدين... تخيلوا معي لو أن أمنا حواء قدمت الى أبينا آدم تفاحة كردية، تفاحة بلا رائحة تفاح، هل كنا أنا وأنتم وجميع الناس وصلنا الى هذا الحضيض، آه... لو كان آدم كردياً (المصور يهز رأسه متأثراً)... مرة أخرى مع الاعلان.

(يظهر الاعلان: الفتاة الشقراء نفسها، تقدم تفاحة الى المشاهدين بحركة اغراء، يبدو ان الاعلان عن ماركة شامبو برائحة التفاح).

(أثناء الاعلان يدخل " الثالث " بخطى بطيئة، يده اليسرى في جيبه وستبقى هكذا الى نهاية المسرحية، يلبس معطفاً طويلاً، يتفحص الوجوه، يلتفت الأول والثاني اليه، تتوجه الكاميرا نحوه).

الثالث: (موجهاً كلامه الى الثاني) هل أعرفك؟

الثاني: (خائفاً ولا يريد له ان يتعرّف عليه) لا... للأسف... لا أظن...

الثالث: وجهك مألوف لديّ.. الم نتقابل سابقاً؟

الثاني: (يشيح بوجهه عنه) كلا حتى ولا في الحلم...

الثالث: مؤكد اني رأيتك... لكن اين؟... اين؟

الثاني: (بحدة وغضب) لا أعرفك... قلت لك لا أعرفك...

الثالث: لا يهم.. أعتذر (يستدير، يمضي ناحية المريض، يحدق فيه قليلاً ثم يعود الى الثاني مرة اخرى) لكني.. فعلاً اعرفك، ياللذاكرة اللعينة، اخشى ان يأتي يوم انسى فيه من أكون انا... اعرفك... ولطالما التقينا وتحادثنا و...

الثاني: (يصرخ) لا أعرفك...

الثالث: لو ساعدتني على التذكر...

الثاني: ابتعد عني... أنت لا تعرفني...

الثالث: بل أعرفك...

الثاني: سأصفعك... انا قارئ كف... لكنك اذا تماديت معي سأجعل كفي يقرأ وجهك البشع...أتسمع؟

الثالث: (يبدو انه لم يفهم قصده) كيف؟

الثاني: هكذا (يصفعه بقوة).

(تشويش على الشاشة، الجميع بما فيهم الثاني يتلمسون وجوههم يخرج المراسل والمصور)

الثاني: (يشعر بالذنب) أنت أجبرتني...

الثالث: لايهم... سيرتد ذلك عليك شعراً... سيرتد ذلك كله على العالم شعراً (يقرأ بصوت خفيض لا يكاد يسمع). لا تجعل ضرباتك مميتة فقد أكون أنا، قد أكون أنا فلا تجعل هوتك عميقة، وته على مهل واتركني أحلم بيديك كأختين توأمين تديفان لي سموم الأمل. لأنك باق، باق، أنت والمتاهة نحن وارثوها ورافعوها اليك لترى كم نتفسخ وكم تضفر لنا الأكاليل ثم نموت قبل ان نتسمى، فنحن جميعنا بوق مدنس في فم الأمل. وقد أكون أنا فلا تجعل مصائدك خفية، مصائدك لاتجعلها خفية فقد أكون أنا وأنسى وجهي يتأجج هناك في المذبح بين الوجوه... وقد أتذكر فلا أقوى على رفع يديّ ملوّحا لك حين تنكرني... واكون أنا حين تخبيء لي فخاخك على العتبة.... لا تخبيء فخاخك على العتبة فقد أكون أنا....

الثاني: أنت أجبرتني على ذلك..

الثالث: لايهم... سيتحوّل كل ذلك الى شعر...

الثاني: لم تترك لي فرصة ان أنسى، وها أنا أخطأت...

الثالث: لاعليك، وراء كل قصيدة عظيمة صفعة مدوّية.

الثاني: لو تعرف... أنت أجبرتني... ماذا يكون الألم سوى ذكرى قديمة مؤلمة، هل تغفر لي؟

الثالث: لا يهم، في كل بيت شعري اصطفاق يد قوية على وجه مهزوم.... لا عليك لا تحزن (يركع الثاني أمامه على الأرض بينما الثالث يقوم بالتمسيد على رأسه، ويخاطبه بنبرة أبوية هادئة). والآن... تذكرتك... تذكرتك تماماً..

الثاني: أنا بالكاد نسيتك ولم أنس، هل تغفر لي؟

الثالث: لا عليك...

الثاني: لن تخبر أحداً عني... اليس كذلك؟

الثالث: لا... اطمئن..

الثاني: وسيكون هذا سرّنا؟

الثالث: أعدك...

الثاني: سرّنا الصغير...

الثالث: سرّنا الهالك، لاتخف...

الثاني: أنت هو الشاعر...

الثالث: وأنت الذي كنت تقرأ الايدي حين كنا معاً.. هناك... أتذكر؟

الثاني: بالكاد انسى... مرة حين كنا هناك، استيقظت في آخر الليل على صوت مفجوع يصرخ: غيوم جديدة في أفق الانسان لم تحاصر بعد... كان صوتك أنت وكنت نائماً تحلم...

الثالث: أحدهم صفعني في الحلم... لا يهم..

الثاني: اغفر لي...

الثالث: تذكّر.. تذكّر...

الثاني: بالكاد أنسى...

الثالث: مرة... مرة واحدة فقط، هناك في ذلك المكان الموحش، أردتك ان تقرأ لي يدي، مددت لك يدي اليمنى، لكنك ضحكت عليّ، قلت لي اليد

اليمنى مخادعة، قدر ممسوح، أعطني الاخرى، أعطني اليد اليسرى (الجميع يقلبون أكفهم)..

وحين أخرجت لك يدي اليسرى غرقت في الضحك وقلت لي هذه ليست يد، يا رجل أعطني يداً تقرأ...

الثاني: أغفر لي...

الثالث: لا عليك... تحول كل ذلك الى شعر...

(المريض يتحرك قليلاً، يصدر من خلف اغطيته الثقيلة أنيناً متقطعاً، يلتفت اليه الجميع)

الثالث: ما هذا... جريح؟

الثاني: مريض، وهذا (مشيراً الى الأول) حارسه الشخصي، فزاعته التي تحميه..

الأول: ستأتي أمه عما قريب.

الثاني: اذا أتت سلم لي عليها.

الأول: قالت لي أنها لم تفارقه لحظة واحدة.. اوقفت نفسها للعناية به... أكيد ستأتي...

الثاني: وضعه ميئوس منه...

الثالث: كيف عرفت... هل رأيته؟

الثاني: لا.. لكن ما دامت أمه قد تركته وولت مع الهاربين...

الأول: من قال لك انها هربت؟

الثاني: تراهن؟

الأول: بماذا؟

الثاني: بخمسة دنانير...

الأول: حمراء؟ ستأتي...

الثاني: أصلية؟ لن تأتي.

الأول: أراهن..

الثاني: هات يدك...

(الأول يقدم له اليد اليسرى)

الثاني: اعطني اليد اليمنى... يدك اليمنى... (يتصافحان)

(الاثنان ينظران الى الثالث الذي اخرج يده اليمنى وبدأ يتحسس مكان الصفعة)

(صوت قذيفة)

(يدخل المراسل والمصور متضايقين)

المراسل: مدينة مجانين.... (متوجهاً بكلامه الى الثلاثة) أنتم أيضاً؟؟ لا ارى احداً سواكم، دائماً في وجهي، لقد ظهرتم اليوم في التلفزيون أكثر من جورج بوش... سيحسدكم، أصبحتم مشهورين (يذهب ليقف أمام الكاميرا) أعزائي الشاهدين.. بعد ان كنا في الجانب الآخر من المدينة ووقفنا على المعارك الدائرة هناك أظن انكم أصبحتم على يقين من ان الجيش سيجتاح المدينة في غضون ساعة على أكثر. المعركة كما سبق وقلنا، غير متكافئة على الاطلاق و مجحفة وغير شريفة لكن علينا ان نتقبلها كمثل سائر الاشياء غير العادلة التي تحدث دائماً. على سبيل المثال... وجودنا هنا بحد ذاته أمر غير غير عادل، فنحن مجبرون على العودة الى هذه الساحة القذرة دائماً... ما العمل؟ نعم ما العمل؟ قالها لينين في بداية القرن وأقولها أنا في آخره، ما العمل اذا كانت هذه الساحة هي المكان الوحيد الذي توجد فيه أشياء تتحرك، هذا طبعاً اذا استثنينا الكلاب والقطط التي مازالت تواصل عراكها الأبدي بين الجثث التي تملأ الشوارع... كهذه الجثة مثلاً (يشير الى المصوربأن يصور المريض) فهي متروكة هنا منذ الصباح...

الأول: (مقاطعاً) ليست جثة.. انه رجل مريض...(المراسل يقرب المايكرفون من فم الأول الذي يواصل كلامه) أمه تركته هنا عسى ان يستدل أحد على علته ويجد له دواء يشفيه...

الثاني: كيف نكتشف علته ودواءه وهو ملفوف هكذا مثل صرة نقود جدتي.. دعه يتنفس على الأقل... سيختنق...

الأول: الهواء يؤلمه قلت لك...

المراسل: اكتشفنا شيئاً مثيراً، سنقوم بتصويره... ارفع عنه الأغطية...

الثاني: لن يدعك تراه. انه لم يسمح لي حتى برؤية كفه...

المراسل: أنه المادة الوحيدة التي تستحق التصوير في هذه المدينة.. هيا... تصوير...

الثاني: لن يسمح لكما أبداً.. اسألني أنا...

المراسل: لماذا؟

الثاني: أم هذا الشيء النائم، تركت هذا الشيء الواقف حارساً عليه ليطرد عنه الكلاب.

المراسل والثالث: الكلاب؟

الثالث: لابأس...سيصبح كل ذلك شعراً..

المراسل: (مخاطباً الأول) ارجو ان تتعاون معنا... أنت قلت ان أمه تركته ليكتشف الناس مرضه ويساعدوه (الأول يومىء بالايجاب)... عظيم فاذا ظهر الآن في التلفزيون عبر الاقمار الصناعية على الهواء مباشرة سيراه الملايين، ولابد ان أحداً ما سيعرف علته... وسيتصل بنا... ما رأيك؟

الأول: سيتألم اذا لامسه الهواء.. وقد يموت...

الثاني: هذا اذا لم يكن زفر زفرته الأخيرة واستراح منك..

الأول: لاأريد ان تكون لي يد في موته...

المراسل: دقيقة تصوير واحدة لن تقدم في الأمر أو تؤخر...

الثالث: لعله يريد أن يخبرنا شيئاً ما... لم لا نسمعه.. قد يكون سعيداً اذا رأى بعض الناس من حوله يهتمون به...

(يبدو الأول وكأنه بدأ يستجيب لهم قليلاً)

المراسل: ها... ماذا قلت... هل نكشف عن وجهه؟

الأول: (يصمت قليلاً ليفكر بالأمر وسرعان ما يرد بعصبية) لا... ليس قبل أن تأتي أمه...

المراسل: (غاضباً) سيأتيك الجيش قبلها... (الى المصور) هيا لنذهب... (يمشي قليلاً ثم يستدير مخاطباً الأول) سآتيكم بعد قليل.... فكر ملياً (يهم بالخروج لكنه يعود كمن تذكر شيئاً) بالمناسبة هل فيكم أحد يحفظ شيئاً من القرآن؟

(الجميع ينظرون الى بعضهم باستغراب)

المراسل: هناك اشاعة تقول ان الجيش حين يدخل المدينة سيقتل كل من يصادفه، الا اذا كان يحفظ سورة الأنفال.(الى المصور) هيا... (مخاطباً الأول) فكر بالأمر ستصبح هذه الكومة من العظام اشهر من مادونا... (يخرجان)..

الثالث: هل تعتقد انه سيعيش؟

الأول: لا أدري...

الثاني: حتى لو عاش... فانهم قادمون... ستفرمه دباباتهم فرماً...

الثالث: سيلتهمون كل شيء...

الأول: ونحن؟

الثالث: كل شيء يتحرك...

الأول: سأقف جامداً اذن.. هكذا (يجمد في مكانه)..

الثالث: كل شيء يتنفس...

الأول: سأقطع نفسي..

الثالث: كل شيء يرونه...

الثاني: (متلعثماً) حتى لو كان بلا ظل؟

الثالث: حتى لو كان مثلنا... بلا ظل...

(صوت قذيفة قريبة جداً)

الثالث: (الى الثاني) أنت تذكر... ولاشك...

الثاني: كما لو في حلم...

الثالث: هناك... حين كنا هناك في ذلك المكان الابيض الذي سحبوا فيه ظلالنا...كنت أراقبك من بعيد وأنت محاط بالأيدي والعيون... يتجمعون عليك ويلقون أيديهم في يديك... أقرألي كفي، ماذا تقول يدي... التقط لي مستقبلي، فكّ لي هذا الخطّ، فسّرْ لي هذه الانحناءة. كانوا يلقون اليك بأيديهم وأنت تقرأ وتقرأ... كرهتك لانك قارئ كف... وحسدتهم لانهم على الأقل لهم يد تقرأ...

الثاني: أنا أيضاً كرهتك لأنك الوحيد الذي لم اعرف سرّ خطوط يده... لم أر أخاديد القدر على راحته... وكرهتك أكثر حين كنت أسمعك في نومك تهذي شعراً تمنيت لو أنني أنا قائله.

الثالث: هل قرأت يدك أنت؟

الثاني: يدي أنها كتابي المقدس الذي سطر فيه ما كان لي وما سيكون...

الثالث: هل تجد فيها اننا نلتقي هنا في هذه الساحة، هنا، على مشارف موت يزحف بأرتاله الينا، هل في يدك نهاية لذلك كله؟

الثاني: لو تعلم كم هو مفزع انك لاتعود تنتظر المستقبل، لا تترقبه... ولاتعيشه، بل تقرأه... تقرأه وحسب... وحين تقرأه تكون قد حفظته عن ظهر قلب، استنفدته وتخليت عنه، مللته وضجرت منه... صدقني.. أنا عشت هذه اللحظة منذ زمن بعيد، منذ ان دخلنا أول مرة الى هناك في الغرفة الطويلة البيضاء التي سحبوا فيها ظلالنا، وتركونا نتلاطم هكذا بلا ظل... مكروهين حتى من أنفسنا...

الثالث: سيغدو كل ذلك شعراً... لا تبتئس...

الثاني: رأيتك.. حين كنا هناك. كنت أقرأ في مصحف يدي انني في ساحة مهجورة أقف مع رجلين آخرين مثلي بلا ظل نعقد حلفاً، ميثاقاً مقدساً مع المستحيل... رأيت في هذه اليد حتى حشود الجنود وهي تسحق الأكف التي ما عادت تقرأ بعد ان أدميت وصارت مزقاً...

الثالث: سيصبح كل هذا قصيدة... يوماً ما....

الثاني: ورأيتك أنت، رأيتك في يدي يداً جديدة لك... قرأتها، قرأت فيها لسانك ينعقد على رغبة بالكلام..

الثالث: غيوم جديدة في أفق الانسان لم تحاصر بعد....

الثاني: رأيت حتى هذا الممدد هنا بلا حراك... رأيت انه يسمع ولا يستطيع...

الثالث: سينتهي كل ذلك الى شعر...

(يتجمع الثلاثة على شكل دائرة كأنهم يهمسون لبعضهم بسرّ ما)

(يدخل المراسل والمصوّر مسرعين)

المراسل: ما زلتم تتسامرون كأنكم في نزهة، يا للكـرد الـ.....كـرد... (الى المصور) وأنا الذي كنت أظنهم يستغلون وقتهم بحفظ سورة الأنفال... سوف يقيمون بهم حفلة شواء... (يتوجه الى الأول) ها... لم تأت أم هذا الشيء؟

الثاني: لم تأت... كسبت الرهان... خسرنا كل شيء...

المراسل: (الى الأول) ما رأيك بصفقة... بزنس..؟

(الأوّل يدير وجهه عنه)

المراسل: أنت صعب... صعب... ربما مزاجك متعكر معك حق، ففي مثل هذه الظروف كلنا نتحول امام الموت صخوراً صماء... لكن أنتم الكرد لعطاكم خالقكم سمة نادرة... (صمت) الا تسألني ماهي؟ انها الابتسامة الشيطانية امام الموت (يضحك هو و المصور).

الثاني: (بنفور) الابتسامة... الشيطانية؟

المراسل: نعم... الستم ابناء الجن (يضحكان)..

(الأوّل والثاني والثالث الى بعضهم بصمت)

المراسل: (يتوقف عن الضحك) ما بكم..؟ أنا أحاول أن اجعل أنتظاركم للموت محتملاً بعض الشيء... لم اقـصد الأسـاءة أبـدأ.... (يحـاول تغـير الموضـوع) الا تعتقدون انها فكرة غريبة ان تترك أم ابنها على قارعة الطريق ليصف له المارّة دواء.... خاصة في ظروف كهذا حيث لا يوجد أحد في المدينة سوى المجانين...

الأوّل: سوى من؟

المراسل: سواكم... أنتم...

الثالث: حدث هذا مراراً... منذ زمن بعيد...

المراسل: كيف؟ أخبرني...

الثالث: في عـصور مـا قبـل التـأريخ كـان ابنـاء ميزوبوتاميا (مستدركا)... هل تعرف ميزوبوتاميا؟

المراسل: نعم... ميزوبوتاميا.... طبعاً أعرفها...

الثالث: كان هؤلاء الميزوبوتـاميون... أجدادنا... اذا مرض لهم أحد ولم يعرفوا مـا مرضـه ومـا دواؤه وضعوه في ساحة عامة، عسى ان يمر عليه شخص ما أصيب بمثل أعراضه فيخبره كيف شفي مـن مرضـه، ماذا عمل لينجو...

المراسـل: آهـا... وفي ذلـك الوقـت لم يكـن هنالـك أطباء.. نعم...

الثالث: كما هو الحال اليوم.. لا أطباء ولا أدوية...

المراسـل: أمـر شـيّق فعـلاً... لكـن قـل لـي كيـف اسـتطاعت هـذه المـرأة... أم صـاحب الحـظ المنكـود هذا، كيف استطاعت التقاط طقس مـن طقـوس مـا قبل التاريخ.. غريب... اليس كذلك؟

الثالث: الم تقرأ يونغ؟

المراسل: لا... من؟

الثالث: يونغ.. كارل غوستاف يونغ.. هذا الرجـل يقـول بـأن هنـاك مخزونـاً واحـداً مـن الرمـوز لـدى البشر وهو نتاج مراحل سابقة عاشتها الانـسانية... وأحياناً يتفجر هـذا المخـزون البـدائي دون ان يـشعر به الانسان.... يظهر بشكل عفوي... تلقائي...

(المراسل والمصور يبدو عليهما عدم الفهم لكنهما يتظاهران بعكس ذلك فيهزّان رأسيهما موافقة)

الثالث: (يكمل) وربما تكون هـذه المـرأة استعادت دون قـصد منهـا طقسـاً قـديماً قـام بـه أجـدادنا... الميزوبوتاميون...

المراسل: اهذا ما يقوله يو... ما أسمه؟

الثالث: يونغ.. كارل غوستاف...

المراسل: ماذا يعمل هذه اليونغ... ما هو اختصاصه؟

الثالث: علم النفس...

المراسل: آ آ.... (الى المصور) هل سمعت؟. مختص بعلم النفس... بالمجانين... (يضحك هو والمصور)...

الثالث: ايضحكك علم النفس؟

المراسل: لا... لكن صاحبك هذا يذكرني بشيء... (يضحك) سمعت قبل قليل خبراً عن كارثة...كارثة مضحكة حقاً... وقعت أمس... تصور ان الناس قبل ان يفرّوا، قبل ان يهربوا من المدينة... ماذا فعلوا؟... وجدوا بناية بيضاء كبيرة.. فيها رجال يصرخون من الشبابيك انقذونا انقذونا، ظن الناس انه سجن وان هؤلاء المحبوسين وراء القضبان سياسيون معارضون... فتحوا لهم الأبواب، اطلقوا سراحهم...

(المراسل والمصور يقهقهان بصوت عال)

(الثلاثة غاضبون)

المراسل: كانوا يظنون انه سجن... اتعرفون ماذا كانت البناية (يضحكان) كانت مستشفى للمجانين. تخيل مدينة لا يتجول فيها الا المجانين... سيفرح صديقك يونغ بهذا...

(يبدأ الثلاثة بالتقدم على المراسل والمصور)

الأول: أيضحكك هذا؟

المراسل: كما ترى.... احاول أن اكون مرحاً... (يستمر الضحك) اسمع... قال لي ضابط التقيته اليوم في الجهة الاخرى..اذا حدث ورأيت كردياً له ظل فتأكد بأنه كردي مهجن، قلت له لماذا، قال لأن الشيطان نفسه ليس له ظل... (الثلاثة يتقدمون عليهما... يحاصرونهما).

المراسل: بقليل من المرح ستغدو الحياة سهلة... سأروي لكم نكتة سمعتها اليوم.. اسمعوا.. جميع الكرد يكرهون سيبويه، لماذا؟ (صمت) لا... لا ليس لأنه أبو النحو العربي... اقول لكم لماذا؟ لأن اسم سيبويه معناه رائحة التفاح...

(المراسل والمصور محاصران تماماً، المراسل يسقط ارضاً... يهرب المصور تاركاً الكاميرا ملقاة على الأرض، المراسل يظل يحدق بالثلاثة مندهشاً)

الثاني: هذا ما حدث تماماً... رأيت ذلك كله.... حين كنا هناك...

الثالث: لو ان لي يداً تقرأ لرأيت ما نحن فيه...

الثاني: (الى الثالث) هات يدك لأقرأها...

الثالث: (يمد يده اليمنى)...

الثاني: ليست هذه... أعطني يدك اليسرى...

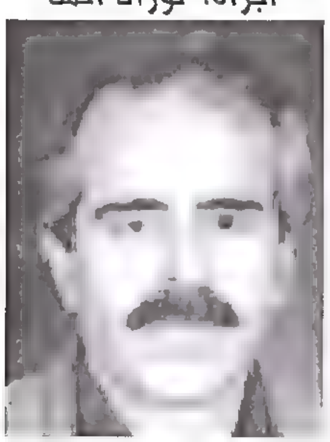
(ببطء، ينزع الثالث يده اليسرى، يظهر انها يد اصطناعية، يعطيها للثاني وينسحب، يبدأ الثاني بقراءة اليدالاصطناعية، بينما الأول يلتقط الكاميرا من الأرض، يذهب الى المريض يقوم بازاحة الاغطية عن وجهه ويركز الكاميرا عليه... تظهر على الشاشة صورة رجلٍ بملابس كردية يقف على قمة جبل يدير ظهره الى الكاميرا ويعقد يديه وراء ظهره متطلعاً الى البعيد... يمتلىء المسرح كله برائحة التفاح)...

(ظلام)

ملاحظة أخيرة: السلاح الكيميائيّ الذي استخدم ضد الكرد كانت له رائحة تفاح.

حوار مع الكاتب والمؤرخ الكردي الأردني الدكتور محمد علي الصويركي

اجراه: نوزاد احمد



د. محمد علي الصويركي، دكتوراه في فلسفة التربية بجامعة عمان العربية، كردي اردني، عضو في اتحاد الكتاب والادباء الاردنيين، حاصل على جائزة الدولة التشجيعية في تأريخ الاردن الحديث، اصدر احدعشر كتابا في مجال التأريخ والسير الذاتية.. وله العديد من المقالات في الصحف والمجلات الاردنية والكردية وفي بغداد.

* بصفتك وضعت كتاباً عن كرد الأردن، هل تستطيع تقديم لمحة موجزة عن الأكراد الأردنيون ووضعهم السياسي والاجتماعي؟

جواب: يوجد في الأردن اليوم أقلية كردية يقدر عددها بحوالي ثلاثين ألفاً، وهذا الرقم يشتمل على كرد الأردن الذين استقروا على الأرض الأردنية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والربع الأول من القرن العشرين، وكرد فلسطين الذين لجأوا إلى الأردن بعد نكبتي ١٩٤٨، ١٩٦٧م.

يسكن الكرد اليوم في العديد من المدن والقرى الأردنية، وشكلوا مع الزمن جزءاً من النسيج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الأردني، وساهموا بشكل كبير مع بقية الأردنيين في بناء وطنهم الأردن الحديث.

وهناك جملة عوامل أسهمت في انسجام الأكراد مع الأردنيين، من أبرزها تشابه العادات والتقاليد، والدين الواحد وهو الإسلام، والجوار الجغرافي ، فكردستان تجاور وتتداخل مع بلاد الرافدين والشام، وهناك عامل المصاهرة والنسب، والتاريخ المشترك.

تشير المصادر التاريخية إلى استقرار الكرد في الأردن منذ بدايات الدولة الأيوبية التي أسسها القائد الكردي الشهير صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٧٣ م. وقد شكل الكرد عماد جيشه الذين قدموا من كردستان إلى الشام ومصر بدافع الجهاد ونصرة الإسلام ضد الغزو الصليبي. وقد أصبحت شرقي الأردن مسرحاً للصراع الأيوبي- الصليبي، إذ كانت قوات صلاح الدين ترابط وتتجول في المنطقة، فحاصرت قلاع الإفرنج في الكرك والشوبك، كما انطلق بقواته من الأرض الأردنية لمهاجمة مواقع الإفرنج في شمالي فلسطين ووسطها في مواقع كوكب الهوى، ونابلس، والقدس. كما شاد صلاح الدين (قلعة عجلون) على قمة جبل عوف لمراقبة تحركات الإفرنجة في الغور الأردني.

وأسكن صلاح الدين فرقة من جيشه من (الأكراد الهكارية) في مدينة السلط، ولعبت هذه الفرقة دوراً بارزاً في الحروب الصليبية ما بين سنوات (١١٧٧ – ١١٨٩ م)، ودعيت الحارة التي سكنوها في السلط باسمهم (محلة الأكراد)، ولا تزال تحتفظ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، كما نبغ من الأكراد الهكاريين المقيمين في السلط عدة علماء وقضاة، كان في طليعتهم عبد الله الهكاري الصلتي (نسبة إلى الصلت التي حرفت فيما بعد إلى السلط)، وابنه بدر الدين الصلتي. وقد درس الاثنان في المدرسة السيفية في السلط، كما عمل بدر الدين قاضياً في السلط، والقدس، ودمشق، وحمص التي توفي فيها سنة ١٣٨٤ م.

كما انتقل بعض الأكراد الهكاريين من مدينة السلط إلى القدس في العهد المملوكي، وكونوا حارة خاصة بهم هناك عرفت باسم (حارة السلطية)، نسبة إلى السلط التي قدموا منها، وفي القدس أصبحوا أئمة المسجد الأقصى المبارك لفترة طويلة من الزمن، ويعرفون اليوم في القدس بعائلة الإمام.

ونعود مرة ثانية إلى العصر الأيوبي، إذ أسس الملك الناصر داود الأيوبي (توفي ١٣٥٨ م) ما عرف بإمارة الكرك الأيوبية سنة ١٢٢٩ م. ودامت نحو ثمانين عاماً، وكانت تقوم على البقعة الحالية التي تقوم عليها المملكة الأردنية الهاشمية اليوم . واستطاع الناصر داوود بجيشه منازلة الصليبيين وتحرير القدس من قبضتهم مرة ثانية سنة ١٢٣٩ م . كما نشط الناصر داوود الحركة العلمية والثقافية في الأردن، فبنى المدارس، وصارت الكرك قبلة الفقهاء والعلماء، ومهدت السبل لنبوغ عشرات الإعلام من المنطقة في العصرين الأيوبي والمملوكي، كعائشة الباعونية، وابن القف الكركي وسواهم من الأعلام. كما ترك الأيوبيون الأكراد في الأردن معالم أثرية بارزة كقلعة عجلون وقلعة السلط التي (دمرت سنة ١٨٤٠ م)، والمسجد الجامع بعجلون، ومسجد ريمون في جرش، وهذه المعالم الأثرية والدينية تدل على قصة جهادهم ضد الإفرنجة،وحبهم للعلم والدين.

وفي العصر المملوكي (١٢٦٠ – ١٥١٦ م) استمر استقرار الكرد في محلتهم في مدينة السلط، ودرس بعضهم في المدرسة السيفية في السلط، كعبد الله الهكاري وابنه بدر الدين ، والفقيه الكردي شهاب الدين بن سليمان الكوراني (توفي ٧٨٤ هـ).

وفي العهد العثماني (١٥١٦ – ١٩١٨م)، تذكر السجلات العثمانية وجود محلة للأكراد في السلط سنة ١٥٣٨ م. ومرة ثانية سنة ١٥٩٦ م. وهذه دليل يؤكد على استمرار استقرار الكرد في المنطقة رغم هجرة بعض أكراد السلط الهكاريين إلى مدينة القدس في هذه الفترة، أو في فترة لاحقة. وبقيت (محلة الأكراد) في السلط اسماً جغرافياً بارزاً منذ العصر الأيوبي وحتى يومنا هذا. فلم يمر بها رحالة عربي أو أجنبي إلا وذكر (محلة الأكراد) وعشائرها، فعلى سبيل الذكر قال الرحالة السويسري بيركهارت الذي زارها سنة ١٨١٢م بان مسلمي السلط يتألفون من ثلاث عشائر : الأكراد، القطيشات، العواملة. كما أشار الباحث الدكتور جورج طريف في كتابه (السلط وجوارها) أن المسلمين شكلوا غالبية سكان السلط، وكان من بينهم الأكراد خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٦٤ – ١٩٢١م.

لكن الكرد أخذوا يتوافدون إلى المدن والقرى الأردنية بشكل ملفت للنظر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، إذ تعود غالبية العائلات الكردية الموجودة في الأردن إلى هذه الفترة، ومرد ذلك يعود إلى أن الدولة العثمانية بسطت سيطرتها الإدارية والعسكرية على المنطقة، مما حسن طرق المواصلات، وأشاع الأمن والنظام، فكان غالبية رجال الدرك والجند والموظفين الإداريين وجباة الأموال المرابطين في المدن والمخافر الأردنية من العنصر الكردي، وهؤلاء أما قدموا من حي الأكراد بدمشق، أو من مدينة حلب ومنطقة الجزيرة وماردين وديار بكر. وقد تخصص الموظفين الكرد في الأردن في جباية الأموال الأميرية، والتزام الأعشار. وتؤكد ذلك الباحثة الدكتورة هند أبو الشعر في كتابها " اربد وجوارها ١٩٩٥ " أن الجندية والدرك وتحصيل الأموال في العهد العثماني ارتبط بذاكرة الأردنيين بالعنصر الكردي.

وبالإضافة إلى الجندية والدرك، عمل الكثير من الكرد في الوظائف الإدارية والحكومية في مراكز الألوية والأقضية في كل من عجلون والبلقاء والكرك ومعان . كما تزوجت الكثير من الكرديات من حي الأكراد (الصالحية) بدمشق من مواطنين أردنيين، حسبما أشارت إلى ذلك السجلات الشرعية العثمانية في اربد وعجلون وعمان وغيرها. كما ازدهرت الحركة التجارية بين الشوام ومدن وبوادي الأردن في أواخر العهد العثماني، فقدم الكثير من التجار الشوام والذين كان من بينهم (تجار أكراد) من حي الصالحية بدمشق، وتوطن عدد منهم في المدن الأردنية واستقروا بها، لغاية إدارة تجارتهم وتيسير مصالحهم. وبعد هزيمة الأتراك سنة ١٩١٨ م عاد الكثير من الموظفين والجند الكرد إلى بلادهم، وبعضهم فضل الاستقرار في المدن الأردنية واتخذوها موطناً وسكنى.

*ما هي مساهمات كرد الأردن في بناء الأردن الحديث؟

جواب: ساهم كرد الأردن في بناء وتأسيس الأردن الحديث في شتى المجالات والأنشطة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، وتركوا بصمات واضحة في هذه المجالات، حتى فاقت مشاركتهم البعض ممن هم اكثر منهم عدداً.

فكان بين المستقبلين لسمو الأمير عبد الله بن الحسين يوم قدومه إلى معان عام ١٩٢٠م الضابطان الكرديان (خليل بكر ظاظا) و(نور الدين البرزنجي). وعندما قدم الأمير عبد الله إلى عمان، كان الوجيه سيدو الكردي وعلي الكردي من ضمن مستقبليه، ومعهم كذلك الزعيم رشيد المدفعي - كردي عراقي ومن كبار قادة الثورة العربية الكبرى.

وعندما شرع الأمير عبد الله بن الحسين في تأسيس الجيش الأردني، كان من بين مؤسسي الجيش والدرك ضباط من أصل كردي أمثال الرئيس خليل بكر ظاظا، والضابط مصطفى المللي، والزعيم رشيد المدفعي بالإضافة إلى العديد من الأكراد الذين خدموا في الجيش والدرك والشرطة برتب متنوعة طيلة عهد الإمارة الأردنية ومن ثم المملكة. وقد وصل بعضهم إلى ارفع المناصب القيادية في الجيش والدرك، فكان رشيد المدفعي مديرا للأمن العام سنة ١٩٢٣م ، والفريق صالح الكردي قائداً لسلاح الجو الأردني، ومساعدا للقائد العام للقوات المسلحة الأردنية ١٩٦٢ — ١٩٧١ م.

وفي المجال السياسي، برزت شخصيات سياسية في عهد الإمارة الأردنية، عدوا من رجالات الوطنية، أمثال سيدو الكردي، احمد الكردي، علي الكردي، ومدحت جمعة، وأخيه سعد جمعة.

وتقلد بعض الكرد مناصب سياسية عليا في الحكومة، فكان السيد رشيد المدفعي وزيراً للداخلية والدفاع سنة ١٩٣٩ م. ودولة الأستاذ سعد جمعة رئيساً للوزارة الأردنية مرتين عام ١٩٦٧م . والمهندس صلاح جمعة وزيراً للزراعة والتموين بين أعوام ١٩٦٧ — ١٩٧٩ م. والدكتور يوسف ذهني وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل عام ١٩٧٣م، وشغل معالي سعد الدين جمعة منصب أمين عام رئاسة الوزراء الأردنية عشرات السنين، وشغل منصب وزير دولة لشؤون رئاسة الوزراء، والدكتور اشرف الكردي وزيراً الصحة، واختير عينا في مجلس الأعيان، والمهندس عمر اشرف الكردي وزير الاتصالات في الحكومة الحالية.

وفي السلك الدبلوماسي، شغل السيد علي سيدو الكردي وزيراً مفوضاً في وزارة الخارجية، فخدم في سفارات الأردن في أنقرة ودمشق وجدة واليمن. والسيد مدحت جمعة سفيراً للأردن في أميركا وألمانيا الغربية والمغرب وبريطانيا وأسبانيا وتونس. واللواء عبد الإله الكردي سفيرا للأردن لدى ماليزيا وروسيا، والسيد مازن مدحت جمعة سفيرا لدى ماليزيا.

أما في المجال الاقتصادي، فقد برز الاقتصادي حسني سيدو الكردي الذي أسس بنك الأردن، وقدم هذا البنك خدماته المصرفية والمالية والاستثمارية ،وساهم في تنشيط وبناء الاقتصاد المحلي، ولا يزال إلى اليوم يعد من البنوك الرائدة في خدماته المالية

والمصرفية، وهناك مجموعة الكردي برئاسة السيد عبيدة الكردي وأخيه المهندس عبد الودود الكردي ولهما شركات ومؤسسات ومتاجر اقتصادية واستثمارية معروفة، مثل أسواق "مكة مول" و"عبدون مول"، ومدينة احرين لاند للإسكان، ومحمد علي الكردي صاحب شركة الحياة للأدوية، وشركة إسماعيل الكردي واستثماراتها في مجال دور السينما.

وفي المجال الطبي، لمع الدكتور اشرف الكردي كطبيب أعصاب متميز على المستوى المحلي والدولي، فأصبح أميناً عاماً لاتحاد أطباء العرب للعلوم العصبية ١٩٨٤ - ١٩٩٣م. ونائباً لرئيس اتحاد أطباء العالم للعلوم العصبية عام ١٩٨٩م. وكان الطبيب الخاص للرئيس ياسر عرفات، وشغل عضواً بمجلس الأعيان الأردني، ووزيراً الصحة.

أما في المجال الثقافي، فقد ساهم كرد الأردن في الحركة الثقافية والأدبية والفكرية الأردنية، وكان على رأسهم المفكر والسياسي والأديب سعد جمعة (رئيس الوزراء الأردني فيما بعد). فقد دون عشرات المقالات الفكرية والأدبية في المجلات والصحف المحلية والعربية، واصدر جريدة (الحق) عام ١٩٤٧م. واصدر كتب فكرية تعالج الواقع العربي بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م، مثل كتاب "مجتمع الكراهية"، "الله أو الدمار"، "معركة المصير"، "ابناء الأفاعي".

ووضع علي سيدو الكردي أول كتاب في أدب الرحلات في الأردن وهو كتاب "من عمان إلى العمادية: أو رحلة في كردستان الجنوبية". صدر عام ١٩٣٤م، وأعيد طبعه عام ١٩٩م. وصنف كتيب عن التعليمات القنصلية في السلك الدبلوماسي الأردني الذي استخدم لفترة طويلة، كما وضع "معجم كردي- عربي" صدر في عمان ١٩٨٥م، وشغل عضواً في المجمع العلمي الكردي العراقي.

وصنف الدكتور محمد علي الصويركي كتباً عن تاريخ الأردن مثل " الأردن في أشعار العرب "، " نوابغ الأردن في العهد الإسلامي "، " شرقي الأردن والعهد الفيصلي "، " مصادر ومراجع عن الثورة العربية الكبرى " ، "تاريخ السلط والبلقاء"، و" عمان تاريخ وحضارة"، و"اربد المدينة تاريخ وحضارة وآثار"، و"مصادر ومراجع عن الأردن"، و"مذكرات سليمان عريضة"، و "الأكراد الأردنيون ودورهم في بناء الأردن الحديث"، و"معجم أعلام الكرد"، "عائشة الباعونية"، وفي عام ١٩٩٥ منحته وزارة الثقافة الأردنية "جائزة الدولة التشجيعية في تاريخ الأردن الحديث" تقديراً لجهوده في هذا المجال.

ولا ننسى دور الأستاذ عبد الرحمن الكردي الذي أسس أول دار للنشر في الأردن في فترة الخمسينيات من القرن العشرين، وقام نشر الكتب الجادة لكتاب محليين وعرب لأول مرة، واصدر مجلة "الأردن الجديد" الأسبوعية في عمان سنة ١٩٥٠. ومن كتبه "وادي الأردن وامتيازاته" ١٩٤٩م، وكتاب "الحب بعد الموت كاملاً".

وفي المجال الديني هناك الشيخ محمد سعيد الكردي الذي أخذ على عاتقه نشر الطريقة الصوفية الشاذلية في شمالي الأردن، وأسس لهذا الغرض العديد من المساجد والزوايا في اربد وعمان

والصريح، وصنف وحقق الكثير من الكتب التي تخص الطريقة الصوفية.

وبرزت أسماء معروفة في المجال الإعلامي والفني والمسرحي مثل إبراهيم خليل الكردي الذي ألف واخرج العديد من المسرحيات الهادفة، والت مثلت على مسارح اربد وعمان. وبرز اسم زياد الكردي كمخرج للعديد من المسلسلات التلفزيونية، والوجه التلفزيوني والصوت الإذاعي إيمان ظاظا مقدمة ومعدة البرامج المختلفة، والإذاعي المعروف الأستاذ خلدون الكردي، والمذيعة داما الكردي، والمذيع حسن الكردي وفي المجال الاجتماعي، فقد جرت مصاهرات كثيرة بين الجانب الكردي والأردني، وحسبنا أن نشير في هذا المجال إلى السيدة منيفة بنت بابان الكردي زوجة شاعر الأردن الكبير مصطفى وهبي التل التي أنجبت للأردنيين أعظم رجالهم وهو دولة المرحوم وصفي التل رئيس الوزراء المعروف بمواقفه الوطنية والقومية.

ولكرد الأردن اليوم جمعية خيرية اجتماعية تحمل اسم "جمعية صلاح الدين الأيوبي"، وتقع في منطقة (تلاع العلي) في إحدى مناطق عمان الراقية.

*هل تشعرون بالاضطهاد القومي أم العكس من ذلك تمارسون حقوقكم مثل بقية المواطنين الأردنيين؟

اعتقد أن الأردن من اكثر الدول العربية التي نعمَ فيها الكرد بالحرية .ولم يتعرضون لأي نوع من التمييز أو الاضطهاد ، بل العكس تماما فلهم مكانة محترمة بين أفراد المجتمع ومؤسسات الدولة، ويرجع تمتع أكراد الأردن بالمساواة والحرية مع إخوانهم الأردنيين إلى حنكة وتسامح القيادة الهاشمية التي ما برحت تحترم جميع مكونات المجتمع الأردني، وفسحت المجال للجميع ليتقلدوا المناصب العليا إذا وجدت لديه الكفاءة والجدارة، وهذا ما خلق لديهم الفخر والاعتزاز بكونهم أردنيين أولا ، وأكراد ثانيا.

وقد وصل احد أبناء الكرد إلى تسلم منصب رئاسة الوزراء مثل السيد سعد جمعة. وحاليا تضم الحكومة الأردنية وزير كردي وهو المهندس عمر الكردي وزير الاتصالات. وهناك كردي في مجلس الأعيان وهو معالي سعد الدين جمعة. ولدينا جمعية معترف بها خاصة بكرد الاردن وهي جمعية صلاح الدين، وتساهم هذه الجمعية في رعاية فرقة موسيقية وفنية كردية واعطاء دروس باللغة الكردية، والاحتفال بعيد نوروز في كل عام، والكرد موجودين في كل مرافق الدولة ومؤسساتها، ولهم مساهمات في القطاع الخاص والمجال التجاري، ونحن نشعر في الأردن بأننا جزء من المجتمع الأردني ولا نشعر بالتفرقة أو نعد من الدرجة الثانية، وانما نشعر دائما بأننا منافسون أو أندادا مع الأردنيين. وهم ينظرون إلينا بمنظار الاحترام والتقدير، وغالبا ما يمتدح الأردنيون أي شخصية كردية يتعرف عليها للوهلة الأولى؛ ويقولون له بروح الإعجاب: يكفي أنك من أحفاد البطل صلاح الدين!

وعلى الرغم من أننا أقلية، إلا أننا نشعر بأن الأردن وطننا وبلدنا لأننا ساهمنا في بنائه، وإذا ما قسيت إنجازاتنا وما قدمناه لهذا الوطن نجدها تفوق إنجازات بعض العشائر العربية الأخرى، وهناك

إنجازات كبيرة للكرد في شتى المجالات التجارية والاقتصادية والثقافية بما يدعوك للفخر، لذلك لا نشعر بأي اضطهاد قومي أو سياسي، وليست لدينا أي مشكلة سياسية تتعارض مع مصالح الوطن، ومع هذا لا يمنع أن يكون لدى الكثير منا شعور قومي كبير، يدفعنا أن نشاطر أخواتنا الكرد في كردستان أحزانهم وأفراحهم.

*ما هو وضعكم الاجتماعي والسياسي في الأردن مقارنة بالأقليات الأخرى كالشركس والشيشان؟

هناك ظروف ساهمت في تهميش دور الأكراد وترابطهم اجتماعيا وسياسيا، ومن أبرزها عدم وجود"كوتا" خاصة بهم في البرلمان أسوة بالأقليات الأخرى من الشركس والشيشان والمسيحيين، كما أن توزيعهم الجغرافي واختلاف عشائرهم وأصولهم ومنابتهم أسهم في تفرقهم، وعدم تجمعهم في مكان واحد يستطيعون من خلاله رص صفوفهم خلف مرشح واحد يستطيعون انتخابه ليمثلهم تحت قبة البرلمان . كما ساهمت غياب المضافات (الدواوين) العشائرية الكردية في المدن والقرى التي يتواجدون بها على ضعف الترابط الاجتماعي والمشاركة السياسية، كما أن النخب الكردية السياسية والاقتصادية البارزة لا تلقي بالا إلى إخوانهم من الكرد العاديين من خلال دعمهم ومساعدتهم في مواصلة تعليم أبنائهم، أو السعي لتوظيفهم في الجهاز الحكومي، وحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم، هذا الواقع المرير الذي يشعر به الكردي العادي من النخبة الكردية أحدث شرخا وسخطا لدى هذه الطبقة، فالطبقة البرجوازية الكردية أصبح لا يهما إلا شيء واحد وهو حماية مصالحها الخاصة وحصد المكاسب والمغانم لأبنائها فقط، وهذا ما جعل الكثيرون ينفرون منهم ويسخطون عليهم، مما انعكس بالتالي على روح الانتماء القومي لديهم ، واضعفه ، وجعلهم يتوجهون إلى باب آخر من أصهارهم ومعارفهم وجيرانهم ونواب مناطقهم يطلبون منهم العون والمساعدة في تيسير أعمالهم، وقضاء حوائجهم.

وبذلك تتحمل النخب الكردية بإضعاف الروح القومية وشعور الانتماء لدى الأقلية الكردية، على الرغم من تقديم النخب حجتهم بقولهم بأنهم وصلوا إلى هذه المراكز والمواقع السياسية والاقتصادية بفضل تعلمهم وكفاءتهم وليس بكونهم كرداً، وبذلك لا يترتب عليهم أي واجب اتجاه الكرد الآخرين ، لكن نسوا أن الواجب العشائري والديني والقومي لا يعفيهم من ذلك، ويبطل حجتهم. ونذكرهم فقط بقوله تعالى "وآتوا ذو القربى حقه"، و"ويسألونك عن المودة في القربى"، و"الاقربون أولى بالمعروف".

*ما هي مطالبكم كأقلية كردية في الأردن من حكومة إقليم كردستان العراق؟

نطالب من حكومة إقليم كردستان العراق زيادة التفاعل الثقافي معنا من خلال دعوة رجال الأعمال والمثقفين الكرد لزيارة كردستان من اجل الاطلاع على الواقع هناك، وتزويدنا بالمنشورات والكتب التي تصدر عندكم وخصوصا إن الإقليم يشهد حركة قوية ونشطة في مجال النشر. وان يشارك إقليم كردستان في المهرجانات الثقافية والفنية التي تقام في الأردن كمهرجان جرش

والفحيص بفرق فنية كردية، وهذه وسيلة إعلامية كبيرة لتعريف الشعوب ببعضها البعض، وتزويد وزارة الثقافة والجامعات الأردنية بالمنشورات والمطبوعات التي تتناول تاريخ الكرد وجغرافية كردستان ومناطقه السياحية لكي يكون لدى المواطن الأردني الوعي عن ماهية القضية الكردية وأسبابها، لأن غالبية الناس لديهم جهل كبير بذلك، هذا إلى جانب تخصيص مقاعد جامعية للطلبة الكرد والعرب وبالتنسيق مع وزارة التعليم العالي الأردنية، هذا كله ينشط الكرد ويحرك لديهم الشعور القومي.

*ما مدى معرفتك بالثقافة والأدب الكرديين هنا في كردستان العراق؟

لاشك بأن الأدب الكردي وما كتب فيه وعنه من مطبوعات ومنشورات لم تصل بشكل كبير إلى أيادي المثقفين الكرد في الأردن، ورغم ذلك فقد أطلعت على "ديوان عبدا لله كوران" المترجم إلى العربية، وعلى كتاب "الواقعية في الأدب الكردي"، وعلى شعر شيركوه بيكاس المترجم، وأما شعر بلند الحيدري وجميل الزهاوي ومعروف الرصافي فمعروفون لدى الأوساط العربية، وبعض أشعارهم تدرس في المدارس الأردنية، ولكن هناك إشكالية في ترجمة شخصياتهم بقولهم بأنهم شعراء عرب من العراق، مع إغفال أصولهم الكردية، كما اطلعت على بعض الإعداد من مجلة "كروان" ، ومجلة "سردم العربي"، وعلى كتاب"موجز تاريخ الأدب الكردي" لمعروف الخازندار، وعلى بعض منشورات رابطة " كاوا " في بيروت. وعلى العموم فإننا بحاجة إلى الإطلاع على الأدب الكردي المترجم إلى العربية الصادرة عندكم ، لان الكثير منا لا يحسن اللغة الكردية.

*في ظل المتغيرات التي شهدتها وتشهدها المنطقة على قدم وساق، و بما ان النظام السياسي الدولي طرأ عليه تغيير كبير وهناك خارطة الشرق الأوسط الكبير، كيف تنظر الى ملامح المنطقة وخصوصا ما يتعلق بمستقبل الكرد؟

هذه التغييرات التي شهدتها المنطقة جاءت بالفائدة والخير على كردستان العراق، وهذا ما جعل الكرد في العراق يصلون إلى ما هم فيه الآن بعد أن كانوا على مدار السنوات الماضية ضحية التغييرات الإقليمية والمصالح الدولية. وأيضا كان لعامل الوحدة بين الكرد الأثر الكبير فيما وصلوا إليه، وهذا دليل على أن الكرد بدأوا يعرفون قواعد اللعبة الدولية ، ويتحالفون مع الذي يقف مع مصالحهم،كما أن الوعي الثقافي والسياسي في كردستان العراق مع وجود برلمان وإدارة واحدة ووجود كتلة كردية في البرلمان العراقي، استطاع الكرد أن يلعبوا دورا سياسيا قويا بالنسبة لاقليمهم أولا، وبالنسبة للعراق ثانيا، وأنا مستبشر خيرا بمستقبل الكرد، وباعتقادي ستصب هذه التغييرات في صالحهم إذا هم عرفوا كيف يتعاملون معها، وعليهم أن يكونوا مستعدين لاغتنامها والتعامل معها بعقل وبصيرة، وهذا الاستعداد يقويه التعليم والثقافة والوحدة.

*كلمة أخيرة توجها إلى الكرد؟

إن الوحدة هي قوة الكرد الحقيقية، وان لا يغالوا في التعصب القومي، بل عليهم أن ينسجوا علاقات حميمة مع إخوانهم العرب والتركمان والمسيحيين.

وان يضربوا مثلا رائعا في التسامح والمحبة مع الجميع، وان يسعوا مع تنامي دورهم السياسي في العراق لدفع الأذى عن الكرد في باقي مناطق كردستان الأخرى، وان يفتحوا أبواب جامعاتهم ومعاهدهم العلمية أمام الطلبة الكرد من مختلف مناطق كردستان وخارجها، وان يسعوا إلى فتح محطة فضائية كردية باللغة العربية على لزيادة التقارب الكردي- العربي، والسعي لتأسيس جمعيات الصداقة العربية- الكردية في مختلف الدول العربية، ورفد المؤسسات الأكاديمية العربية بالعديد من المطبوعات والمنشورات التي توضح للقارئ العربي حيثيات المشكلة الكردية وحقوق الشعب الكردي في الحرية والاستقلال مثل باقي شعوب العالم، وكتب أخرى تتحدث عن ماضي الكرد وحاضرهم وإنجازاتهم ومساهماتهم الرائدة في خدمة الحضارة الإسلامية، من أجل زيادة مساحة الألفة والتفاهم بين الجانبين، وتضيق مساحة الخلاف والعداء التي صنعها الماضي، وألقت بظلالها المقيت على قضية الكرد العادلة، وعلاقتهم التاريخية المتآخية دائما مع العرب.



مام جلال من محارب پێشمەرگە الى رئاسة الجهورية

البوم صوري عن مراحل حياة المناضل مام جلال

اعداد: صلاح رشيد

وثائق

إبادة الكرد .. في وثائق حزب البعث البائد

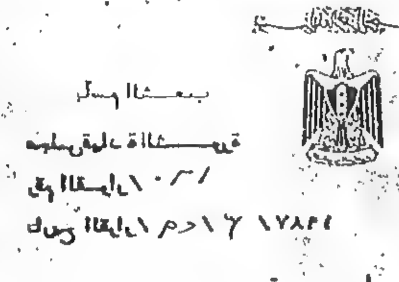


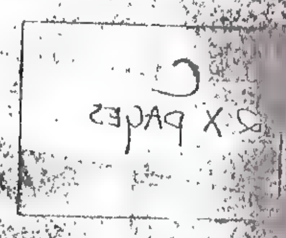
مجيد صالح*

يمثل يوم ٩/٦ الذكرى السادسة عشر على نهاية الهجمات الوحشية لإبادة شعبنا في جنوب كردستان المسماة بـ(الأنفال) وفي ١٩٨٨/٢/٢٣ وبعد إرسال علي حسن المجيد من قبل صدام حسين كحاكم على كردستان، قامت الفيالق، (الأول والثاني والخامس) من الجيش العراقي وأجهزة الأمن القمعية والاستخبارات وحزب البعث العفلقي وأفواج الدفاع الوطني (الجحوش) وعلى مدى سبعة أشهر وأثنى عشر يوماً وفي ثماني هجمات وحشية، سبع منها على المناطق المحررة الواقعة تحت سيطرة الاتحاد الوطني الكردستاني، حيث تمكن النظام البائد وبالاستفادة من جميع أنواع الأسلحة، ومنها (السلاح الكيمياوي) من السيطرة على المناطق المحررة وتمت إبادة مئات الآلاف من الناس وتدمير جميع القرى.

وفي الحقيقة ان عملية الأنفال للشعب الكردي في العراق جاءت بناءً على برنامج قديم لسياسة حزب البعث الشوفيني وبالتحديد الى شباط سنة ١٩٦٣، في ذلك الوقت استطاع البعثيون ولأول مرة وفي انقلاب عسكري تمكن من الوصول الى الحكم بالرغم من أن محاولات حزب البعث البائد لمحو الكرد في كردستان العراق لم تكن بمستوى وضخامة عمليات الأنفال سيئة الصيت لعام ١٩٨٨ وهذا لا يعني ان مشروع أنفال الكرد مشروع وقتي أو وليد ظروف معينة، وفي هذا المقال نود ان نشير الى حقيقة حزب البعث من خلال بعض الوثائق التي صدرت عن أجهزة البعث في سنة ١٩٨٧ تفضح حقيقة سياسة النظام البعثي أمام الشعب الكردي والشعوب الأخرى لكي يطلع عليها القراء..

الوثيقة الأولى

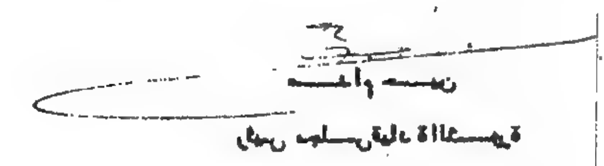






7

[illegible]



في سنة ١٩٨٧ أجمع المراقبون للحرب العراقية - الإيرانية بأن الحرب وصلت الى مرحلة لا حل لها ولا توقف وأن النظام العراقي يريد ان ينهي الحرب بأي ثمن، وأصبح الكرد في هذه الفترة جزءاً من الحرب والجبهة الأمامية التي كانت تشتعل اكثر، وأن المسؤولين البعثيين وشخص صدام حسين وصلوا الى قناعة بأن يستفيدوا من الدعم القومي، وقبل انتهاء الحرب بين العراق وايران يجب القضاء على الكرد وقضيتهم في العراق أيا كانت النتيجة.

وفي ١٩٨٧/٣/٢٩ أصدر مجلس قيادة الثورة في اجتماع خاص القرار التالي:

باسم الشعب

رقم القرار / ١٦٠

مجلس قيادة الثورة

تاريخ القرار/ ١٩٨٧/٣/٢٩

قرار

استنادا الى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين، والفقرة (أ) من المادة الثالثة والاربعين من الدستور، وتنفيذا لما تقرر في الاجتماع المشترك لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في ١٩٨٧/٣/١٨.

قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة في ١٩٨٧/٣/٢٩ ما يلي:

أولاً: يقوم الرفيق علي حسن المجيد عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، بتمثيل القيادة القطرية للحزب ومجلس قيادة الثورة في تنفيذ سياستهما في عموم المنطقة الشمالية وبضمنها منطقة كردستان للحكم الذاتي بهدف حماية الأمن والنظام وكفالة الاستقرار فيها وتطبيق قانون الحكم الذاتي في المنطقة.

ثانياً: يتولى الرفيق عضو القيادة القطرية لتحقيق أهداف هذا القرار، صلاحية التقرير الملزم لجميع اجهزة الدولة المدنية والعسكرية والأمنية، وبوجه خاص الصلاحيات المنوطة بمجلس الأمن القومي ولجنة شؤون الشمال.

ثالثاً: ترتبط الجهات التالية في عموم المنطقة الشمالية بالرفيق عضو القيادة القطرية وتلتزم بالقرارات والتوجيهات الصادرة عنه التي تكون واجبة التنفيذ بموجب هذا القرار.

١ المجلس التنفيذي لمنطقة كردستان للحكم الذاتي.

٢-محافظو المحافظات ورؤساء الوحدات الادارية التابعة لوزارة الحكم المحلي

٣-اجهزة المخابرات وقوى الأمن الداخلي والاستخبارات العسكرية والجيش الشعبي.

رابعاً: تلتزم القيادات العسكرية في المنطقة بأوامر الرفيق عضو القيادة القطرية بكل ما يتصل بـ(أولاً) من هذا القرار.

خامساً: يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وحتى اشعار آخر، ويتوقف العمل بالأحكام القانونية التي تتعارض وأحكام هذا القرار

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

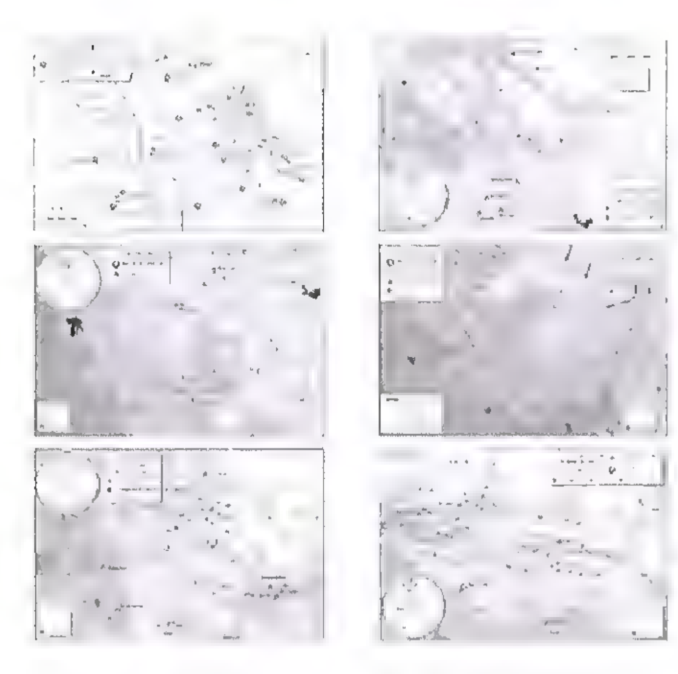
وحسب تقرير (ميدل ايست ووج) الذي تم نشره في سنة ١٩٩٣ (فإن سلطة علي حسن المجيد

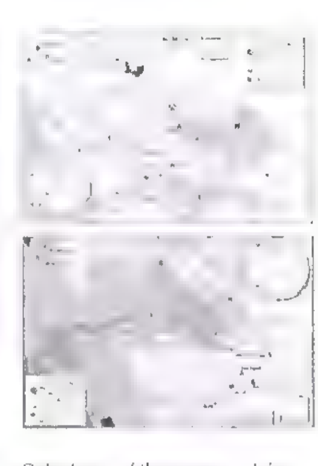
القانونية في مناطق الحكم الذاتي كانت كقدرة وسلطة رئيس الجمهورية نفسه..

وكان علي حسن المجيد حتى عام ١٩٦٨ عريفا في الجيش العراقي وبعد ذلك وبحكم قرابته من صدام نال الترقية أثر الترقية وقد وضع المجرم علي حسن المجيد خطة لإبادة الكرد وكانت هذه الخطة تتكون من ثلاث مراحل مرتبطة ببعضها ونفذت بأكملها، في البداية تم تنفيذ المرحلة الأولى في ثلاثة أشهر حيث سخر سلطته لحدود المناطق التي كان ينوي تنفيذ عمليات الإبادة فيها.

وفي المرحلة الثانية دمر جميع القرى التي كانت تحت سيطرة قوات (البيشمركه) والقرى التي كانت على الطرق الرئيسية وكان هدف علي حسن المجيد هو جمع الناس في المجمعات القسرية، وفي شهر حزيران سنة ١٩٨٧ تم اصدار بعض البيانات تدعو الى تسليم جميع أهالي القرى أنفسهم الى السلطات حتى يوم ١٩٨٧/٦/٢١ وقبل انتهاء المدة استطاعت قوات الجيش والجحوش من تدمير معظم القرى التي كانت تحت سيطرة النظام وترحيل أهلها وتجميعهم في بعض المجمعات، مثل (صمود، نصر، صدامية بازيان). لكنه لم يستطع الوصول الى المناطق المحررة.

وفي ١٩٨٧/٦/٢٠ أصدر أمراً يحمل رقم (٤٠٠٨/٢٨) الى قوات فيالق (الأول والثاني والخامس) وجميع الأجهزة الأمنية والحكومية حول كيفية التعامل مع أهالي القرى التي لم تطع الأوامر ولم تكن مستعدة للنزوح من القرى والعيش والسكن في المجمعات وذلك بعد ١٩٨٧/٦/٢٢ وهذا نص قرار علي حسن المجيد.





Select any of the maps on this page to view a full, detailed map. The first map presents an overview of the Anfal campaigns. The other seven maps show the settings of the individual Anfal campaigns.

الوثيقة الثانية

قيادة مكتب تنظيم الشمال
مكتب السكرتارية

العدد ٢٨/٤٠٠٨
التاريخ ١٩٨٧/٦/٢٠

من/ قيادة مكتب تنظيم الشمال
الى/ قيادة الفيلق الاول/ قيادة الفيلق الثاني/ قيادة الفيلق الخامس
م/التعامل مع القرى المحظورة امنيا

بالنظر لانتهاء الفترة المعلنة رسميا لتجميع هذه القرى والتي سينتهي موعدها يوم ١٩٨٧/٦/٢١ قررنا العمل ابتداء من يوم ١٩٨٧/٦/٢٢ بموجب ما يلي (١) تعتبر جميع القرى المحظورة امنيا والتي لم تزال لحد الان اماكن لتواجد المخربين عملاء ايران وسليلي الخيانة وامثالهم من خونة العراق (٠) (٢) يحرم التواجد البشري والحيواني فيها نهائيا وتعتبر منطقة عمليات محرمة ويكون الرمي فيها حرا غير مقيد بأية تعليمات ما لم تصدر من مقرنا (٠) (٣) يحرم السفر منها واليها او الزراعة والاستثمار الزراعي او الصناعي والحيواني وعلى جميع الاجهزة المختصة متابعة هذا الموضوع بجدية كل ضمن اختصاصه (٠) (٤) تعد قيادات الفيالق ضربات خاصة بين فترة واخرى بالمدفعية والسمتيات والطائرات لقتل اكبر عدد ممكن ممن يتواجد ضمن هذه المحرمات وخلال جميع الاوقات ليلا ونهارا واعلامنا (٠) (٥) يحجز جميع من يلقى عليه القبض لتواجده ضمن قرى هذه المنطقة وتحقق معه الاجهزة الامنية وينفذ حكم الاعدام بمن يتجاوز عمره (١٥) سنة داخلا صعودا الى عمر (٧٠) سنة داخلا بعد الاستفادة من معلوماته واعلامنا (٠) (٦) تقوم الاجهزة المختصة بالتحقيق مع من يسلم نفسه الى الاجهزة الحكومية او الحزبية لمدة اقصاها ثلاثة ايام واذا تطلب الامر لحد عشرة ايام لا بد من اعلامنا عن مثل هذه الحالات واذا استوجب التحقيق اكثر من هذه المدة عليهم اخذ موافقتنا هاتفيا او برقيا وعن طريق الرفيق طاهر العاني (٠) (٧) يعتبر كل ما يحصل عليه مستشارو افواج الدفاع الوطني او مقاتلوهم يؤول اليهم مجانا ما عدا الاسلحة الثقيلة والساندة والمتوسطة اما الاسلحة الخفيفة فتبقى لديهم ويتم اعلامنا باعداد هذه الاسلحة فقط وعلى قيادة الجحافل ان تنشط لتبليغ جميع المستشارين وامراء السرايا والمفارز واعلامنا بالتفصيل عن نشاطاتهم ضمن افواج الدفاع الوطني (٠) مكتبكم رئاسة المجلس التشريعي (٠) رئاسة المجلس التنفيذي (٠) جهاز المخابرات (٠) رئاسة اركان الجيش (٠) محافظو (رؤساء اللجان الامنية) نينوى ، التاميم ، ديالى ، صلاح الدين ، السليمانية ، اربيل ، دهوك (٠) امناء سر فروع المحافظات اعلاه (٠) مديرية الاستخبارات العسكرية العامة (٠) مديرية الامن العامة (٠) مدير امن منطقة الحكم الذاتي (٠) منظومة استخبارات المنطقة الشمالية (٠) منظومة استخبارات المنطقة الشرقية (٠) مدراء امن محافظات - نينوى ، التاميم ، ديالى ، صلاح الدين ، السليمانية ، اربيل ، دهوك (٠) يرجى الاطلاع والتنفيذ كل ضمن اختصاصه (٠) اشعارنا ،

(توقيع)
الرفيق
علي حسن المجيد

هذا أمر مسؤول مكتب الشمال لحزب البعث العربي يمثل الخطوة الأولى للمرحلة الثالثة من الخطة لمحو القومية الكردية في العراق، وأن وحدات الجيش العراقي قامت بتنفيذ الأمر بحذافيرها ولم تتورع حتى في استخدام الأسلحة الكيمياوية، وحسب تقرير منظمة (ميدل ايست ووج) بأنه تم خلال تلك الفترة شن اربعين هجوماً كيمياوياً على المناطق المحررة، وأن القتل والاعتقال والاستيلاء على الأملاك والأموال كانت من السمات المشروعة لكل قوة مسلحة تساهم في هذه العمليات في المناطق التي تسمى بالمحرمة.

وكان التعذيب والاعتقال يقابلان بالترحاب والتهنئة والتبريك، ومن هذه الوثائق واحدة تم العثور عليها في سنة ١٩٩١ وتتضمن كتاباً رسمياً للفيلق الأول مرسلا الى مكتب الشمال في ١٩٨٧/٧/٨ يتطرق الى اعتقال بعض الأشخاص ومن ثم إعدامهم، وطلبوا فيه رأي علي حسن المجيد في هذا الموضوع، حيث جاء الجواب من مكتب الشمال بعد اربعة أيام على كتاب الفيلق الأول.

الوثيقة الثالثة

حزب البعث العربي الاشتراكي
القطر العراقي
قيادة مكتب تنظيم الشمال
العدد / [illegible]
/ ٩ / ١٩٨٧

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة
(سري للغاية وشخصي)

الى / منظومة استخبارات المنطقة الشرقية

تحية رفاقية

الموضوع / شبكة [illegible]

كتابكم [illegible] في ١٩ ايلول ١٩٨٧

١) حصلت الموافقة على المقترحات الواردة بكتابكم أعلاه وحجز اموال المجرمين وهدم دورهم بعد تنفيذ حكم الاعدام [illegible]
٢) [illegible] حسن [illegible] خلال [illegible]
٣) يقدم الرفيق المناضل علي حسن المجيد مسؤول مكتب تنظيم الشمال الشكر والتقدير الى مدير المنظومة الشرقية والى كل من ساهم في هذه المهمة.

يرجى الاطلاع واتخاذ ما يلزم والاعلام ... مع التقدير.

طاهر [illegible]
مدير ادارة شؤون الشمال

أن السلطة المطلقة لعلي حسن المجيد وصلت الى حد استغراب وتعجب قادة الرتب العالية في الجيش العراقي، وأن ما يوجد في رأس هذا الرجل أمام الكرد هو نفس الشيء الذي يوجد في مخيلة صدام حسين، ولكن الفرق أن علي حسن المجيد كان يطبق ذلك عمليا، أن هذا الوحش الذي أطلقه صدام ضد الشعب الكردي يقول في احدى الأشرطة التي تم الاستيلاء عليها في السنة ١٩٩١ تعرف عليه الخبراء في مجال الأصوات من منظمة (ميدل ايست ووج) حيث ثبت انه صوت علي حسن المجيد الذي يعبر فيه عن نظرته للكرد، حيث يقول (في الصيف القادم لا يجب ان تبقى أية قرية هنا أو هناك، ما عدا المجمعات، ويقول علي حسن المجيد أيضا: ويجب علينا تجميعهم مثل الدجاجة حينما تضع فراخها تحت جناحها، لذا علينا جمع الناس في المجمعات ومراقبتهم ووضع الحراسة عليهم).

أمة عربية واحد ذات رسالة خالدة

حزب البعث العربي الاشتراكي

القطر العراقي

قيادة مكتب تنظيم الشمال

العدد/ ٥٠٨٣ (مكتب السكرتارية)

التاريخ ١٩٨٧/٧/١٢

(سري وشخصي)

الى: قيادة الفيلق الأول

تحية رفاقية

م/ إعدام مجرمين

كتابكم السري والشخصي ٣٥٢ في ١٩٨٧/٧/٨ علق الرفيق المناضل علي حسن المجيد - مسؤول مكتب تنظيم الشمال على ما جاء بكتابكم أعلاه ما يلي:

(ليس لدينا اعتراض على قطع رؤوس الخونة ولكن كان الافضل ارسالهم الى الأمن للتحقيق معهم ايضا "فلربما يجدون لديهم أمورا أخرى يستفاد منها قبل إعدامهم).

يرجى الاطلاع.. مع التقدير.

طاهر توفيق

سكرتير لجنة شؤون الشمال

نسخة منه الى/

قيادة فرع الرشيد العسكري

مديرية الاستخبارات العسكرية العامة

كتاب القيادة اعلاه، يرجى الاطلاع مع التقدير.

أن علي حسن المجيد كان سريعا في تنفيذ خطواته للمرحلة الثالثة من خطته لإبادة الكرد، وفي إحدى أشرطته المسجلة في ١٥ نيسان ١٩٨٩ يقول (في اجتماع مع رؤساء أركان الجيش طلب رئيس أركان الجيش مني أحد أفضل قادتنا بتأجيل الهجوم لمدة شهر فقلت له: أبداً لا أؤخره يوماً واحداً مطلقاً ومن الآن يجب ان يكون شعارنا الإبادة والتخريب والتدمير)، وبهذا الشكل تم حصار المناطق المحررة ويوما بعد يوم أصبح الحصار ضيقا وشديداً وانقطع الاتصال بين المدن والقرى التي كانت تحت سيطرة قوات البيشمركه، وان سكان المناطق المحررة تم الحكم بموتهم مسبقا، وفي بداية سنة ١٩٨٨ كان الجيش العراقي يحرز انتصارات متواصلة وفي القابل كان الجيش الايراني في حالة تراجع وهزيمة وفي

تلك الظروف كانت استعدادات علي حسن المجيد لهجمات الانفال في أواسط شهر شباط ١٩٨٨ قد أكملت، وفي ليلة ٢٤/٢٣ شباط ١٩٨٨ بدأت مرحلة إبادة الكرد القاطنين في مناطق سركلو وبركلو بالقرب من مقر قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني من قبل القوات البعثية المجرمة.

عملية الأنفال الأولى

من ١٩٨٨/٣/٢٣

(لماذا أتركهم يعيشون كالحمير لا يعرفون أي شيء، ولا أدري ماذا نستفيد من هؤلاء) أحد أقوال علي حسن المجيد ومن أقواله الأخرى: أن قوات البيشمركه عطلت وشاغلت ٤٠٪ من قدرات وقوات الجيش العراقي وخصوصا بعد فشل المفاوضات بين النظام البعثي والاتحاد الوطني الكردستاني، وان عدد البيشمركه للاتحاد الوطني كان في ازدياد كبير، ان المجرد علي حسن المجيد شن حربه ضد الاتحاد الوطني وقيادته قبل أي جهة أو حزب آخر، وما بين الساعة الواحدة والثانية ليلا من ليلة ٢٤/٢٣ شباط ١٩٨٨ قام الجيش العراقي بكل قوته بشن هجوم واسع النطاق على مناطق (ياخسمر وسركلو وبركلو) التي كانت مركز قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني ويعتبر هذا الهجوم الحلقة الأولى من عمليات الأنفال التي تم تنفيذها، وأن الجيش العراقي المؤلف من قوات بدر والقعقاع والمعتصم و(٤٨) فوجاً من الجحوش وقوات الأمن والاستخبارات والمخابرات والقوات الجوية والحرس الجمهوري قامت بالهجوم على وديان مناطق الجافايتي ومن ثلاثة محاور وكان الطريق الشرقي مفتوحا من جهة ايران، وبعد ثلاثة أسابيع من المعارك استطاعت القوات العراقية من احتلال مقر قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني.

استعمل الجيش العراقي جميع أنواع الأسلحة الثقيلة، ومنها السلاح الكيمياوي عن طريق المدافع والصواريخ، وكان يقود هذا الهجوم اللواء الركن سلطان هاشم الذي كان قائدا للفيلق الأول وأن ما جاء في تقرير منظمة (ميدل ايست ووج) بأن قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني لم تستعد لهذا الهجوم، ولكن ما يذكره (شورش الحاج) في كتاب (الأنفال والكرد والدولة العراقية) وهو احد المشاركين في صد ذلك الهجوم العفلقي حيث يقول ان قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني كانت قد اتخذت الاستعدادات اللازمة وذلك بعد وصول معلومات تفيد بأن النظام البعثي ينوي الهجوم على مقرات القيادة في وديان (دولي جافايتي) لذلك تم تجميع القوات الرئيسية لسرايا ومفارز المركز الثالث وقسم من قوات المركز الأول في وديان الجافايتي وبعض القوات الأخرى القريبة من المنطقة وكذلك يقول في كتابه (أن المركز الثاني الذي كان مقره في حدود تلك المنطقة قام بتهيئة جميع قوته، وقد شاركت الى جانب قوات الاتحاد الوطني الكردستاني في المعارك قوات الاحزاب الأخرى مثل الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي وحزب الباسوك وشاركت قوات هذه الاحزاب في صد الهجوم البعثي في ما يسمى بعمليات الأنفال الأولى).

قيادة مكتب تنظيم الشمال

مكتب السكرتارية

العدد ٤٠٠٨/٢٨

التاريخ ١٩٨٧/٦/٢٠

من/ قيادة مكتب تنظيم الشمال

الى/ قيادة الفيلق الأول/ قيادة الفيلق الثاني/ قيادة الفيلق الخامس

م/ التعامل مع القرى المحذورة أمنيا

بالنظر لانتهاء الفترة المعلنة رسميا لتجميع هذه القرى والتي سينتهي موعدها يوم ١٩٨٧/٦/٢١ قررنا العمل ابتداءً من يوم ١٩٨٧/٦/٢٢ صعودا بما يلي (١) تعتبر جميع القرى المحذورة امنيا والتي لم تزال لحد الآن أماكن لتواجد المخربين عملاء ايران وسليلي الخيانة وأمثالهم من خونة العراق (٠)(٢) يحرم التواجد البشري والحيواني فيها نهائيا وتعتبر منطقة عمليات محرمة ويكون الرمي فيها حراً غير مقيد بأية تعليمات ما لم تصدر من مقرنا (٠)(٣) يحرم السفر منها واليها او الزراعة والاستثمار الزراعي أو الصناعي والحيواني وعلى جميع الأجهزة المختصة متابعة هذا الموضوع بجدية كل ضمن اختصاصه(٠)(٤) تعد قيادات الفيالق ضربات خاصة بين فترة وأخرى بالمدفعية والسمتيات والطائرات لقتل أكبر عدد ممكن ممن يتواجد ضمن هذه المحرمات وخلال جميع الأوقات ليلا ونهارا واعلامنا(٠)(٥) يحجز جميع من يلقى عليه القبض لتواجده ضمن قرى هذه المنطقة وتحقق معه الأجهزة الأمنية وينفذ حكم الاعدام بمن يتجاوز عمره (١٥) سنة داخل صعودا الى عمر (٧٠) سنة داخل بعد الاستفادة من معلوماته وإعلامنا(٠)(٦) تقوم الأجهزة المختصة بالتحقيق مع من يسلم نفسه الى الأجهزة الحكومية أو الحزبية لمدة أقصاها ثلاثة أيام وإذا تطلب الأمر لحد عشرة أيام لا بد من إعلامنا عن مثل هذه الحالات وإذا استوجب التحقيق أكثر من هذه المدة عليهم اخذ موافقتنا هاتفيا أو برقيا وعن طريق الرفيق طاهر العاني (٠)(٧) يعتبر كل ما يحصل عليه مستشارو أفواج الدفاع الوطني أو مقاتلوهم يؤول اليهم مجاناً ما عدا الأسلحة الثقيلة والساندة والمتوسطة، أما الأسلحة الخفيفة فتبقى لديهم ويتم إعلامنا بأعداد هذه الأسلحة فقط وعلى قيادة الجحافل ان تنشط لتبليغ جميع المستشارين وأمراء السرايا والمفارز وإعلامنا بالتفصيل عن نشاطاتهم ضمن أفواج الدفاع الوطني(٠) مكرر رئاسة المجلس التشريعي(٠) رئاسة المجلس التنفيذي (٠) جهاز المخابرات (٠) رئاسة اركان الجيش(٠) محافظو (رؤساء اللجان الأمنية) نينوى، التأميم، ديالى، صلاح الدين، السليمانية، اربيل، دهوك(٠) أمناء سر فروع المحافظات أعلاه(٠) مديرية الاستخبارات العسكرية العامة(٠) مديرية الأمن العامة(٠) مدير أمن منطقة الحكم الذاتي(٠) منظومة استخبارات المنطقة الشمالية(٠) منظومة استخبارات المنطقة الشرقية(٠) مدراء أمن محافظات ـ نينوى، التأميم، ديالى، صلاح الدين، السليمانية، اربيل، دهوك(٠) يرجى الاطلاع والتنفيذ كل ضمن اختصاصه(٠) انبؤنا.

توقيع

الرفيق

علي حسن المجيد

ان حجم الهجمات وسعة طول حدود الجبهات كان جديدا على قوات البيشمركه التي لم تكن قد خاضت مثل هذا النوع من المعارك ولتخفيف الخسائر استطاع بعض البيشمركه من انقاذ انفسهم وعوائلهم وكثير من اهالي القرى وايصالهم الى الحدود ما بين العراق وايران، ما عدا بيشمركه مناطق كرميان الذين عادوا الى مناطقهم للدفاع عنها، يقول احد البيشمركه في حدود منطقة كرميان وفي عملية الانفال الاولى وبعد احتلال مقر قيادة الاتحاد الوطني انهم كانوا يؤمنون بأنهم قادرون على الدفاع والصمود بوجه القوات البعثية وهذا ما دفعهم الى العودة الى مناطقهم،

حيث ان قسما ضئيلا من سكان القرى الكردية تمكنوا من العبور الى ايران وتم اسكانهم في مجمعات وبعضهم جاء الى السليمانية ولكن بعدما تم القاء القبض عليهم من قبل الاجهزة الحزبية والامنية، تم بعد ذلك ابادتهم ومحوهم وهذا المصير شمل جميع من كان تحت نفوذ النظام البعثي، وخصوصا في ١٩٨٨/٣/١٦ اي (قبل انتهاء عملية الانفال الاولى بثلاثة ايام) حيث تم قصف مدينة حلبجه بالاسلحة الكيمياوية وقتل (٥) الاف مواطن وان جريمة قصف حلبجه كانت محاولة من المجرم علي حسن المجيد للقمع والارهاب وزرع الرعب في قلوب الناس، وكان لكارثة حلبجه تأثير كبير على نفسية الشعب الكردي وكان لها بعد كبير في لهجرات الاخرى وخاصة في الهجرة الجماعية عام ١٩٩١ حيث ظهرت اثارها، ان كارثة حلبجه الشهيدة جعلت صدام حسين ينفذ هدفه في احتلال مقر قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني في ١٨ مايس والذي وصفه بـ(رأس الافعى) وتم اعلان نبأ الانتصار في يوم ١٩٨٨/٣/١٩ في وسائل الاعلام الرسمية.

الانفال الثانية

(سوف اجعل هذه المنطقة الواسعة والكبيرة ممنوعة ومحرمة ولا ابقي فيها على احد، وماذا يعني لو جعلنا تلك المنطقة محرمة من قرداغ الى كفري الى ديالى الى دربنديخان الى السليمانية) من اقوال المجرم علي حسن المجيد.

المنطقة الثانية بعد مقر قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني والتي كانت لها اهمية عند النظام البعثي هي منطقة قرداغ، وكانت هذه المنطقة مهمة جدا عند الاتحاد الوطني لأنها كانت حلقة وصل بين معظم قوات الاتحاد الوطني، وكان يوجد فيها مقر المركز الاول للاتحاد الوطني ومقر الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي والحركة الاسلامية وحزب الباسوك الذين كانوا قد اعلنوا الجبهة الكردستانية، وفي بداية الثمانينيات كانت سيطرة الاتحاد الوطني الكردستاني في مناطق قرداغ تزداد يوما بعد يوم، بل ان في سنة ١٩٨٧ استطاع الاتحاد الوطني من بسط سيطرته على المنطقة وناحيتها بالكامل، وحسب بعض الوثائق التي تركت من قبل علي حسن المجيد يؤكد فيها على انه لا يبقي على احد في هذا الصيف ليمتلك المنطقة.

وفي صبيحة يوم ١٩٨٨/٣/٢٢ وبعد ثلاثة ايام على انتهاء عملية الانفال الاولى قام الجيش العراقي بقيادة اللواء الركن اياد خليل زكي بالهجوم على مقر المركز الاول للاتحاد الوطني الكردستاني من المحاور التالية:

١. من دربنديخان الى جبل طولان وكاني سارد وكاني زرد وبلكجار وسيوسينان.

٢. من هشرزور الى زله ره ش وبردكه وناوتاق.

٣. من البرج الى منطقة قرداغ.

٤. من كرده سي وميريا سييوه الى كلزه رد، زركويز، داره ره ش.

وحسب البيان المرقم (٣١٠٩) كانت القوات العراقية المسلحة التي شاركت في هذا الهجوم تتألف من القوات الاتية:

١. لقاوات والالوية المرتبطة بقيادة قوات اسامة بن زيد.

٢. قيادة قوات جحافل الدفاع الوطني الاول (الجحوش).

٣. آمرية جحافل للدفاع الوطني الثالث (الجحوش).

٤. آمرية السرية العسكرية في قرداغ.

٥. جميع الافواج الخفيفة التي شاركت في عملية الانفال الاولى، من عدا الامن والاستخبارات والقوة الجوية والمدفعية.

وحسب اقوال معظم بيشمركه حدود المركز الاول للاتحاد وبسبب مشاركتهم في معارك الدفاع عن مقر قيادة الاتحاد الوطني في عملية (الانفال الاولى) كان عدد البيشمركه المشاركين في حدود المركز الاول قليلا، ولكن كانت هناك الوحدة العائدة للمركز الاول مع مجموعة من المفارز والاعضاء والكوادر والبيشمركه الذين لم يشاركوا في الانفال الاولى وبعض البيشمركه القادمين من معركة الدفاع عن مقر قيادة الاتحاد والذي جاءوا الى منطقة قرداغ وبعض المتطوعين من قوات الدفاع الشعبي وقرابة ١٠٠ الى ١٥٠ بيشمركه من الاتحاد الوطني والحزب الديمقراطي و(٢٠٠) بيشمركه من الحزب الشيوعي والحركة الاسلامية شاركوا في معارك الانفال الثانية.

وكبقية المعارك الاولى من الانفال استخدم النظام البعثي وبدون اي خوف او تردد الاسلحة الكيمياوية ضد البيشمركه واهالي القرى، وان المقاومة كانت كبيرة قياسا الى حجم القوات العراقية واستمرت المعارك لمدة اسبوع، تمكن النظام البائد من بسط سيطرته على منطقة قرداغ بالكامل ومهد الطريق لتنفيذ الانفال الثالثة، تم اعتقال ونفي معظم الناس والعوائل خصوصا الذين اتجهوا الى اسفل قرداغ وان عددهم كان كبيرا جدا خاصة تلك العوائل التي اتجهت الى كرميان حيث لم يظهر لهم اي اثر ولم يعرف عن مصيرهم شيء.

الانفال الثالثة

من ٧ الى ٢٠ نيسان ١٩٨٨

(بالسلاح الفتاك الجديد سوف اقتلكم، بهذا الاسلوب هددهم واجبرهم على الاستسلام في ذلك الوقت، وسوف يرون بان جميع السيارات لا تسعهم ليركبوا فيها). من اقوال المجرم علي حسن المجيد في ١٥ نيسان ١٩٨٨. بخطة وحشية وبلا رحمة تم الهجوم على منطقة كرميان، هذا عدا ان الجيش العراقي في اثناء هجومه على كرميان كان يحرز انتصارات الى الجبهات الاخرى من الحرب مع ايران، وان حدود الهجمات لعملية الانفال الثالثة والتي كانت بقيادة (بارق عبدالله الحاج حنطة) وتشمل كركوك ــ طوز

خورماتو ـ مفري ـ كلار ـ دربنديخان ـ سلسلة جبال قره داغ ـ تكة ـ جمجمال).

وعندما ننظر الى هذه الاسماء نرى ان اوسع الحدود التي شملتها عمليات الانفال هي انفال كرميان التي بلغت حدود القرى التي شملتها (١٢٠٠) قرية محررة وان احدى الخصوصيات في انفال كرميان انه لم يستعمل فيها السلاح الكيمياوي ولكن كانت اكبر الخسائر من الناحية البشرية اصابت الكرد خلال الايام الثلاثة عشر من الانفال الثالثة، ومع اختلاف الحالة في الانفال الاولى والثانية لم يكن الناس والبيشمركه لهم اي طريق للعبور ومع هذا لم يكن الناس ولا البيشمركه على استعداد لتسليم انفسهم بسهولة للنظام البعثي، ولهذا نرى انه في الانفال الثالثة قام بيشمركه الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الشيوعي واطراف الجبهة الكردستانية وقوة الدفاع الشعبي بالتصدي بكل قوة للهجوم الواسع لجيش النظام البعثي، ما اثار استغراب وتعجب قادة البعث الذي لم يكن يتوقع كل هذه المعنويات الكبيرة للناس والبيشمركه. وفي يوم ٤/١٣ كانت هجمات الجيش العراقي والجحوش بشكل لم يكن معها بالامكان الاستمرار بالمقاومة ومن جميع الجهات كان الجيش يشن هجماته والجحوش يتقدمونهم مما اصاب الناس بالهلع واتجهوا نحو الشوارع الرئيسية ولكن الجيش والجحوش كانوا يحرقون القرى اثناء مرورهم بها وكانوا ينصبون الكمائن لاعتقال اكبر عدد من اهالي كرميان، وكانت اكبر حملة اعتقال في يوم ١٩٨٨/٤/١٤ وان سبب تحديد يوم ١٤ نيسان يعود لهذا السبب،وفي ذلك الوقت انسحب البيشمركه الى حدود منطقة كويسنجق حيث المركز الثالث للاتحاد الوطني الكردستاني، ومن الاسباب الرئيسية التي دفعت علي حسن المجيد لاعتقال اكبر عدد من اهالي منطقة كرميان هو لبسط سيطرته على كرميان وترويع اهلها، ومع كل القوة التي استخدمها الجيش العراقي للسيطرة على كرميان ولكن مع هذا ظل البيشمركه يقاومون هذه السياسة من خلال المفارز السرية الذين بقوا في كرميان حيث مهدوا الطريق لقيام انتفاضة آذار عام ١٩٩١ المباركة.

الانفال الرابعة

من ٣ الى ٨ ايار ١٩٨٨

(الله وحده يمكنه ان يفعل اكثر منك، وانت تستطيع ان تفعل اي شيء، انه حزب البعث وتستطيع ان تفعل انت كل شيء).

قول ابو محمد وهو احد البعثيين من ازلام المجرم علي حسن المجيد.

بعد انتهاء الانفال الثالثة واعتقال الآلاف من الناس وتجمعهم في بعض المجمعات مثل مجمع (طوبزاوه) صدرت في ذلك الحين كتب من مكتب الشمال الرقم (٤٣٤) في ١٩٨٨/٤/١٢ يوضح فيها تعليمات حول البيشمركه الذين يقومون بتسليم انفسهم وحسب برقية امن اربيل التي ارسلت الى جميع اقسام وفروع الامن في حدود محافظة اربيل ويتضمن نص الكتاب الذي ارسله مكتب الشمال والذي يذكر نقطتين رئيسيتين وهما:

١. حجز واعتقال البيشمركه الذي سلموا انفسهم في غير مناطق عمليات الانفال الاولى والثانية

والثالثة في معسكرات خاصة حتى اشعار اخر، والذين يسلمون انفسهم الى افواج الدفاع الوطني يتم اعتقالهم عند الاجهزة العسكرية.

٢. ان هذه التعليمات لا تشمل البيشمركه الذي يسلمون انفسهم في مناطق القتال مثل حوض سركلو وبركلو التي دارت فيها معارك الانفال الاولى لا تشملهم هذه التعليمات بل يجب التعامل معهم حسب البرقية المرقمة (٤٢٩) وارسالهم الى دوائر الامن البعثية.

ان برقية علي حسن المجيد كان فيها تغيير جذري في كيفية التعامل مع البيشمركه والناس من اهالي المنطقة لان يتكلم عن معسكر خاص لقتل وابادة مجاميع البيشمركه والناس واصبح منهجا رسميا يتم تنفيذه، وقد شن النظام البعثي حملات ضد الذين لم يسلموا انفسهم واختفوا في المدن، وبعد احتلال كرميان توجه البيشمركه نحو حدود الانفال الرابعة وكان النظام البعثي مثل الافعى التي تلتف حول البيشمركه وان المدعو (بارق عبدالله الحاج حنطة) والذي قتل بيد صدام بعد حرب الكويت كان اكثر تعصبا في تنفيذ اوامر علي حسن المجيد، وفي مساء ٣ آيار ١٩٨٨ تم تنفيذ الهجوم في عملية الانفال الرابعة على قرية (كوبتبه) وعسكر وتم قصفهما بالاسلحة الكيمياوية من نوع الغاز السام الخانق، ولقد ذكر شورش الحاج رسول في كتاب (الانفال والكرد والدولة العراقية) محاور الهجوم الرابع على الشكل الاتي:

١. من اغجلر نحو كوبتبه وعسكر الى قاميش.
٢. من سوسيوه نحو كلشير وجمي ريزان.
٣. من شارع سورداش نحو شيل خاك وعودالان.
٤. من دوكان نحو كلكله سماق وبوكد وكليسه.
٥. من خلكان نحو هيبت سلطان وكانيكورد، وداوده.
٦. من كويسنجق نحو اسكي كويسنجق وشوكير وتيماروك.
٧. من طق طق نحو باغه جير ومرتفعات تكلتو.
٨. من طق طق نحو اني له له وعمر كومبت وسيكرتكان.
٩. من التون كوبري نحو قشقه وخور خور.
١٠. من شيوه سور نحو عمر مندان وتركمان باغ.
١١. من شارع شوان الى طق طق نحو شيخ بزييني سرو وهواره.
١٢. من جمجمال نحو توركي وتزيليان.

ومن هنا يتضح لنا ان حدود عملية الانفال الرابعة شملت مناطق كركوك وآلتون كوبري وديتكه ــ كوينسجق وخلكان ودوكان وسورداش وتكيه وجمجمال، انظر خطة الانفال الرابعة.

وقد استعان النظام البعثي بقوات جديدة ما عدا القوات التي شاركت في الانفال الاولى والثانية والثالثة. مع العلم ان خطة البيشمركه كانت هي الانسحاب الى مناطق خوشناو، ولكن مجموعة من البشمركه اصرت على البقاء في المنطقة بشكل سري وخوض معارك حرب العصابات والكر والفر لكي يفسحوا المجال للناس من اجل العبور والفرار والنجاة.

ويذكر (شورش الحاج رسول) في كتابه (ان مفارز بيشمركه منطقة كرميان وشهرزور خاضوا معارك

شرسة ضد قوات النظام من قوات حماية النفط وقوات البيشمركه) ولكن العدو لم يستطع ان يتقدم في تلك المعركة التي ادت الى استشهاد مئات الاشخاص وتم اعتقال الآلاف من الناس وما زال مصيرهم لحد الان مجهولا وبعد انتهاء الانفال الرابعة في ٨ آيار ١٩٨٨ لم يبق اي تواجد للناس والبيشمركه في المناطق التي كانوا يتواجدون فيها في حدود منطقة كركوك والسليمانية عدا قلة من البيشمركه بقيت في تلك المنطقة بصورة سرية.

القسم الثالث والأخير

الانفال الخامسة والسادسة والسابعة

مناطق شقلاوة وراوندز /٥ آيار ـ ٢٦ آب ١٩٨٨

(الحقيقة ان ما قمنا بتنفيذه شيئاً لم يتمكن من تحقيقه الحزب او القيادة حتى سنة ١٩٨٧)

علي حسن المجيد

٢٦/٥/١٩٨٨ .

مرت على عمليات الانفال الاولى ثلاثة اشهر، استطاع النظام البعثي من تدمير مقرات الاتحاد الوطني الكردستاني ومقرات الاحزاب المتواجدة في حدود مناطق كركوك والسليمانية في عمليات الانفال الثانية والثالثة والرابعة بنسبة ٩٩٪ ما عدا بقاء بعض المفارز في المنطقة بشكل سري، حيث قام النظام بتدمير جميع القرى والنواحي بشكل كامل ولكن في حدود مناطق اربيل كانت روح المقاومة والدفاع عالية وفي ٨ آيار اثناء انتهاء الانفال الرابعة كان المركز الثالث لتنظيمات الاتحاد الوطني الكردستاني على علم بان المجرم علي حسن المجيد سوف يشن هجومه عليهم لذلك قاموا بأخذ الاحتياطات اللازمة وتأمين وتجميع انواع الاسلحة والعتاد واخفائها في الجبال والمغارات استعدادا لمعركة طويلة الامد وقامت مفارز المركز الثالث للاتحاد الوطني الكردستاني وقسم من مفارز ٢١ كركوك ومفارز ٢٥ خالخالان وبعض مفارز المركز الاول ومفارز مركز الجماعة (كومه له) ومفارز مؤسسة البيشمركه والمكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني. قامت هذه المفارز والمجاميع بترتيب مواقع للدفاع وصد الهجوم للنظام البعثي، والى جانب هذه القوات كانت هناك قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الاشتراكي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي وحزب الشعب والحركة الاسلامية الذي كانت لهم مقرات في تلك المناطق حيث قامت جنبا الى جنب مع قوات الاتحاد الوطني الكردستاني بحفر السواتر وتحصينها استعدادا لمعركة طويلة الامد لكن الفرق بين الهجوم للنظام قياسا الى هجمات الانفال الاولى والثانية والثالثة والرابعة عند البيشمركه هو ان عدد الناس المدنيين كان اقل ضمن حدود مناطقهم، وحسب المعلومات التي جاءت في تقرير منظمة ميدل ايست ووج التي قامت بتدوينها، ان سبب قلة عدد الناس المدنيين في تلك المناطق انه في سنوات ١٩٧٧ و١٩٨٣ و ١٩٧٨ و ١٩٨٤ تم اخلاء المناطق الحدودية المحيطة بمحافظة اربيل، وفي هجمات نيسان ١٩٨٧ تم اخلاء سهول جنوب راوندز من قبل اهالي المنطقة، وبعد سبعة ايام من انتهاء الانفال الرابعة قام النظام بتوجيه قواته للهجوم على المناطق الجبلية لاصعبة في راوندوز وشقلاوه، وقام من اجل هذا الغرض

بتجميع قوة كبيرة مؤلفة من قيادة قوات ٣٧ ــ الفرقة الخامسة ــ الفرقة ٤٦ ــ الفرقة ٤٥ القوة المتجحفلة للفرقة الثانية ـ اللواء ١١٩ العائدة للفرقة الثانية ـ لواء ٦٦ قوات خاصة العائدة للفرقة الثانية ـ اللواء الاول مغاوير ــ الفيلق الخامس ــ اللواء ٣٦ الفيلق الخامس الالوية ١٩ ـ ٩١ ـ ٤٥٢ العائدة للفرقة ٣٧ الفيلق الاول ــ الالوية ٧٦ ــ ٨٢ ــ ٩٨ العائدة للفرقة ٤٠ ـ اللواء ٤٥٢ العائدة للفرقة ٣٧ ـ الالوية ٤٢٠ ـ ٧٠٢ لواء ١١٦ ـ لواء ٤٣٤ ـ وافواج المغاوير ١ ــ ٢ العائدة للفرقة الثانية ـ الفوج الاول مغاوير العائدة للفرقة الاولى ـ فوج المشاة ٣٦ ــ لواء الدبابات ٨٠ ــ كتيبة مدرعات ٧ نيسان ــ كتيبة مدرعات احفاد الكرار ـ من عدا القوات العسكرية كانت هناك افواج قوات الجحوش المؤلفة من الافواج الاتية ٤٦ ــ ١٣٧ ــ ٤٢ ـ ٧٩ ـ ٩١ ـ ١٤٠ ـ ١٧٥ ــ ٢١٤ ــ ٢٣٨ ــ ٢٤١ ــ ١٨١ ــ ٦٩ ـ ١٠٢ ـ ١٠٤ ـ ٣١٨ ـ ٨٣ ـ ١٢٤ ـ ١٣٦ ـ ٢٤٩ ـ ٢٠٤ ــ ٢١٢ ـ ٢٥٩) تم تحضيرهم للقيام بلهجوم في عمليات الانفال الخامسة والسادسة والسابعة.

كانت البداية الاولى للانفال الخامسة والسادسة والسابعة في مساء متأخر ليوم ١٩٨٨/٥/١٥ حيث تم شن هجوم على قرية (وه رتي) في ذلك المساء من ليالي رمضان الاخيرة قامت طائرتان حربيتان للقوة الجوية العراقية بقصف عنيف للقرية وقتلت العديد من الاطفال والنساء والفلاحين من اهاليها وبعد هذا الهجوم الجوي لم يحدث شيء لمدة اسبوع.

ولكن في ٧/٣٢ تم قصف مناطق باليسان وهيران والسهول والوديان التابعة لها بالاسلحة الكيمياوية من قبل القوة الجوية العراقية، ذلك القصف والهجوم الكثيف كانا مشابهين الى حد ما للقصف والهجوم من الخطوط الامامية لجبهة القوات الحرب العراقية ــ الايرانية وفي اليوم التالي قامت لاقوات البرية للجيش العراقي وافواج الدفاع الوطني (الجحوش) بالهجوم من ثلاثة محاور على المناطق المحررة وقد هرب اهالي القرى خوفا من هجمات بالاسلحة الكيمياوية وتركوا اموالهم واغراضهم وانقسموا الى ثلاث مجموعات، مجموعة منهم التجأت الى ايران ومجموعة وصلت الى مجمع (حاجي اوا) واطرافها والمجموعة الثالثة بقيت مع البيشمركه في الجبال والوديان وكان مصير المجموعة الثالثة الاعتقال والموت على يد الجيش العراقي، وبعد هذا الهجوم قامت الطائرات العراقية لمدة ثلاثة اشهر بقصف المناطق المحررة، وبسبب المقاومة الكبيرة لقوات البيشمركه لم تستطع الحكومة من احتلال المركز الثالث بسهولة ومن المرحلة الاولى لخطتها وكسر شوكة البيشمركه بل على العكس كانت انكسارات الجيش والجحوش وفشل الهجمات واضحة من برقيات جبهة المعركة الى القيادة وفي وسط حزيران من تلك السنة وصل الاستاذ مام جلال بزيارة الى امريكا من اجل توضيح صورة الوضع الحقيقي الذي يمر به الشعب الكردي عى يد النظام العراقي من عمليات ابادة، حيث تم عقد عدة اجتماعات مع المسؤولين في وزارة الخارجية الامريكية وكذلك عقد عدة مؤتمرات صحفية مع بعض القنوات الفضائية من اجل شرح حال الشعب الكردي والظروف التي يمر بها، ولكن ظروف الحرب الباردة لم تكن في مصلحة الكرد، ان روح المقاومة

والدفاع عند البيشمركه المركز الثالث كانت كبيرة الى درجة ان صدام حسين نفسه تدخل على خط الصراع الكردي والمجرم علي الكيمياوي، وخصوصا بعد ان قبلت ايران في ١٧ تموز ١٩٨٨ قرار الامم المتحدة رقم ٥٩٨، ان موقف ايران من الكرد يشبه الى حد كبير موقفها سنة ١٩٧٥ لانه لم يراع الوضع الكردي وتم تسوية الوضع دون الرجوع الى رأي الكرد وتم وضع نهاية للحرب من قبل طرف واحد واعطى نصرا كبيرا وذهبيا على صدر الجيش العراقي بدون الاخذ بنظر الاعتبار بان القوات المسلحة العراقية سوف تطلق يدها في تدمير وقتل الكرد، وفي ٢٦ تموز ١٩٨٨ اصدر المركز الثالث قرارا بالانسحاب المنظم نحو الحدود وفي ٢٨/آب انسحبت قوات البيشمركه بالكامل من المنطقة، وفي نفس اليوم توجهت القوات البرية العراقية صوب المناطق التي انسحبت منها قوات البيشمركه والتي لم تكن تتوقع ان يتم اخلاؤها في مناطق شقلاوه وروانذز ودمرت ومسحت جميع القرى وجعلتها مع الارض واستعدوا لتنفيذ الانفال الثامنة.

الانفال الثامنة والنهاية (بادينان)

٢٥ آب الى ٦ ايلول ١٩٨٨

تمنيت طوال عمري لوحدة الكرد، ولكن فقط في الانفال تعامل حزب البعث بشكل واحد مع الكرد /مام قادر/ احد بقايا انفال كرميان.

في ٢٥ آب وبعد مرور ١٧ يوما على اعلان وقف اطلاق النار بين العراق وايران اصبحت قوات الاتحاد الوطني الكردستاني في حدود المركز الثالث في مواجهة شديدة مع جيش النظام البعثي، وعندها لم يتحمل علي حسن المجيد هذه المواجهة وشن هجوما واسعا على بادينان وان القوات التي تم اعدادها لشن هذا الهجوم مؤلفة من:

* فرقة المشاة الرابعة المؤلفة من ٦ الوية من كاني نحو رشا وجبل مشينه وهذه الفرقة كان معها ٢١ فوج جحوش.

* فرقة المشاة رقم ٧ والتي تشمل ٥ الوية و ٢٦ فوج جحوش وبعض كتائب المدفعية والدبابات من بيكوفوه نحو جبل متين.

* فرقة المشاة رقم ٣٥ والمؤلفة من ٦ الوية و ٢٦ فوج جحوش وكتيبة المدفعية والدبابات من شمدينانوه باشرت بالهجوم.

* قوات قيادة ٤٥ والمؤلفة من ٣ الوية و ١٢ فوج جحوش وبعض كتائب المدفعية والدبابات حيث شنت هجومها من محور شيروان وبارزان.

* قيادة الجحافل الوطنية الخامسة واربعة الوية شنت هجومها من محور دينارته وبلو مع ١٤ فوج جحوش وبعض كتائب المدفعية والدبابات.

* الفرقة ٤١ مشاة والمؤلفة من ٣ الوية و ١٥ فوج جحوش من سرسنكو نحو رزكه وجبل كارا شنت هجومها.

* قوات ٢٨ الفيلق الخامس المؤلف من اربعة الوية و ٢٠ فوج جحوش شنت هجومها من زاخو نحو كلناسكي.

* فرقة مشاة رقم ٤٢ المؤلفة من ٥ الوية و ٢١ فوج جحوش مع وحدة مدفعية دبابات شنت هجومها معه محور تروش وسواره توكه.

ان القسم الاكثر من القوات المشاركة في انفال بادينال كان من القوات المشاركة في جبهات الحرب

العراقية - الايرانية والتي جاءت منها الى كردستان، وقد جمع النظام بعض المعلومات قبل بدء هجومه حول عدد البيشمركه المتواجدين في المنطقة، وكان الجيش العراقي يعتقد ان قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني في المنطقة التي كان يعد العدة للهجوم عليها تتراوح بين (١٨٠٠) الى (٢٠٠٠) بيشمركه وعدد بيشمركه الاتحاد الوطني الكردستاني بين (٢٥٠) الى (٣٠٠) والحزب الشيوعي (٢٠٠) بيشمركه و (٧٠) بيشمركه لحزب الشعب وعلى هذا الاساس اخذ الجيش العراقي احتياطه بحيث استعد لمقاتلة (٣٠٠٠) بيشمركه لكن حقيقة الوضع تشير الى ان هناك عدة احزاب اخرى في المنطقة مثل الحزب الاشتراكي الكردستاني الذي كان يبلغ عدد البيشمركه لديه (٣٠) بيشمركه مع تواجد للحركة الاسلامية وحزب الله اللذين كان يبلغ عدد قواتهما (٤٠٠) بيشمركه وكعادة اي هجوم من هجمات الجيش العراقي على المناطق المحررة ومنها عمليات الانفال في بادينان فانها بدأت بقصف الوديان والقرى بكافة انواع الاسلحة وكان الهدف هو تحطيم وتدمير الروح المعنوية للبيشمركه واهالي المنطقة الذين قرروا الصمود والدفاع عن المنطقة، ولكن الهجوم اسفر عن تدمير (٤٥) قرية في بادينان عن طريق قصفها بالاسلحة الفتاكة ومنها السلاح الكيمياوي وخصوصا غاز الخردل السام. وان هذا القصف ارعب البيشمركه والناس على السواء واخذوا ينقذون انفسهم، وان القصف الكيمياوي وصل الى حد بان طلبت قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني من قواتها عدم الاستمرار في المقاومة لانه لا يمكن التصدي للغازات والاسلحة الكيمياوية، وفي ٢٦ آب لم تبق اي مقاومة امام الجيش العراقي والجحوش، وفي ٢٨ آب سيطر الجيش والجحوش على القرى والوديان والجبال بدون مقاومة، علما بان الجيش العراقي عمل الكثير من اجل تضييق الخناق على الكرد وضبط الحدود العراقية - التركية لكي لا يتمكن احد من النجاة والعبور الى تركيا ولكن لم تنجح خطة الجيش وتمكن اكثر من (٦٥) الف الى (٨٠) الف من عبور الحدود ومع مساعدة البيشمركة للناس من اجل شخص تسهيل عبورهم للحدود، لان جميع طرق المرور كانت محاصرة مما ادى الى وقوع الكثير من الناس في قبضة الجيش وتم اعتقالهم ومازال مصيرهم مجهولا الى الان.

وفي ٦/ايلول/١٩٨٨، وبهذا الشكل تمكن الدكتاتور صدام حسين للمرة الثانية من تصفية القضية الكردية في العراق لفترة من الوقت عن طريق سفاك الدماء ابن عمه علي الكيمياوي وبسط سيطرته على معظم كردستان، ولكن فرق الثورة الكردية عن باقي ثورات الشعوب هي انها لم تخمد روحها المعنوية وان روح المقاومة فيها كبيرة وقوية، وان انتفاضة ١٩٩١ لدليل قاطع على هذه الحقيقة وبعد كبت الحركة الكردية عادت مرة اخرى روح المقاومة وحرروا معظم جنوب كردستان والنتيجة بعد صبر وتحمل واستراحة طويلة تم ازالة جميع المعاناة في ٢٠٠٤/٣/٩ حيث تم محو وتصفية سلطة دكتاتور بغداد بمساعدة حلفائنا وسقط مع باقي جلادي الانفال الذين ينتظرون حاليا محاكماتهم..

المصادر:

١. منظمة ميدل ايست ووج، جينوسايد في العراق - ترجمة/ محمد حمه صالح توفيق

٢شورش احاج رسول/انفال الكرد ودوله العراق.

٣. بعض مقابلات الكاتب مع البيشمركه المشاركين في المعارك ضد قوات الجيش العراقي في عمليات الانفال.

* رئيس تحرير مجلة الانفال.

شخصيات كردية

الملا عبدالكريم المدرس

غواص بحر العلم والادب

ابراهيم باجلان

علم بارز من اعلام الكرد تتباهى الامم بامثاله وتفخر، وواحد من علماء الدين الافاضل كرس حياته لخدمة الفقه والعلم والادب ونشر الابحاث والتحقيقات الموثوقة عن الشعراء والادباء الكرد وتحقيق نتاجاتهم، تخليدا لذكراهم وحفظ اثارهم من الضياع والنسيان واثار الاقدمين كما يقول توفيق الحكيم (اثار الاقدمين الخالدة من كتب ومعارف وفنون هي القوارب والمراكب التي نصعد بها مستكشفين منقبين في منابع نهر الحياة الكبير) وهو وكما كتب في كتابه (علماؤنا في خدمة العلم والدين). انا عبدالكريم بن محمد المتولد في قرية (تكية) على مقربة من مركز ناحية خورمال، ابن فتاح ابن مصطفى ابن محمد من عشيرة (هوزقاضي) ولدت في شهر ربيع الاول في موسم الربيع سنة الف وثلاثمائة وثلاث وعشرين هجرية ١٩٠٢ ميلادية. تلقى بدايات العلوم الدينية وختم القرآن في حياة والده.

ثم واصل دراسته الدينية واخذ العلوم عن فطاحل علماء السليمانية من امثال (القرداغي) وغيره من الاساتذة والجهابذة المعدودين مثل العلامة الشهير (الشيخ عمر القرداغي) المدرس بالتكية الخالدية في السليمانية، وبعد ان منحه الاجازة بتدريس هذه العلوم لازم مدرسة تكية الشيخ علاءالدين النقشبندي في بياره. وكما كتب عنه مؤلف كتاب تأريخ مشاهير الالوية العراقية (لواء السليمانية) عبدالمجيد فهمي حسن سنة ١٩٤٦ اي قبل ستين عاما: فضيلة الملا عبدالكريم بن محمد، رجل من افاضل رجال العلم وفقيه، اشتغل بتدريس هذه العلوم وهو لم يزل دائبا على توجيه تلامذته التوجيه العلمي الصحيح وقد الف عدة كتب ورسائل في هذا الشأن وقد اصاب مؤلف كتاب لواء السليمانية كبد الحقيقة حيث قال عنه: وهو وقور يمشي وحلال العلم والتقشف يحف به لايرى من دنياه الا ان يؤدي واجبه تجاه الرسالة الاسلامية.

عاش الفقيد الراحل حياة طويلة ناهزت القرن الواحد من الزمن حياة مليئة بالثمار اليانعة من المؤلفات القيمة باللغات الكردية والعربية والفارسية، وكل من يتأمل نتاجاته ويمعن النظر فيها يلاحظ وبلا

عناء طول باعه وعلو كعبه في هذه اللغات ومعرفته العميقة لاساليبها البيانية وكلها تدل على سعة اطلاعه على مفردات اللغة وقواعدها وتمكنه منها فاللغة طوع بنانه يضع منها ماشاء ويصوغ منها مايوحي اليه فكره الواسع وخياله العميق وهو الذي وصف نتاجات الشاعر الكلاسيكي الكردي مولوي بهذا. وكان مع معاناة شعبه لانه عاش في القرى والارياف الكردستانية طلبا للعلم او لاجل التدريس الى جانب تجواله في المدن والقصبات المختلفة واختلاطه بالناس، وعانى كافراد شعبه من ويلات الحرب العالمية الاولى، ولما ظهرت بادرة القحط ترك السليمانية وقفل راجعا الى هورامان، ودخل مدرسة خانقاه (دورود) في ادارة حضرة الشيخ علاء الدين عثمان سراج الدين. الذي اهتم به ورعاه رعاية ابوية وظل هناك يدرس النحو والمنطق وداب البحث والتشريح في الفلكيات والفقه. وكما ذكرنا تلقى العلوم الدينية عند نخبة من علماء زمانه من امثال العالم الجليل الملا محمد سعيد العبيدي، والعالم الفاضل ملا محمود بالكي، حتىنال الاجازة العلمية على يد العلامة الشهير الشيخ عمر المعروف بابن القرداغي. ثم زاول التدريس في اماكن عديدة مثل قرية (نەرگسەجار) قرب حلبجه، ومن ثم في خانقاه بياره. وكانت له نقلات بين بياره والسليمانية. وكان من المجدديين فاجرى على مناهج مدرسته الدينية تغييرا فصنف الطلاب الموجودين على درجات فاصحاب الدرجات العالية يدرسون المتوسطين والمتوسطون الذين لهم معرفة وقابلية واقعية يدرسون الابتدائية وقرر لهم دروسا في الفقه والسيرة النبوية والتوحيد والاخلاق بحيث استفاد الطلاب حسب قابلياتهم. وفي سنة ١٣٧١ هـ. انتقل الى السليمانية وعمل مدرسا في جامع الحاج حان. وفي سنة ١٣٧٤ هـ. انتقل الى كركوك وعمل مدرسا وخطيبا في التكية الطالبانية هناك ولقي من لدن الشيخ جميل الطالباني كل احترام وتقدير. وكانت الاطافة الكبيرة في حياته، عندما شغرت مدرسة سيدنا حضرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني في بغداد بوفاة المدرس المعروف الشيخ محمد القرداغي، فتوجه الى بغداد وشارك في الامتحان الخاص بالقبول لتولي المركز المذكور ونجح في الامتحان وتعين مدرسا في الجامع الاحمدي قرب وزارة الدفاع، كما قدم طلبا للتدريس في الجامع حضرة الشيخ عبدالقادر فحصلت الموافقة. وخلال عمله في مدرسة الجامع المبارك المذكور الذي يجتمع ويلتقي فيها عدد كبير من الطلاب من (جاوه) و (تركيا) و (المغرب) و (الجزائر) ومن العراق عربا وكردا، ومن البلدان الاخرى، وكان يعمل معه مدرسان اخران هما الحاج عبدالقادر الخطيب وكمال الطائي فمارس التدريس فيها بجداره واخلاص واقتدار. وفي سنة ١٩٧٣ احيل على التقاعد، ولكن السادة النقباء الشرفاء من ذرية الشيخ الكيلاني، كلفوه بالبقاء في محله بالحضرة القادرية، لافتاء المسلمين في الاحكام الشرعية، والقيام بالامامة للصلاة. وقد تحولت تكيته في الحضرة الكيلانية الى ما يشبه مضيف الكرد، ويقصده فيها رجال الدين وسائر محبيه ومعارفه من مختلف الطبقات والمستويات الاجتماعية، اضاف الى الزوار الاجانب. وكان يستقبلهم ببشاشة وتقدير يسأل عنهم وعن الامور التي جاءوا من اجلها، وتشرفت بمقابلته مرتين في اواخر السبعينات من القرن الماضي، واثر الزيارة الاولى ازددت اعجابا به وتقديرا له لما اولاني من اهتمامه

احتفائه وبالشكل الذي ازال عني شعور الخجل والتهيب الذي كنت عليه في بداية دخولي لمقره، وبعد الزيارة الثانية كنت انوي تكرار زيارتي له غير ان الظروف لم تسمح لي. وكانت لتوجيهاته ونصائحه خلال زيارتي صداها الطيب واثرها العميق عندي ولاسيما قوله: لقد استطعنا نحن رجال الدين الكرد بلوغ منزلة عالية في مجالنا، ونامل منكم انتم الشباب من العاملين في مجالات الصحافة والاداب والعلوم ان ترفعوا اسم شعبكم عاليا وتكونوا قدوة لامثالكم. وفي الواقع ان شهرة الشيخ عبدالكريم المدرس وصلت الى كل ارجاء العالم. كما شغل وتولى باقتدار منصب المفتي الاول للشافعية في العالم ورئيس رابطة علماء الدين في العراق. وان مؤلفاته ونتاجاته الرصينة التي قاربت المائة كتاب عرفته للباحثين والعاملين في مجال الدراسات الادبية والدينية. واهم مؤلفاته باللغة العربية:

١ الوسيلة في شرح الفضيلة ١٩٧٢.

٢-رسائل العرفان ١٩٧٨.

٣ رسائل الرحمة في المنطق ١٩٧٨.

٤-علماؤنا في خدمة العلم والدين ١٩٨٢.

٥ مواهب الرحمن سبعة اجزاء نشرها خلال ١٩٨٣/١٩٨٩.

١٢-المصيدة الوردية ١٩٩٥.

١٣-اسناد الاعلام ١٩٩٥.

١٤-نور الايمان ١٩٨٧.

١٥ الارشاد والانام ١٩٩٠.

١٦-الانوار القدسية ١٩٩٠.

١٧ نور الاسلام.

١٨-الرسالة وانوارها ١٩٨٩.

١٩-الصرف الواضح.

٢٠-مفتاح الاداب.

٢١-العزيزة.

٢٢ خلاصة البيان في وضع البيان.

٢٣ المفتاح.

٢٤ الوريقات.

٢٥ الواجهة.

٢٦-المقالات في المقولات العشرة.

٢٧-المواهب الحميدة في ظل العزيزة.

٢٨-رسالة طب القلوب.

وله مؤلفاته ونتاجاته الاخرى بالعربية التي لم تطبع لحد الان منها:

١-تصريف الزنجاني.

٢-رسالة ارشاد المناسك.

علما بان مؤلفاته باللغة الكردية لا تقل عن (٦٥) مؤلفا، حيث قام بنشر وتحقيق دواوين رواد وفطاحل الشعر الكلاسيكي الكردي مثل دواوين الشعراء الكبار، مولوي ونالي، وفقي قادر هموند وهو من رجال الدين الكرد القلائل الذين قاموا بتفسير القرآن الكريم في سبعة اجزاء باللغة الكردية وتأليف قاموس عربي/ كردي بعنوان (دوو رشته) على غرار قاموس الاحمدي وقاموس نەوبەهار لاحمدي خاني. وهو الى جانب كونه واعظا ومدرسا وفقيها واديبا، له قصائد رقيقة باللغة الكردية تدل دلالة واضحة على تمكنه في هذا المجال، لقد شمر الملا عبدالكريم ساعد الجد في ذلك المجال لتحقيق دواوين الشعراء الكلاسيكيين الكرد. يساعده في ذلك ولديه فاتح الملا عبدالكريم والاديب محمد الملا عبدالكريم والشيخ محمد علي القرداغي، فخدم الادب والثقافة الكردية وكان النظام العنصري يحاول تصوير الكرد كشعب متخلف لاحضارة له، ولا يجيد الا العصيان والتمرد. في ذلك الوقت اثبت عبدالكريم المدرس ان للكرد تراثا ادبيا غنيا وقد انجب الرجال الافذاذ، فكان بذلك الوريث الحقيقي لامجاد القضاة الشهرزوريين من امثال الصلاح وابي بكر المنصب. ورغم ان المرض اعاقه عن التأليف والحركة في الاعوام الاخيرة من حياته حتى انتقل الى جوار ربه في اواخر شهر اب سنة ٢٠٠٥م لكنه ترك من بعده ثروة من المؤلفات والمواقف التي لاتبلى ولاتنسى. وخير من وصف مجلسه في بغداد وذكائه وذكرته الشيخ محمد علي القرداغي الذي لازمه في الاعوام الاخيرة واشرف على طبع العديد من مؤلفاته يذكر مجلسه قائلا متع الله الشيخ المدرس بذاكرة قوية، وحفظ عجيب لما يسمعه ويشاهده، بحيث من يجلس عنده ويسرد الحديث عن حادثة حدثت قبل خمسين عاما يخيل اليك انه شاهدها قبل ايام وتسجيله لهذه الحوادث ربما يكون تسجيلا تصويريا بحيث يذكر لك، الوقت، والفصل والمكان، رحم الله العلامة المدرس فقد كرس تلك الذاكرة الفذة لخدمة ادب وتأريخ وتراث شعبه، فكان بمثابة الغواص الذي يغوص في بحار العلم والادب ليختار اللالىء التي يزين بها جيد تراث امته والتي هي جزء من تراث الانسانية.



وفاة الشاعر الكردي احمد هردي

توفي صباح اليوم الأحد ٢٠٠٦/١٠/٢٩ الشاعر الكوردي المعروف أحمد هردي في مدينة السليمانية عن عمر ناهز ٨٤ عاماً، إثر مرض عضال ألم به، يذكر أن الشاعر هردي ولد في السليمانية عام ١٩٢٢ وكان من الشعراء المجددين، إمتاز شعره بالأصالة والرومانسية. رغم قلة أشعاره إلا ان قصائده أصبحت على لسان جميع الشباب وخاصة المناضلين فهو الذي غنى للشعب الكوردي بشعره المعنون (نحن أحرار الكورد).

تعرض الشاعر إلى الإعتقال والفصل مرات عدة والتحق بالثورة الكوردية لثلاث مرات، ومنذ عام ١٩٩١ كان لاجئاً سياسياً في لندن وبعد تعرضه للمرض عاد إلى مدينة السليمانية حيث كان بيته مزاراً للأدباء والشعراء والمثقفين والسياسيين الذين كانوا قلقين على صحته.

ومن أهم مؤلفاته:

ديوان (رازى تەنيايى - نجوى الوحدة)

وله كتاب قيم في علم العروض عمل فيه أكثر من ٢٠ سنة

محطات ثقافية

المثقفون الكرد لم يجدوا سوى زملاء عرب قليلين يعترضون على إبادة شعبهم نهتم بهم ونشاركهم قضاياهم ويبادلوننا شوفينية وإهمالاً

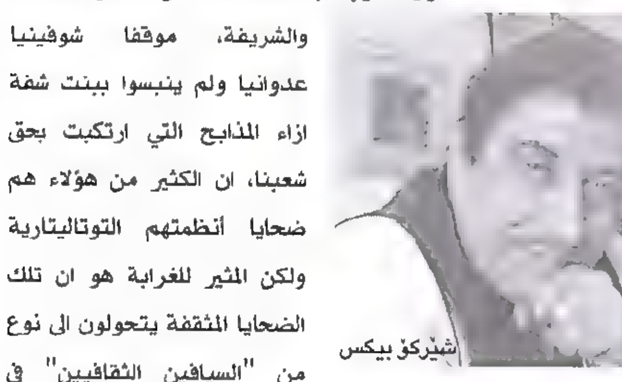
هوشنك الوزيري

بعد وصولي بأيام الى كردستان العراق شرعت في إعداد استفتاء حول رؤية المثقف الكردي الى الثقافة العربية وماهية علاقته الراهنة معها، خصوصا ان الكردي عاش شبه مستقل عن الحكومة المركزية العربية منذ ١٩٩١ وحتى أواسط ٢٠٠٣. لكنني كنت أتخوف من ان الاجوبة ستزيد من الجفاء الحاصل اصلا بين الثقافتين بدلا من ان تسهم في توطيد العلاقات بينها، فلا يزال الكردي يعيش على مبعدة سنوات فقط من المجازر والفظائع التي ارتكبته حكومة قومية عربية. ومن جهة اخرى كنت أتخوف رؤية المثقف الكردي للايديولوجي العربي فقط ومحاكمته للثقافة العربية انطلاقا من هذا الايديولوجي السياسي وإهماله للمعرفي.. لكنني وضعت هذا الخوف جانبا وطرحت التساؤلات: كيف تنظرون الى الثقافة العربية الآن وكيف تصفون كمثقفين كرد علاقاتكم الراهنة معها؟ ترى ما الذي تمثله الثقافة العربية بالنسبة اليك خصوصا اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار العيش في اقليم كردستان شبه مستقل عن الجار العربي لمدة أكثر من ١٣ سنة؟ تساؤلات وجهناها الى عدد من مثقفين كرد (شعراء، كتاب ومترجمين وصحافيين وأساتذة الجامعات) يختلفون في توجهاتهم واشتغالاتهم الفكرية والادبية لكنهم، عاتبين، يتفقون على محور واحد وهو عدم سعي المثقف العربي إلا في حالات استثنائية جدا الى

التعرف على المثقف الكردي الساكن الى جواره، بل وسعي بعضهم الى قمع الثقافة الكردية عبر تماهييه مع الثقافة السلطوية المبنية على الغاء الآخر...

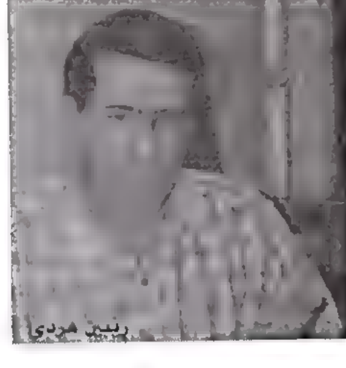
اختلاف الأجيال

يقول الشاعر شيركو بيكس والذي ترجمت له عدة دواوين شعرية الى اللغة العربية منها "مرايا صغيرة" و"مضيق الفراشات": الرؤية الى هذا الموضوع تختلف من جيل الى آخر. وبالنسبة لي تعتبر الثقافة العربية احدى المكونات الاساسية لتجربتي الادبية. فاللغة العربية هي لغتي الثانية اقرأ بها وأكتب بها احيانا ومن خلالها اطلعت على مسار الادب العربي والعالمي، وهي تمثل جسرا للتواصل مع الآخرين. كما ان الثقافة العربية عبدت لي طريق التعارف على نخبة من الشعراء والادباء العرب فأصبحوا أصدقائي ويدافع البعض عن القضية الكردية. انقطعنا في كردستان العراق عن الثقافة العربية والمركزية العراقية لمدة ١٤ سنة وهكذا نشأ جيل تتراوح اعمارهم بين ١٥ الى ٢٥ لا يجيدون سوى كلمات قليلة من اللغة العربية أو لا يجيدونها مطلقاً. ولكي نفهم بنية تلك العلاقة التي تتحدثون عنها يجب ان نعود الى الوراء قليلا، فمنذ تشكل الدولة العراقية وإلحاق هذا الجزء من كردستان بالدولة العراقية في بداية العشرينيات من القرن الماضي دون العودة الى ارادة الشعب الكردي، نظرت الحكومات العراقية المتعاقبة الى المواطن والمثقف الكردي كأنه صنف من الدرجة الثانية والثالثة، الى ان وصل الامر في عهد الدكتاتور صدام حسين الى عمليات الابادة الجماعية. وقد اتخذ المثقفون العرب، باستثناء قلة من الاصوات الحرة والشريفة، موقفا شوفينيا عدوانيا ولم ينبسوا ببنت شفة ازاء المذابح التي ارتكبت بحق شعبنا، ان الكثير من هؤلاء هم ضحايا أنظمتهم التوتاليتارية ولكن المثير للغرابة هو ان تلك الضحايا المثقفة يتحولون الى نوع من "السيافين الثقافيين" في رؤيتهم الى الضحايا الاخرى مثلا الى الشعب الكردي وحقه في تقرير مصيره بنفسه. هذه المواقف اللاانسانية أحدثت شرخا كبيرا في بنية هذه العلاقة. ومن جهة اخرى كانت الثقافة الكردية مظلومة ومهمشة وخاصة المكتوب منها بالعربية أو المترجم الى اللغة العربية، فمثلا حين يكتب احدهم حول الادب العراقي لا يكتب الا عن الادب العربي فشاعر مغمور من قرية نائية في اسبانيا أو من أميركا اللاتينية مثلا معروف أكثر من شاعر كردي عراقي لدى القراء العرب في العراق. هناك نوع من عدم الثقة وخيبة أمل لدى مثقفي كردستان ازاء المثقفين العرب لذلك اهتزت العلاقات في الوقت الحاضر. ان إنسانية اية ثقافة في العالم هي التي تشير الى ديمومتها وتواصلها مع الاخرين والثقافة العربية اليوم وخاصة في جزئها الاعلامي المسموع والمقروء بحاجة الى انفتاح عقلي أكثر على الآخرين.


شێرکۆ بیکس

إنني متواصل في قراءاتي العربية وآخر كتاب قرأته هو "طاوس الملك كبير الملائكة لدى الايزيدية" للكاتب العربي زهير كاضم عبود.

نافذة الثقافة الفارسية


ريبين هردي

ويركز الكاتب والناقد ريبين هردي على ضعف هذه العلاقة مقابل قوة العلاقة مع الثقافة الفارسية في المرحلة الراهنة: تشكلت معرفتنا بالثقافة العربية من خلال المكتبة العربية في عهد النظام السابق، ومن البداهة القول ان تلك المكتبة كانت خاضعة لرقابة صارمة، لكن الرقابة تلك عادت بالفائدة على صورة الثقافة العربية في مخيلة الكردي، لان الكرد كانوا يقولون بأن هناك اصواتا حرة ونزيهة كثيرة في داخل الثقافة العربية لكن رقابة النظام تمنعها من الوصول الينا والنظام لا يختار إلا الاصوات التي تتفق مع الفكر الشوفيني البعثي، لهذا توجهنا الى قراءة الكتب الاجنبية المترجمة الى اللغة العربية. والمثقفون العرب الذين كانت تصلنا اصواتهم آنذاك كانوا منشغلين بطرح تساؤلات اخرى بعيدة عن همومنا وتساؤلاتنا التي كانت تصدمنا يوميا. وهكذا حدثت هوة، وهي في توسع دائم الى يومنا الراهن، بين القارئ الكردي والثقافة العربية. لكننا أصبنا بصدمة بعد ١٩٩١ وانفتاح الابواب الثقافية حين اكتشفنا ان الاصوات التي كنا نظنها أيام النظام القمعي أصوات حرة وانسانية، ولم تصلنا بسبب الرقابة القمعية، كانت منشغلة هي الاخرى بطرح تساؤلات وقضايا لم تكن تمسنا. كانت هذه الاصوات تتساءل كم من الفلسطينيين قتلوا على يد الجنود الاسرائيليين وكنا نتساءل كم من القرى الكردية قام جيش البعث بإحراقها وكم الفا من الكرد قام البعثيون بإبادتهم. وتضخم الشعور بالصدمة حين رأينا ان الكثير من المثقفين العرب يغازلون جيش البعث هذا الذي استخدم الغازات الكيمياوية المحظورة وينظرون اليه على انه الذخيرة الاستراتيجية في الصراع العربي الاسرائيلي، كل هذا أدى الى مقاطعة الكرد لنتاجات هؤلاء المثقفين.

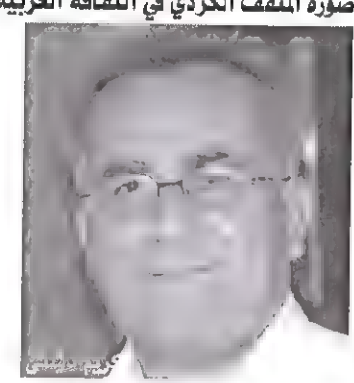


وفي تلك الاثناء تعرف الكرد على المكتبة الفارسية ووجدوا فيها ما لم يستطيعوا ايجاده في المكتبة العربية: حركة ترجمة نشيطة استطاعت ان تعرّفهم باتجاهات وحركات فكرية كانت ضرورية لفهم واقعهم وتساؤلاتهم. تختلف المكتبة الفارسية عن المكتبة العربية كثيرا، فالمثقفون العرب يتكلمون كثيرا ويترجمون قليلا بينما يتكلم الايرانيون قليلا ويدعون الآخرين يتكلمون عبر ترجمتهم الى الفارسية. فعدد المترجمين الايرانيين أضعاف عدد الذين يكتبون بينما يفوق عدد الكتاب العرب عشرات المرات المترجمين العرب. هكذا انفتحت نافذة الثقافة الفارسية على الكرد وبدأت حركة ترجمة فعالة من الفارسية الى الكردية وعدد القراء الكرد الذين يقرأون بالفارسية في تزايد مستمر بينما يقل يوما بعد يوم عدد الذين يقرأون بالعربية وحصوصا



عند الاجيال الجديدة. لكن ومع كل ذلك هناك بين الكرد من يبحث باستمرار عن الاصوات العربية الحرة والنزيهة ليترجمها الى اللغة الكردية، فعلى سبيل المثال يترجم كل ما يكتبه هاشم صالح الى اللغة الكردية، كما ان كنعان مكية، المثقف الذي يتهمه الكثير من مثقفين عرب بالخيانة والعمالة لأميركا معروف لدى الكرد وهناك محاولات جادة لترجمة كتبه الى الكردية. بالاضافة الى اننا نلاحظ، بعد سقوط صدام حسين، تزايدا مستمرا في عدد المثقفين العراقيين الذين بات الكردي يشعر بالقرب منهم وهذا مدعاة للسرور والامل في نفق طويل من علاقات مظلمة.

صورة المثقف الكردي في الثقافة العربية

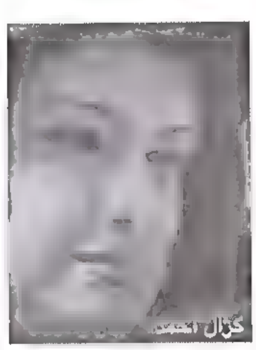


ويتخذ الشاعر والصحافي كريم دشتي من صورة المثقف الكردي عند الثقافة العربية محورا أساسيا لحديثه: تظل صورة المثقف الكردي، في نظر الثقافة العربية التابعة للانظمة الحاكمة، هشة غير قادرة على الابداع. فالمثقف العربي الذي يدعم المواقف المستبدة لسلطته السياسية يظل عبدا لتحليلات وتعاليم السلطة، لذلك فهو يعتبر الكرد وثقافتهم ورماً مشوهاً لا بد من استئصاله. ان هذا النوع من المثقف العربي التابع للرؤية السياسية والايديولوجية الحاكمة يعمل دائماً على الضد من طموح وآمال المثقف الكردي ولا يستطيع الاعتراف بحقوقه وإبداعاته. لكن لا يمكننا إهمال نوع آخر من المثقف العربي، وان كان نادرا، الذي يؤمن بالآخر ويحاول التحاور معه ولا يتبع خطى السلطة الحاكمة بالرغم من انتمائه القومي اليها. انه المثقف الذي استطاع التحرر من شوفينية الفكر القومي التي تلغي حريات الشعوب الاخرى، ولهذا فهو يتعامل من المثقف الكردي ثقافيا ويتفاعل معه اجتماعيا وينسجم معه سياسيا، انه المثقف الذي ينفتح على العالم وهذه قضية تدخل ضمن رؤية المثقف بشكل عام في هل انه يؤمن بالاختلاف ام لا؟ ظل الكثير من المثقفين العرب يعتبرون الآخر عدواً لهم، وهذا يعود في اعتقادي الى التراث الذي تربوا في كنفه، وهو التراث الذي يحمل في طياته الشعور بخطورة الآخر ويخلق مبررات عديدة من أجل تعبئة العقليات بهذا الاتجاه. ان الغالبية العظمى من المثقفين العراقيين تحولوا الى أبواق فجة لسلطة البعث ولزموا الصمت الرهيب تجاه كل المذابح والمجازر بل دافعوا عنها بقصائدهم وقصصهم .

حب من طرف واحد

وتشبه الشاعرة والصحافية كزال أحمد العلاقات مع الثقافة العربية بعلاقة حب من طرف الكردي فقط حيث تقول: هناك أجيال من المثقفين الكرد لها ثقافة عربية كما لديها إلمام كبير بتأريخها وتراثها، وهي متابعة حريصة لإبداعاتها. ان تأثير

الثقافة العربية على المثقف الكردي شيء واضح وهو اكتسبه من خلال دراسته وعبر حتمية اختلاطه مع العرب واللغة العربية، لا سيما انهم يعيشون في وطن واحد.



وهذا الاختلاط أدى الى ان يصطبغ الكثير من النتاجات الكردية بصبغة قضايا وهموم تخص العرب والمثقف العربي. هناك، مثلا، قصائد تخلد ذكرى الجزائرية (جميلة بحيرد) أو تناصر القضية الفلسطينية أو تتغنى بالاخوة العربية الكردية كما في قصيدة "قصة أخوة" للشاعر التجديدي (عبد الله كوران) وفيها يقول عن التعايش الاخوي بين العرب والكرد: أخي العربي ذو العيون السود/ نصيبك مر كنصيبي/ ولكن تذوقنا لنفس الكأس من المرارة/ حول اخوتنا الى العسل. كما ان بعضا من مثقفينا كتبوا أشعارا باللغة العربية أو باللغتين العربية والكردية معا كما فعل الشاعر القومي (بيكه س ١٩٠٥١٩٤٨) ولديه قصيدة عربية يقول فيها: سورية ملكت فؤادي بعينها/ ورمتني في بحر الهوى بسهام. وأنا قلت في احدى قصائدي: قولوا ل(خالدة سعيد)/ أو للعرب/ (ادونيس) هو الشعر بعينه/ احبه كثيرا. يحاول الكردي بشكل عام والمثقف الكردي خصوصا ان يتابع ويتواصل في التعرف على جديد الثقافة العربية ولكن السؤال الموجه الى المثقف العربي هو: هل لديك الالمام والاهتمام الكافيين بالثقافة الكردية والتي لا تقل شأنا عن أية ثقافة اخرى؟ والجواب بالتأكيد هو لا... اذن حسب رأيي تشبه علاقتنا بالثقافة العربية علاقة حب من طرف واحد.. ونحن الطرف المعذب في هذه العلاقة. حتى القصيدة التي أهداها محمود درويش ل(سليم بركات) الكردي الذي لا يملك إلا الريح ليست كافية وهي حالة نادرة قلما تحدث في الادب العربي.

يقول الروائي والاستاذ الجامعي الدكتور فرهاد بيربال: لقد ولى زمن صلاح الدين الأيوبي حين كان الكرد يخدمون العرب من أجل الاسلام. يحاول الكرد اليوم بناء هويتهم القومية ولا يتم ذلك الا بالقطيعة مع الثقافة العربية وفتح النوافذ أمام الغرب.



ومقابل كل هذا الحب والخدمة والتعايش الاخوي الذي كنا نكنه ونبديه طوال تأريخنا للعرب والاسلام، كافأتنا السلطة العربية بالقصف الكيمياوي ومنع لغتنا والانفال. مثلا ان كتابة رسالة ماجستر أو رسالة دكتوراه حول روايات سليم بركات محظورة في الجامعات السورية. انه شيء يدعو للحزن وللأسف حقا حين نرى العرب وهم يفقدون أجمل واعز

أصدقائهم التأريخيين. شخصيا وكمثقف كردي لست بحاجة ولا أومن بحوار عربي كردي، لأنني أعلم ان كل ما يعقد تحت هذا الشعار سيتم بتوجيهات السياسات الشوفينية للدول العربية. ويجب القول هنا ان كل ما تعرفه غالبية المثقفين العرب عن الكرد هو مثلا ان احمد شوقي وصلاح السعدني والزهاوي والبدرخانين هم كرد وانتهى!!

ويقول الناقد والاستاذ الجامعي شاهو سعيد: رغم اهتمامي المتواصل بالثقافة العربية ومديونيتي لها، كونها تشكل رافداً أساسياً من روافدي المعرفية، لكنني أجدها على العموم ثقافة ثابتة التصوير ومفتقرة الى التنوع والحوارية. وكوني أشكل (الآخر الكردي) بالنسبة لهذه الثقافة، فإنني أحاول دوماً مراقبتها من الخارج والانفلات من هيمنة خطابها المموّه بلاغياً وإيقاعياً، سواء كان هذا الخطاب أصولياً أم قومياً أم حتى علمانيا تحرري الدعوة. فثمة خط مشترك يتجسد في التعالي المسبق على الآخر والانئسار داخل الأنا التاريخي. وإذا كانت هذه الخصوصية بيّنة عند الأصولي أو القومي العائش في زمنه الذاتي المفارق للزمن الواقعي حيث حضور (الآخر)، فإنها تتجلى عند التنويري ذي النبرة التقدمية في خطاب ينتقد الذات ويجلدها جلداً ليعود في النهاية الى تحميل الآخر، مسؤولية كل ما آل اليه الوضع العربي. وقد يكون الآخر، في نظر هذا الخطاب المتقلب الاوجه، أميركياً آتيا من وراء المحيطات أو شعوبيا متربصا بالأمة في الجوار أو كردياً مزروعاً في الخاصرة من الداخل. هذه الظاهرة لا تشكل خطورة على تفكير الإنسان العربي فحسب بل على غير العربي المتابع لها أيضاً. شخصياً اضطررت الى البحث عن روافد معرفية بديلة وثقافات أخرى بلغات غير عربية، كي أكتشف ما هو مكبوت أو منكبت أصلاً في الثقافة العربية، لا في ما هو مؤلف من قبل كتابها فحسب، بل حتى في ما هو مترجم عنهم، لأن البقاء تحت هيمنة هذه الثقافة لا يؤطر رؤية المتلقي بإيقاعها اللفظي السحري المؤثر فقط، بل يجبره على قراءة ما هو مترجم ومنتقاة من ثقافة الغرب أيضاً. وجدت نفسي مثلاً، لمدة طويلة، مسحوراً بالثقافة الفرنكوفونية وما تحمله من عقد بنيوية في الجانب المترجم انتقائياً الى اللغة العربية. وبان لي مؤخراً أن العديد من الترجمات من الثقافة الغربية الى اللغة العربية لا تهدف الى الانفتاح على الآخر الغربي بقدر ما تنتقي منها ما هو ملائم لتبرير خطاب ذاتي مسبق. إن تواصلي كقارئ، ومتابع كردي، للثقافة العربية منوط بمرونة هذه الثقافة وآفاق انفتاحها على الآخر وتنامي خطاب المعارضة الفكرية فيها لتفكيك العقد التي دأب أصحابها على اختزال القضايا في مجرد أحكام مسبقة، وهي خرافية في معظمها.

لعنة المقدس العربي

يقول المترجم ومدير تحرير (سردم العربي) نوزاد احمد أسود: ثمة اتجاهان في الثقافة العربية: اتجاه ينصب في إنسانية الثقافة وانفتاحها الفكري، واتجاه يقبع داخل ثقافة ايديولوجية مغلقة ويقينية جامدة يمكن ان ندعوها بالايديولوجيا القوموية الاسلاموية وهي ايديولوجيا لا زالت مسيطرة على الجزء الكبير من الشارع العربي

ومراكز القوى رغم انها فقدت مصداقيتها عند



نوزاد احمد اسود

المفكرين الحقيقيين. نحن كمثقفين كرد نتفاعل مع الاتجاه الاول حيث الانفتاح والجانب الانساني الغني من هذه الثقافة التي تشربنا منها. بالرغم من القطيعة مع المركز والابتعاد قليلا عن اللغة العربية في التسعينيات كنا على تواصل دائم مع الثقافة العربية الجادة. نعمل في الوقت الحاضر ومن خلال مجلتنا (سردم العربي) التي تصدر في السليمانية على تفعيل وتوثيق أواصر التواصل الثقافي الكردي العربي حيث تربطنا علاقات وطيدة مع عدد غير قليل من المثقفين والكُتاب العرب ايمانا منا بأن الشعب العربي لم يكن مسؤولا عن تلك الجرائم البشعة التي مورست ضد شعبنا الكردي. هناك اسماء عربية لامعة وذات تأثير في ساحة الثقافة الكردية نذكر منها على سبيل المثال هاشم صالح وجورج طرابيشي وأدونيس ومحمد أركون وادوارد سعيد وصادق جلال العظم وغيرهم.

نحن نتطلع الى بناء جسور الحوار بين المثقفين الكرد والعرب والذي يتطلب قبل كل شيء إلغاء جميع انواع مظاهر العنف في حياتنا، كما يتطلب إلغاء مظاهر الاستعلاء الثقافي من خلال دمقرطة الخطاب الثقافي.

ويقول الكاتب والصحافي أمين بوتاني: لا أجانب البديهة ان قلت بأن المثقف الكردي ينظر في الكثير من الاحيان الى المثقف والثقافة العربية ذات النظرة التي ينظرها الى السياسات والمواقف السياسية للدول والحكومات العربية، باعتبار ان المثقف العربي يصوغ منجزه الثقافي في كنف ثقافة سلطوية طاغية على مقدرات الرؤية والابداع والمعرفة. ما أود قوله ان الكرد برمتهم وخصوصا الكُتاب والمثقفين منهم لهم ما للنخبة العربية المثقفة والمنفتحة على الآخر (وهم قلة بالطبع) من انتقادات يوجهونها لثقافة ومثقفي السلطات العربية. انا لا أختزل موقف المثقف الكردي إزاء الثقافة العربية في اللغة العربية التي ينهل عدد لا بأس به من الكرد زادهم المعرفي، ما يهم الكردي من المنجز الثقافي العربي قبل كل شيء هو تضمين هذه الثقافة لتلك المساحة التي يدب عليها الآخر ويتنفس، حيث قلما يجد المثقف الكردي هاجس التعاطي مع موضوعة الاختلاف تعاطيا بناء وخلاقا لدى المثقف العربي، وبالتالي يرضخ الكردي عنوة بأن يقيس الثقافة العربية بأسرها على مقاس ما يكتبه بعض المثقفين العرب ولو كانوا قلة. يرى الكردي ان الثقافة العربية شبت وشابت على ارث لم يتبلور فيه الآخر المختلف كموجود شرعي بعد، لان الثقافة هذه قد جندت

كل طاقاتها لمقارعة آخرها اللدود الذي يقف لها بالمرصاد (صهاينة، امبريالية، غزو ثقافي ... مثلا). ثيمة هذا الآخر الند في رؤية الثقافة العربية طالت جميع الآخرين ايضا ولو كانوا مناصرين لها ولقضاياها، فلا غرابة ان تلسعنا نحن الكرد (وكذلك الامازيغ...) لعنات المقدس العربي كلما تعالت صرخاتنا وبكينا بأبجدية غير التي تحوي الضاد، ومتى ما تجرأ المثقف العربي على فك التمائم ومجابهة الآباء مدخلا أدوات نقدية معرفية جديدة لقراءة الحال والماحول، عندئذ قد يكون لنا بصيص من الامل نذيب به نتفا من صقيع هذا الجفاء.

المثقف الكردي بين التقوقع تحت مظلة التحزب والتطلع للاسهام بدور فعال في مرافق الحياة

شهاب القره لوسي

سؤال لطالما شغل بال الكثيرين من المراقبين السياسيين الى اين ستتجه القضية الكردية، هل ستقود نفسها الى مسارات واتجاهات بالامكان ان تحقق النتائج المرجوة للشعب الكردي في العراق والمنطقة، وهل ان الشعب الكردي في مختلف البلدان والامصار التي وزعت عليها سيكون بمقدوره الوصول الى مرحلة العيش في اطار شيء اسمه الامة الكردية!

هذه الاسئلة ستحتاج الى اكثر من جواب، وسنضطر للعودة الى طرق ابواب التاريخ والوقوف على المظالم والاضطهاد التي لحقت بالامة الكردية المجزاة على اكثر من بقعة جغرافية في منطقة الشرق الاوسط والمحاولات المتكررة لصهرها في بوتقة القوميات الاخرى في الأوطان التي لحقت بها من خلال هضم حقوقها وعدم الاعتراف بوجودها وبكيانها وارضها وتاريخها وتراثها وحضارتها.

في هذه الحالة سوف نصادف عواقب كثيرة ونكون امام تفسيرات ضبابية والرؤيا لدينا ستكون غير واضحة المعالم اذا ما اطلقنا الاحكام والعنان لتفسيراتنا بعيدا عن الوقائع والحقائق التاريخية على الارض، ومهما كانت التقييمات فالحاصل سنخرج بحقيقة واحدة مفادها ان الكرد كشعب ذي امتداد وعمق تاريخي وحضاري عريق فشل في

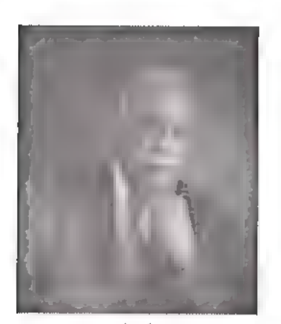
تحقيق الهدف السامي والاستراتيجي المهم من خلال خلق الولاء للامة الكردية، على الرغم من ان تاريخه النضالي المرير حافل بالتضحيات الجسام وهناك من يذهب الى ان اسباب الفشل هذا تعود الى عدة عوامل ستكون الظروف الدولية والاقليمية والمؤامرات التي حيكت ضدهم من اولويات الاسباب الرئيسة لهذا الفشل، ولكن في المقابل يجب ان نعترف نحن كالشعب الكردي بحقيقة ساطعة وهي اننا اخفقنا بعض الشيء في مواقع ومحطات حساسة من تاريخنا، حيث كان بالامكان ان نخرج فيها بنتائج جيدة ومفيدة لرسم خارطة جديدة للاحداث وكانت هناك اكثر من فرصة امام الكرد لكي يكرسوا نضالهم لهذا الجانب لولا انشغالهم ببعض الأمور الثانوية والانقسامات والحروب الداخلية فيما بينهم، في كل الاحوال فإن الظروف الدولية والاقليمية مؤاتية اليوم اكثر من أي وقت مضى امام الكرد لكي يستثمروا هذه الفرصة الثمينة ليحققوا اهدافهم ومطالبهم القومية في حق تقرير المصير والعيش بسلام وحرية على ارضهم، ولكن هناك سؤال يطرح نفسه بقوة، وهو، هل ان الكرد يفلحون هذه المرة في عبور التلة التي طالما لم يوفقوا في عبورها والوصول الى نقطة الامان وتحقيق غاياتهم؟ هذا السؤال الاجابة عنه ربما لم تكن محصورة في جعبة القيادات السياسية الكردية وانما بالامكان العثور عليها عند المثقفين والمفكرين وعامة الشعب الكردي، سيما ان الأوضاع مناسبة والظروف ملائمة لكي يتمكن الفرد الكردي وخصوصا المثقفين الدخول الى معترك الحياة السياسية والمشاركة الفعالة في رسم الخارطة المستقبلية للشعب الكردي، لأن تجارب الشعوب الأخرى كشفت لنا هذا الجانب وكيف ان المثقفين والمفكرين من الشعوب الأخرى كانوا في طليعة الاحداث ولهم دور في رسم خارطة الاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمستقبلية لشعوبهم؟ واذا تمعنا النظر في سجل الثورات والاحداث الكبيرة في تاريخ الشعب الكردي نجد ان دور المثقفين يأتي بالدرجة الثانية او ربما الثالثة بعد دور الشيوخ ورجال الدين وزعماء القبائل والاقطاعيين والعسكريين، وهذا بطبيعة الحال يضعنا امام تساءل كبير ربما الاجابة عنه لن تكون يسيرة بالشكل الذي تتطلبها الاجابة الحقيقية.

وهناك تساؤلات كثيرة تراود مخيلة الكثيرين منا، ماذا لو تحققت اهداف الشعب الكردي وتمكنوا من بناء كيان سياسي ودولة قائمة لهم؟ وما مدى جاهزية الشعب الكردي لقيادة نفسه والتعامل مع الدول المحيطة به والدول الكبرى؟ وهل هناك خطط جاهزة ام سنتجه الى تقليد الآخرين رغم ان الاستفادة من تجارب الآخرين حق مشروع؟

لكي نكون جديرين بالمسؤولية الكبيرة التي تنتظرنا يجب ان نخطو خطوات محكمة ورشيدة وفق استحقاقات العصر والمرحلة ونسعى الى بناء مؤسسات ومراكز ومعاهد خاصة بالفكر والتوعية والاقتصاد والسياسة والادارة العامة والاعلام الى جانب الاهتمام بالتراث والحضارة العريقة وفتح آفاق رحبة امام الحريات لترسيخ اسس المجتمع المدني وسيادة القانون واشراك شرائح واعية ومثقفة من

المجتمع في ادارة مرافق الدولة وكسر حاجز الاحتكار الحزبي وان يكون توزيع المناصب وفق الكفاءات العلمية لا وفق الولاءات النضالية والسياسية، ومن بديهيات هذا التحول هو الاصلاح والسعي للتخلص من الأرث المتعشعش في عقول ونفوس طبقات واسعة من المجتمع وهذا الاشراك لا يكون رمزيا وانما فعلي ومن خلال ممارسة حقيقية بغية ان يتحسس الفرد بأنه عنصر فعال وما يجري ويحدث سيدر عليه بالفائدة والنفع بالدرجة الاساس، وهذا الغياب لدور المؤسسات الديمقراطية والمجتمع المدني ترك فراغا كبيرا في اوساط المجتمع الكردي بحيث جعل الفرد الكردي ان يقف حائرا ومرتبكا لا يعرف ماذا يريد وما يقرر؟ ومما لا شك فيه ان اصعب شيء امام الفرد هو عدم معرفته وادراكه وقدرته على تمييز الصواب من الخطأ وهذا الشيء لم نعمل من اجله بالشكل المطلوب وتقاعسنا امام استحقاقات المرحلة ومتطلباتها ولم تكن هناك جهة تأخذ على كاهلها مسؤولية كهذه، ربما يرجح بعض الأطراف والاشخاص اسباب ذلك الى الأوضاع والظروف التي عاشتها كردستان والتهديدات المحيطة بها بأنها كانت السبب الرئيسي لذلك، ربما يكون ذلك جانب صغير من الحقيقة، ولكن الجانب الكبير من المسؤولية تتحملها القيادة السياسية الكردية وقبلها المثقفون لأنهم الشريحة الواعية والمدركة لمجريات الأمور وهذه الشريحة ارتضت لنفسها الانضمام تحت مظلة التحزب وتحولت الى جزء من اللعبة السياسية والارث القديم ولم تتمكن التخلص من ذلك رغم محاولات حثيثة بذلت من هنا وهناك.

علمنا ونشيدنا الوطني الجديد



زهير كاظم عبود

صار لنا مجلساً للنواب وانتخب من بين أعضائه رئيساً للجمهورية صار قاسمنا المشترك، وتم ترشيح واحد منهم رئيساً للوزارة و تم عرض أسماء الوزراء على المجلس ونالوا الثقة. كما صار لنا دستور نتقيد ونلتزم به وستكون لنا محكمة دستورية ومحكمة عليا نتقيد بأحكامها ونلتزم بقراراتها وتفسيراتها ونحتكم اليها في اختلافاتنا وتفسيرنا لنصوص الدستور وصلاحيات الأقاليم والمحافظات..

وصار لنا رأي في حسابات ميزانيتنا التي سترسم لنا مستقبلنا الاقتصادي، وصار لنا رأي في أن نقبل أو نرفض دون أن يتم إعدام اهلنا وأن يتم عرض صورهم في التلفزيون باعتبارهم خونة وعملاء

ويتم أعدامهم ودفنهم في مقابر مجهولة، لامليارات بعد اليوم لأبناء الرئيس ولا مطابع للنقد يستحوذ عليها أولاده، ولا امتيازات لعائلة الرئيس وجيرانه وحراسه، ولا درجات فوق الدستور والقانون. وسيكون لنا علم يرمز لوحدة البلاد ويشير الى ألوان وأشكال لها علاقة بالعراق، ويجب أن يتضمن هذا العلم مايشير الى العرب والكرد والتركمان والكلدان والآشوريين والارمن، فهو علم العراق وليس علم البعث، وهو علم جميع أهل العراق وليس علم الشوفينية والعنصرية، وسيكون لنا نشيداً وطنيا من المعيب جداً ان يكون بلغة واحدة ولقومية واحدة، ولنا في دول الفيدراليات أسوة حسنة.

سيكون لنا تأريخاً عراقياً لايمكن ان يتم النظر اليه بعين عوراء ينظر لطرف من التاريخ ويهمل الكثير من تاريخ اخوتنا من الكلدان والآشوريين والأرمن والتركمان والكورد أو العرب، تأريخ عراقي يكتب بأقلام ناصعة وأصيلة لم تستطع أن تطوعها السلطات الشوفينية والطائفية التي تعاقبت على حكم العراق، ولا بذرت فيها جراثيم شوفينيتها القاتلة، ولا انطلت عليها الأصباغ الترقيعية التي تتبرقع بها السلطات لأخفاء ترهلها وعيوبها ولا استطاعت ان تمرر عليها خبث مقاصدها وسوء أهدافها.

والعلم العراقي ليس رمزاً للسلطة الحاكمة ولامزاجاً يريده الحاكم، العلم العراقي مجرد رمز يشير الى تاريخ العراق بكل مكوناته، و أيضا بكل أديانه وجغرافيته، ولا يمكن أن يتم اختزاله لقومية واحدة دون غيرها، ولا يمكن أن تكون الكتابات التي يراد بها الباطل مدونة فوقه، كما فعلها الطاغية صدام حين خط كلمة (الله أكبر) بخط يده، وهو الذي حارب كلمة الله أكبر بكل ما وسعت سلطاته الأمنية والمخابراتية من قوة.

فصدام نفسه الذي أمر بخط كتاب الله بدمه النجس والمحرم شرعاً، وأصر على تدنيس كتاب الله لغاية كامنة في روحه، وصدام نفسه الذي أمر ان يتم رفع كلمة (الله) من نص المادة ١٠٨ من قانون الأثبات العراقي رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٩ مع علمه بأن اليمين بغير الله غير جائزة شرعاً وقانوناً، وصدام نفسه من أمر بقتل رجال الدين وكل من كان يعتقد أن الله أكبر في سلطة القهر والظلم، وصدام نفسه من كان يحارب المصلين لله من كل المذاهب.

وهو نفسه من وظف آيات القرآن الكريم في الجرائم الخسيسة التي أقترفها والتي أراد بها تلويث الدين والتستر بآياته الإنسانية والعميقة المعاني.

ولم يكن العلم العراقي سوى رمزاً من رموز الهيمنة الشوفينية، ورمزاً من رموز القهر والحرب التي شنتها السلطات على شعب كوردستان في العراق، وتحت هذا العلم ذبح المئات بل الآلاف من البشر، وصار رمزاً قسريا لكل القوميات الباقية، ولم يكن العلم العراقي في العهد البائد سوى رمز لسلطة البعث وصدام، رمزاً للطاغية والفكر الشوفيني المتعصب ولهذا فقد كان العلم لايمثل شعب العراق بكل تأريخه وبكل مكوناته مطلقاً، فقد تم أختزال التاريخ العراقي في تاريخ البعث ورموزه الديماغوغية التي تتناقض مع الواقع، وفرض هذه الرمزية بأسم الوطن، ولهذا وجد العراقيون أنفسهم

يطالبون بعلم لايشير الى الدماء التي سالت تحت رايته تحقيقا لرغبة الحاكم، كما يشاهدون هذه الدماء وهي تلطخ العلم الذي يتحدى مشاعرهم ووجدانهم ويضحك متشفياً بشهداء العراق دون استثناء، ولا يريدون علماً كانت تصطف تحته مجاميع شباب العراق ليتم حصادهم بالرصاص من قبل جيش الطاغية، ولا يريدون علماً يستخدمه الحاكم برقعاً يمرر به جرائمه على شعب العراق حيث لم تسلم منه طائفة أو ديانة أو قومية ولا حتى الجيران العرب منهم او المسلمين.

نفس العلم الذي كان يرمز لصدام لم يزل يرف فوق بنايات العراق ومؤسسات العراق الجديد، وكما لم يزل العديد من المخدوعين بعبارات علم الوطن والرمز الأوحد يحرصون على بقائه ورفعه مع أن صاحب هذا الرمز سقط الى الحضيض والى الأبد، فقد كان علماً مفروضاً ورمزاً مزوراً لتاريخنا ويشير بكل صلافة للحاكم المستبد الدكتاتور، فلم يتم أستشارة الشعب في أختياره ولا برلمانه ولامؤسساته السياسية أو الثقافية.

حرياً بالعراقيين اليوم أن يصروا على تغيير علم العراق بمايليق بالعراق الجديد بعد ان انتخبنا مجلسا للنواب نكلفه بالمهام التشريعية، وبما يمسح من ذاكرتنا بقع الدم والمعاني الخبيثة التي رسمها الحاكم البائد على ما أسماه ورسمه في تفاصيل العلم، وحرياً بالعراقيين بعد ان فوضوا أعضاء برلمانهم أن يتفقوا على شكل العلم والألوان التي ترمز للسلطة الاتحادية الفيدرالية العراقية، وأن يكون علمنا بسيطاً بساطة أهل العراق، وبهيجا مثل تعدد الطيف القومي والديني في العراق، منساباً كما ينساب الزاب ودجلة والفرات والكحلاء وشط العرب وأن يكون علماً نتمسك به جميعاً ولايشير الى قوة السلطات.

علمنا نابع من أرواحنا ومن معاناتنا، وعلمنا يرمز للعراق الجديد، يضم الوان كوردستان وأطياف الجنوب وبرتقال ديالى وطيبة الرمادي، وعلمنا يضم صفاء وطهارة الأيزيدية والمندائيين، وأصالة اليهود والمسيحيين، وعظمة الرسالة المحمدية.

وأن يكون نشيدنا الوطني معبراً عن طيبة المدن العراقية، ويجسد شكل التلاحم بين النخيل العراقي المذبوح وبين روابي جبال كوردستان التي بقيت صامدة وتكسرت فوق صخورها قرون الدكتاتور، نشيداً تفوح منه روائح البرتقال وعبق القباب الذهبية والزرقاء للأئمة والأولياء، يشير الى ملوية سامراء وأهوار الناصرية وطعم الشلب العنبر في المشخاب وكرم الرمادي وطعم الفستق الموصلي، وبساطة السماوة وعبق العمارة ودفء البصرة وطيبة اهلها، نشيداً يردده اطفالنا من القلب ونحفظه في جوانحنا طيباً طيبة خبز اهل العراق الخارج لتوه من تنور الأمهات، وسهلاً كما يريد العراقي حياته القادمة وأحلامه القادمة. ليس فقط رئيس أقليم كوردستان العراق السيد مسعود البارزاني من يريد أن يكون لنا علماً ونشيداً وطنياً، فهو يطالب بما يريده معه كل أهل العراق، وبعد أن استكمل أهل العراق كل مستلزمات العملية الدستورية والقانونية، علينا ان نطالب بعلم ونشيد لنرفعه فوق هامة العراق بعد ان ترحل القوات الأجنبية عن بلادنا ليرف والى الأبد فوق هامات

العـرب والكـورد والتركمـان والكلـدان والأشـوريين والأرمن.

علما ونشيداً يصدح فوق قمم جبال كوردستان ويتردد في جنبات صحراء السماوة، وتردده البلابل في كربلاء وديالى، ونشيداً يعرفه أهل البادية وتغنيه حناجر أهل الموصل بلكنتهم المحببة، نشيداً يعرفه اهل البصرة والعمارة والديوانية يرن في اركان بابل ولايتوقف مع خرير ماء دجلة في الكوت، نشيداً به رائحة السعف والجمار في السماوة، نشيداً يعزف لنا كلمات الجواهري والبياتي ومصطفى جمال الدين والسياب وعبدالله كوران ومظفر النواب والشيخ زاير وشيركو بيكه س وخاني وأنور مردان وحسن كوره ومولوي والهمداني.

علمـا بسيطا يشير الى الوان الطيف العراقـي، ونشيداً سلسا وواقعيا مملحاً بطيبة اهل العراق عرباً وكرداً وتركماناً وكلداناً واشوريين وأرمن، ممزوجا بدياناته الإسلامية والمسيحية واليهودية والمندائية والأيزيدية لكنه بكل الأحوال سيكون علماً حقيقياً للعراق.

تصحيح ما يستوجب التصحيح:

(قل واكتب " التشويه العرقي "......لا تقل و لا تكتب " التطهير العرقي ")

محيي الدين زه نكه نه

Zangana68@yahoo.com

لو كان أستاذي الفقيد العلامة مصطفى جواد، الذي يشرفني انني تتلمذت على يديه منذ ما يقارب نصف قرن (٥٩ – ٦٠) ونهلت من علمه الغزير. و تعلمت من تواضعه الجم الكبير، الشيء الكثير... و الذي طالما شاهدته ماشيا على قدميه، حاملا جسمه البدين، و حقيبته المنتفخة. بالمصادر وأوراق المحاضرات، الثقيلة بكل تاكيد، وهو يدب على ساقين قصيرتين. يقطع المسافة التي لا تتجاوز الخمسة او العشرة كيلو مترات – لا استطيع التخمين تحديدا.. فانا بطبعي ضعيف في الجغرافية و تقدير المسافات – بين كلية التربية، في الوزيرية حيث، كان احد أساتذتها

الأجلاء، و كلية الآداب. التي كانت حينذاك، خلف بناية المجمع العلمي العراقي. في راغبة خاتون، حيث كان احد المحضرين المرموقين فيها..

وكنا نحن الطلبة، الشباب آنذاك.. الذين لا يتجاوز عمر أكبرنا سنا العشرين عاما نقطع المسافة نفسها، و الأقصر منها.. راكبين الباص (الحافلة).. باص مصلحة نقل ركاب الأحمر.. ذا الرقم " ٦ " بعشرة فلوس فقط، من القسم الداخلي في الوزيرية أيضا، و لكن على مسافة اقرب الى كلية الادب..واذ نراه في طريقنا نطلب من السائق التوقف لنقل استاذنا المحبوب.. صارخين بإلحاح:

-اختياري.. رجاء اختياري..

ويستجيب السائق لطلبنا و يتوقف فعلا.. و لكن أستاذنا الجليل، هذا الخزين المعرفي الكبير. من العلم و التاريخ والأدب و اللغة. الذي يسير فوق الأرض، على الرصيف. يعتذر بلطفه المعهود عن الصعود.. ويفضل السير على رجليه.. و يلوح لنا شاكراً صنيعنا.. بابتسامة ودود، تبدو على وجهه المدور، وخديه الموردين، مثل ابتسامة الطفل البريء اذ يلتقي ابويه.. ويواصل سيره الحثيث.. غير مبال بحر بغداد.. و لا بردها..

واستطرادا..

دخل قاعة المحاضرات. ذات يوم العلامة الفقيد الدكتور علي جواد الطاهر.. الذي أسعدني الحظ.. وهو أمر نادر الحدوث في حياتي، بشكل عام.. أن أكون احد تلامذته.. طيلة اربع سنوات كاملات، في موضوع النقد الأدبي. الذي هو احد اكبر أعلامه، تدريسا.. و تنظيرا و تطبيقا. و كان الانموذج الأفضل والمثال الأكمل للأستاذ. بل الصديق المحاور. و العالم المتفتح، الذي يسال و يسال و يسال... بروح ديمقراطية عالية، في سجال و نقاش.. و حوار جاد أصيل ثري مع الطلبة جميعا.. كأنداد.. بلا تعال ولا تعالم.. و لا ضجر ولا نفور.. مهما طال الوقت وتشعب السجال. مما لا يمكن للكلمات كلها ان تفي بعض حقه على كل من تشرف و تتلمذ عليه..

المهم

دخل الأستاذ الطاهر القاعة.. روى الحادثة لي احد زملائي الطلبة. إذ إني للأمانة. لابد أن اذكر، باني لم أكن حاضرا حينها.. و لا ادري كيف. و لا لأي سبب، أنا الذي كنت احرص الا يفوتني اي درس، من دروسه،، مهما كان الأمر.. قال:

-دخل الطاهر القاعة و هو يكاد.. " يخرب " من الضحك.. يغالب نفسه ما يستطيع.. و لا يستطيع شيئا.. وبصعوبة بالغة، تهالك إلى كرسيه، خلف المنضدة.. وهو لا يتوقف عن الضحك.. المكتوم المحصور تارة. والضحك المسموع المعلن تارة أخرى. مما أوقعنا في حيرة شديدة، فأسرع هو بالإجابة على الأسئلة التي تدور في الرؤوس .. وتطوف في فضاء القاعة بصمت. قائلا:

-ألتقيت وانا في طريقي الى الكلية، الدكتور مصطفى جواد، ماشيا، وهو يترنح تحت ثقل حقيبته المتلئة على الدوام.. فأوقفت سيارتي وكان الدكتور الطاهر، يملك حينها سيارة " فولكس واكن " من النوع الذي يسمى " الركة ".. وكانت سيارة قديمة متهدمة.. كثيرا ما "تحرن " في مكانها و تأبى الحركة الا بالدفع من قبل الطلبة..

و قلت لـه: تفـضل دكتـور.. اقلـك الى الكليـة معي..

بيد انه لم يتوقف عن سيره الدبيب.. و أشار الي مبتسما.. ممتننا، و هو يقول:

-شكرا جزيلا دكتور علي أنا " مستعجل ".

* * *

معـذرة اذا كنـت قـد أطلت، بعـض الـشيء، في الحديث عن أثنين مـن أساتذتي الأجلاء. فـاني، و بعد فراق تجاوز الأربعين سنة عنهم، لم تـتح لـي، لاسـباب عديـدة، فرصـة.. للحـديث عـنهم. عـن أولئك الاماجد الـذين علمونـا و احـسنوا تعليمنـا، حتى اليوم. اما ألان وبعد انتقالي الى السليمانية و اسـتقراري فيهـا.. فـاني آمـل أن أتفـرغ للكتابـة عنهم.. فأحقق بذلك واحـدة مـن رغبـاتي الذاتيـة و الموضـوعية الملحـة.. بايفـائهم بعـض مـالهم علـى من حقوق لا تعـد و لا تحصى.. في فرصـة اخـرى، او فرص أخرى...

* * *

وعودا على بدء، اقول:

لـو كـان العلامـة مـصطفى جـواد حاضـرا بـين ظهرانينا، بكله، لا بروحه و علمه حسب. لاستأذنته بكل أدب، ان استعير منه عبارته الشهيرة " قـل.. ولا تقـل " في برنامجـه التلفزيـوني الـشهير، التربـوي اللغوي، أوائل الستينات. و لتماديت أكثر.. و رجوتـه ان يوافق على إجراء بعض التغيير فيهـا.. و الإضافـة عليهـا، بحيـث تـصبح " قـل و اكتـب.. و لا تقل ولا تكتب ".. قل و اكتب التشويه العرقي.. و لا تقل ولا تكتب التطهير العرقي.

وشتان ما بين الكلمتين.. اعني كلمة" التشويه " التي هي التعبير الحقيقي المر عن واقع الحال. و بـين " التطهير " التي هي محض اختلاق و كذب وخداع.

أقولهـا للـزملاء الـصحفيين و الإعلامـيين.. وللأصدقاء و الكتاب و الأدباء.. و للإخـوة المؤرخين والبـاحثين.. و لـسائر أعـضاء الأحـزاب و قـادتهم.. أقولهـا للـسياسيين و الحكـام.. و المـسؤلين.. أقولهـا للمتناقـشين و المتنـاظرين والمتحـاورين.. أقولهـا للمـتكلمين و الخطبـاء و المراسـلين.. و.. و، لكـل الاخوة الذين يرددونها.. و يستخدمونها و يكتبونها في شـتى مجـالات اختـصاصهم، وعلـى كافـة الـصعد والاهتمامات. بحسن نية، و طيب سريرة.. لا يطالهما الشك.. باي حال من الأحوال.

ذلـك لان التغـيير القـومي.. او العرقـي.. أقولها بموضوعية تامة وحيادية مطلقة.. ان جرى في اي مكان من الأمكنة، و في اي زمـان مـن الأزمنـة.. ومـن قبل اية جهة او حكومة او مجموعة.. او.. او.. او.. و مهما كان حجمه.. لا يمكن ان يعد " تطهيرا " اي تنظيفـا !! او تنقيـة !! لواقـع مـا.. او حالـة مـن الحـالات او قوميـة مـن القوميـات.. او عـرق مـن الاعراق.. وانما العكس هو الصحيح تماما. وقد ان لنا ان نحترم الكلمة و معناها ومدلولها.. ونجل الكلمات ومعانيها و مـدلولاتها.. و لا نطلقهـا جزافـا.. وانمـا نعطيها حقها في التعبير عن مكنونها او مكنوناتها، ليس على صعيد.. السيمائيات و الابستمولوجيا وو.. و.. و.. حـسب. انمـا علـى صـعيد الواقـع الحـي المعيـوش.. مـن قبـل الملايـين و الاف الملايـين مـن البشر.. في سائر انحاء العالم. من الـذين عـانوا.. ومـا

يزالون يعانون منها الأمرين.. و الذين طالما اكتووا بنارها و ما يزالون يكتوون.. و يحترقون.. ويستحيلون رمادا تذروه الرياح.. او عظاما منخورة تخفيها الاتربة بين طياتها.

وكأمثلة معدودة حسب.. و على سبيل الذكر لا الحصر.. فقط.. ولا الأرشفة و لا التوثيق.. نقول:

ان ما جرى فى كوسوفو، بالامس القريب. من قتل وذبح و حرق و اعتداء و اغتصاب و تهجير. للمسلمين. لا يمكن ان يعد " تطهيرا " للعرق السلافي.. او تنقية.. او تنظيفا - بعض معاني التطهير - من الدخلاء.. او مما يشوب هذا العرق من شوائب.. او.. امراض.. او آفات.. او..

وما اتبعته " الدولة العثمانية " قبل ذلك بكثير، باسم الإسلام و الخلافة الإسلامية، في العالم كله، وفي دول البلقان السلافية نفسها.. بلغاريا و يوغسلافيا.. البانيا.. رومانيا.. الخ.. الخ.. لا يمكن اعتباره، تطهيرا للعرق الإسلامي، ان كان ثمة عرق خرافي،تحت هذه التسمية اللا علمية ، و لو على سبيل المجاز.. و لا تنقية للعنصر التركي او التركماني.. بأي حال من الأحوال.. اللذين كانت تحرص عليهما الحرص كله.

وما اقترفته الدولة الكمالية، فيما بعد، من الاضطهاد والعنصرية.. تحت اسم التتريك.. و تطهير العرق التركي.. من قتل وذبح وتشويه.. لمئات الألوف من الكورد والعرب و الأرمن و سواهم من الأقوام و الشعوب القاطنة في اراضي الاباء و الاجداد.. واجداد الاجداد.. قبل ان يصبح مؤسس الدولة نفسه نطفة في رحم امه.. بقرون.. لا يمكن عده بأي معنى من المعاني تطهيرا.

وما فعله هتلر و النازية من حرق لليهود.. ليس تطهيرا للعنصر الألماني.. او العرق الجرماني..

وما ترتكبه الدولة العبرية.. من تهجير.. للفلسطينيين.. لا يدخل باب التطهير.. بأي شكل من الاشكال.. و لا بأي تفسير من التفاسير..

ولماذا نذهب بعيدا، نضرب في الاصقاع و نتوغل في التاريخ.. وامامنا واقعنا المأساوي الحاضر.. و يومنا الدموي الراهن.. لأبناء جلدتنا الكرد.. في كردستاننا نفسها، مقطعة الاوصال والجسد.. ممزقة الفؤاد و الكبد.. بفعل السكاكين المسمومة.. لأنظمة فاشية عنصرية متسلطة.. تقترف ما تقترف.. تحت اسم التطهير العرقي.. العربي في سوريا.. التركي في تركيا.. الفارسي في إيران..

وهل يمكن لاي منصف، ناهيك عن أبناء الشعب الكردي برمته، ان ينسى.. بعض ما فعلته.. تحت الاسم نفسه، اعني التطهير العرقي.. الأنظمة الاستبدادية العنصرية التي توالت على الحكم في العراق ؟ ولاسيما حكم البعث.. تلك العصابة المنبوذة التي سرقت الحكم في (٨ شباط الاسود ٩٦٣) واغتصبت البلاد من أقصاها الى أقصاها وأغرقتها، عموما وكردستان بوجه خاص، في بحار من الدم.. وإحالتها بأسرها الى مقبرة جماعية هائلة.. للأحياء و الأموات.. من خيرة الأبناء والبنات.. وأضافت الى كل ما اقترفته الأنظمة الفاشية و الاستبدادية و العنصرية في العالم بأسره.. و على مدى تاريخ الاضطهاد و القتل و الذبح

والحرق. أضافت الى كل ذلك.. حملات الإبادة الجماعية و الانفالات المريعة.. و الكيمياويات الفتاكه.. و.. و.الاف الجرائم البشعة التي لا تتفتق عنها.. ولا تخترعها او تبتكرها الا العقلية العفلقية الصدامية المريضة التي تستعبد هذه الشرذمة الشاذة في كل شيء، من شذاذ الافاق.. ومن الاوغاد و اولاد الشوارع.. وخريجي المراتب (الكراجات) الموبوءة، باقذر القذارات.. ممن لا يملك اطهر اطهرهم ذرة واحدة من الطهارة او العفة او الشرف.

كيف يمكن لاي ذي ضمير، او حتى معدومه، ان يعد ما جرى في كركوك كمثال حسب.. يصلح ان يقاس عليه ماجرى في كل مدينة و قرية وبيت في انحاء البلاد، بقدر ما من التفاوت و الاختلاف في البشاعة و فنون القتل المبتكرة.. وتهجير عشرات الالوف من الكرد و التركمان و الكلدواشوريين وسواهم. وقلعهم من جذورهم المتوغلة في اعماق التاريخ و التربة الكركوكية السمحاء و من ثم اغتصاب و اجبار العديد من الاخوة العرب.. بعد انتزاعهم هم الاخرين من ارضهم وديارهم.. ومن تاريخهم ووجودهم.. و زرعهم في ارض اخرى ليس، بكل تاكيد، بقصد ترفيههم..و اسعادهم.. وانما بقصد حقن الشعب كله.. بجراثيم الاحقاد والخصومات و النزاعات.. بين سائر الفئات والاقوام.

كيف يمكن ان يعد هذا التشويه، تطهيرا، لمدينة كانت على مرّ التاريخ.. وما تزال وينبغي ان تبقى مثالا يقتدى به.. للتاخي القومي و العرقي بين سائر ابنائها ! و هي التي كانت.. و ينبغي ان تبقى موشورا ضوئيا و قوس قزح في الألوان و الأجناس والىلغات وتعدد الثقافات و العادات و الموروثات. كأي فردوس حقيقي فوق الأرض.. تختفي فيه البغضاء و العداوات و التجاوزات على الحقوق و الاستحقاقات.

والحقيقة المرة نفسها، تبقى ماثلة، حية، صارخة في الجنوب و الوسط، وفي كل بقعة تلوثت، بزفير البعث الفاسد الموبوء.. اذ عمد النظام الوحشي.. و بكل وحشية و قسوة على تهجير عشرات الألوف من الإخوة العرب الشيعة.. وقذف بهم بكل سفالة، خارج تاريخهم.. وتاريخ أبائهم وأجدادهم في شتى انحاء كردستان .

احسب انه قد ان الاوان. وان كان قد تاخر كثيرا.. أن نبادر إلى تصحيح ما لابد من تصحيحه وتصويب ما يستوجب تصويبه.. من الكلمات والمفردات. التي اشاعها حزب البعث كذبا و افتراءا.. ولعل أولاها و أقربها.. وأكثرها في التداول.. بحسن نية من قبل الكثيرين هي هذه التسمية / الجريمة.." التطهير العرقي ".. و الاستجابة السريعة و الجماعية.. للدعوة التي اطلقتها قبل عامين، في ورقة العمل التي قدمتها في ملتقى الحوار الكردي – العربي الذي انعقد في اربيل عام ٢٠٠٤.. و بينت فيها ضرورة تغيير سائر الألفاظ التي أطلقها حزب البعث وروج لها و نشرها على أوسع نطاق.. عبر أجهزتها وأبواقها الداخلية و الخارجية العديدة المأجورة والمرتزقة.. و الأمر لا يتطلب اكثر من عكسها واختيار او نحت الكلمات الضد لها، لكي يستقيم معناها.. ويصح.. استخدامها.. لأنها ليست الا مجموعة.. اكاذيب ومغالطات ومخادعات.. وان شيوعها مهما اتسع، حينها، لايبرر تداولها اليوم.

مثلما لم يكن مبررا في اي وقت مضى.. ولن يكون كذلك في اي وقت ات.

اذن بالعودة الى النبع الأصيل، الصافي، العلامة مصطفى جواد.. ثانية و ثالثة.. وعاشرة.. ووو.. و.. مليونا..

أقول للناس، سائر الناس. واوجه اليهم ندائي.. فردا.. فردا:

أيها الإنسان.. يا صاحب اللسان.. ويا صاحب القلم.

يا صاحب المسؤولية ازاء ما تقول.. و ازاء ما تكتب..

" قل و اكتب.. التشويه العرقي، لاتقل و لا تكتب التطهير العرقي ".



قراءة في مجموعة قصص نسوية كردية

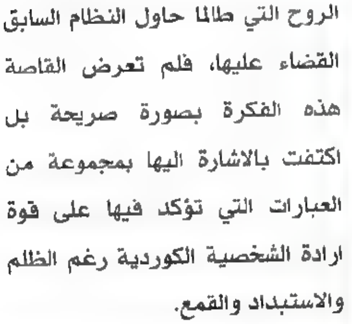
هاوژين عبدالخالق غريب

الادب كان ومازال عنوان الحضارة ومقياسها في كل انحاء العالم، ولم تقتصر هذه النظرية على الادب العربي او الادب الغربي فحسب بل شملت الادب الكردي ايضا باعتباره نتاجا لشعب عريق قد تحمل الكثير في سبيل تحقيق آماله وتطلعاته.

ومن الجدير بالذكر ان صفحات الادب قد شملت اعمالا ونتاجات متعددة لعناصر نسوية كان لها الدور البارز في ايصال الرسالة التي اراد الادباء الكورد نقلها الى المتلقي، تلك الرسالة كانت واضحة في اعمال اغلب الشاعرات والقاصات اللائي قد عبرن عن فكرهن باسلوب صريح احيانا وباسلوب ايحائي احيانا اخرى.

معنى هذا انهن كن على علم ودراية بالاساليب القصصية المختلفة. ونستطيع القول ان اسباب لجوء بعضهن الى الايحاء كانت متعلقة بظروف سياسية او اجتماعية او ثقافية. اي انهن لم يكن على مستوى بسيط من الثقافة بل على العكس تماما. وذلك واضح في اسلوب كتابتهن وتعبيرهن بصورة عامة.

-شيرين كمال- في قصتها المغزية (تلك المرأة تضع في كل عيد نوروز باقة من النرجس، امام الصورة الكبيرة له) التي اعتمدت على اظهار العاطفة القوية من خلال الكلمات ذات الوقع الجميل ومن خلال السبر في اغوار النفس الانسانية المليئة بالحب والعشق. فقد اعتمدت على اسلوبي السرد والحوار، وظهور صوتين اساسيين في القصة وهما صوت الراوي وصوت بطل القصة، اما صوتها فلا يظهر بصورة واضحة بل نستطيع تلمسه من خلال الصوتين الآخرين، وتكثر في القصة التداعيات الشخصية، فقد اعتمدت القاصة على هذا الاسلوب لكي تفسح المجال امام الشخصيات للتعبير عن نفسها دون تدخل ذاتي. اي انها تعرض الاحداث فقط ويبقى التفسير والتحليل على المتلقي. كما اعتمدت على تداخل الازمنة فهي تبدأ بالزمن الحاضر وتعود الى الماضي وتنتقل الى المستقبل. فهذا الاسلوب يضفي تشويقا اكبر على القصة ويبعدها عن الترتيب التقليدي للازمنة، اي انها قد اضفت شيئا من الحداثوية في هذا المجال. وارادت القاصة في هذه القصة افهامنا ان الروح والجسد لايفنيان معا بل يجب التفريق بينهما، فمن المحتمل ان يفنى الجسد لكن الروح باقية كما هي ولا يسع اي انسان القضاء عليها، وهذا مارادت القاصة عرضه واثباته لنا عن طريق بطل القصة الذي قتل ومع ذلك بقيت روحه تراقب مراسم دفنه. اي ان روح البطل باقية والجسد هو الذي فني، وهذا ايحاء على ان القتل وكل انواع التعذيب ليس في وسعها القضاء على شخصية قد بناها الزمن وكونها القدر، والهمتها الحياة الشجاعة، فليس من السهل القضاء على تلك





الروح التي طالما حاول النظام السابق القضاء عليها، فلم تعرض القاصة هذه الفكرة بصورة صريحة بل اكتفت بالاشارة اليها بمجموعة من العبارات التي تؤكد فيها على قوة ارادة الشخصية الكوردية رغم الظلم والاستبداد والقمع.

اما في قصة (الحبيبة الآتية من حلبجة) لـ(سوزان سامانجي) فنلاحظ انها اعتمدت على اسلوب التصريح في قصتها، فهي تحكي قصة حب تحدث بين فتاة من احدى العوائل الكوردية التي لجأت الى حدود تركيا اثر الظلم الذي الحقها النظام السابق لهم وبين شاب كوردي يعمل كسائق لنقل تلك العوائل من والى معكسراتهم التي خصصت لهم، فقد جاءت القاصة بعبارات واضحة لاتحتاج الى تعمق، واسلوبها الصريح هذا لم يؤشر سلبا على القصة بل على العكس فهي اوضحت التفاصيل الدقيقة والتي تساعد القارىء على الالمام بجميع جوانب القصة من ازمنة وامكنة وشخوص، فهي توضح حياة البشمركة والعوائل الكوردية التي لجأت الى الجبال والحدود آملة النجاة من بطش النظام السابق، وجاءت القاصة في نهاية القصة بعبارات تعزز فكرة الترحال الدائم للبيشمركة ولذلك فهي قصة واقعية لانها فعلا عبرت عن الحالة التي كانت يعاني منها الكورد في تلك الفترة، ونستطيع القول ان

سوزان سامنجي قد وفقت في نقل فكرتها باسلوب هاديء جميل، وهذا يؤكد ان القاصات الكورديات قد اختلفن في اساليبهن حسب الحالة وحسب الرؤية الشخصية لكل منهن، لكننا بصورة عامة نستطيع القول ان المعاناة هي واحدة وهي تظهر بصورة او باخرى في نتاجاتهن. وفي هذه القصة لانجد العبارات الايحائية ولانجد الكلمات الغامضة وبالتالي فاننا لانجد الموسيقى النابعة من تلك الكلمات، لكننا في نفس الوقت نلاحظ ان الموسيقى تنبع من داخل النص نفسه وذلك من خلال الواقعية الموجودة فيه وهي التي تجعل القاريء يحس وكأنه يستمع الى موسيقى كان قد عرفها يوما، والقاصة تعبر عن فكرتها عن طريق الحوار والسرد الموجود في القصة.

اما قصة (لهجرة من القدر) لـ(سحر سليمان) فتبدأ بوصف عام للحارة التي هي مكان احداث القصة، وبعدها تدخل في وصف الشخصيات الرئيسة فيها واهمها شخصية (اكوب الارمني) وشخصية (فرحة) وهو اسم مستعار لفتاة اسمها في الحقيقة (دلبرين) وتدخل القاصة في تفاصيل الشخصية وتتعرض لحوادث اضرت بالقصة اكثر من افادتها، لان القاريء عندما يبدأ بقراءة هذه القصة تشده الاوصاف الرائعة للحارة والشخصيات، لكنه بعد ذلك سيصاب بالملل وسيشعر وكأنه لايستيطع اكمال القصة، هذا الجانب السلبي جاء نتيجة التعمق والاسهاب في التفاصيل والحوادث، اذا حاولت ما القاصة التقليل من تلك العبارات الطويلة لاحتلت قصتها مكانا اوسع عند القراء، وقد لجأت الى الجمع بين اسلوبي التصريح والايحاء في عرض قصتها وايضا جمعت بين السرد والحوار، لكن السرد قد غلب عليها مما جعلها قصة تقليدية من هذه الناحية وطريقة سردها كانت مركزة على العبارات الطويلة التي كان يمكن الاستغناء عنها، فسنرى في نهاية القصة ان القاصة قد وفقت بصورة رائعة في عرض فكرتها التي مهدت لها في بداية قصتها من خلال العبارات والشخصيات، فهي ارادت ان توضح وتعرض مصير الحب الذي كان يؤول اليه معظم العشاق في نهاية مسيرتهم، فالحب كان محرما في فترة من الزمن وكان مصير العشاق اذا اصروا على حبهم انهم سيعيشون طيلة حياتهم خائفين من شبح الموت الذي سيظل يطاردهم، هذه هي التقاليد التي كانت محيطة بالمرأة. فالقاصة في هذه القصة تطرقت الى هذه الفكرة وكانت واقعية جدا في تحديد مصير (دلبرين) البطلة وهي (فرحة) التي هربت مع (عارف) ذلك الشاب الوسيم الذي احبته وهربت معه دون ان تفكر بالعواقب، فمصيرها كان الموت ذبحا على يد اخيها وسحر سليمان استطاعت ان تجعل المنظر ماثلا امام اعيننا.

سحر سليمان

اما عند قراءتنا لقصة (حياة معلبة) لـ (هيفاء زنگنه) فسنلاحظ انها على مستويين، مستوى سطحي يدور حول الحياة الروتينية التي يعيشها زوجان وقد اصاب زواجهما الملل مما اثر على طريقة تفاهمهما مع بعضهما، ومستوى عميق يتركز

في حالة (حسون) وهو طائر مغرد محبة وفي قفص في ذلك البيت، فحالة (حسون) تمثل حالة اللاحركية والسكون او التحرك في محيط صغير يزيد الامر صعوبة، فالطير هو مثال على حالة الانسان الذي فرض عليه التشابه في ايامه، فاليوم هو نفسه البارحة والمستقبل، فالمستوى العميق هو مغزى القصة والقاصة ارادت بذلك ان تعبر بطريقتها هذه وهي الطريقة الايحائية عن فكرتها واملها في الحرية اذ تصورت حالة الانسان كحال (حسون). ونلاحظ في القصة التركيز على (العنصر الزماني) بشكل واضح، اذ يتداول ايراد الازمنة الحاضرة والمستقبلية والماضية مع وجود عنصر التساؤل حول ماهية ذلك الزمن، فالزمن في القصة غير معلوم احيانا مما يجعلنا نشعر بحالة اللااستقرارية في واقع القاصة، اذ ان معاناتها نابعة من الواقع وعند هذه النقطة يلتقي من ناحية الخيال. ونلاحظ حالة (التبادل الحسي) وذلك من ناحية الصوت، اذ ان صوت حسون استجاب لصوت الآلة اذ لولاها لبقي حسون في سكونه، وهذا يعني ان الطائر المحبوس في القفص تأثر بشيء خارج قفصه، وجعله يغرد بصوت جميل،وهذا ايحاء على حالة الانسان الذي بقي دائما يناجي الحرية في كل شيء، وهذا نابع من الواقع.

ايام مع.. عبدالله گوران

مثرى العاني



في احدى قصائده يقول گوران:

كنت بلبلا

واود ان اغرد للشعب مابقيت حيا

وان اقتات على كسرة خبز يابس

وارتدي رث الثياب

ان گوران الشاعر هو واحد من اعاظم شعراء الامة الكرديةو في مجمل تأريخ الادب الكردي. وهو

امر لايمكن ان يختلف حوله اثنان. لقد اغنى الشعر الكردي بروائع شعرية جعلته يقف في مصاف ابرز شعراء العالم امثال شكسبير وناظم حكمت وبابلو نيرودا واراغون ومايكوفسكي والجواهري وآخرين سجلوا ابداعاتهم في سجل الخالدين. لقد كانت الصدفة وحدها هي التي جمعتني وعرفتني بهذا الشاعر المبدع العظيم.

ففي الربع الاول في عام ١٩٦٢ سكنت دارا في منطقة البتاويين في بغداد وكان يسكن معي في نفس الدار رجل اقترب الى القصر منه الى الطول نحيف الجسم غائر الخدين ابيض شعر الرأس لايتجاوز عمره حينئذ عن الستين عاما، بسيط في ملبسه وئيد في خطواته خفيض في حديثه.

صباح كل يوم وعند مغادتي الدار كنت التقي به في بعض الاحيان فنتبادل تحية الصباح حيث يذهب كل الى مقر عمله. يتكرر اللقاء بعد العودة وتتكررا التحية حيث يدلف كل واحد منا الى غرفته.

عند عودتي من الدوام بعد الظهر كنت احمل بيدي بعض الصحف اليومية والمجلات او شيئا من الكتب اكون قد اقتنيتها عند مروري، باحدى الكتبات. اقترب مني في احدى المرات مبتسما بعد ان القى تحيته الجميلة سائلا عما احمله وراجيا اعارته بعضا منها.

تكرر اللقاء لاكثر من مرة واصبحنا نلتقي ونزداد اقترابا وتفاهما، فأخذ يسألني عن اهتماماتي ومطالعاتي الادبية وامورا كثيرة في حينه. بعدها توطدت علاقاتنا وازدادت وثوقا فكنت اخرج معه نتمشى في شارع الشجر من بغداد وكانت تتوسطه حديقة. كان ذلك عصرا ثم نتبادل الاحاديث الادبية ونتناقش في الامور الحياتية والسياسية الساخنة التي كان يضج بها الشارع العراقي في حينه وكانت اراؤنا وافكارنا متقاربة ومتطابقة في كثير من الاحيان.

بعدها تبين لي اهتماماته الشعرية الكثيرة وسعة اطلاعه وبعد رؤاه الفكرية الناضجة والمتميزة وفي كل مرة كان يؤكد لي حبه للشعب الكردي والعمل من اجله اضافة الى اعتزازه بعراقيته وحبه لوطن.

اخذ يحدثني عما عاناه في حياته ولبعض مراحلها والمصاعب التي اعتراضته واجتازها والمحن التي انتابته ومنها قضية ولده الذي كان يتحدث عنه بالم وحسرة حيث وجدته مهموما جدا بقضيته خاصة موقف احد وزراء العهد الملكي منه ومن ولده وقد تبين من حديثه انه احد وزراء داخلية ذلك العهد الذي اتخذ منه موقفا مناوئا ومعاديا.

اطلعني على بعض قصائده المنشورة في حينه ثم زودني باكثر من قصيدة من ابداعاته وكان يلقيها علي بصوته الخفيض. كما انه زودني ببعض قصائده المترجمة الى العربية.

على مر الايام ازدادت علاقاتنا ترابطا وتوثقا بحيث انه كان يصر للقائي وزيارتي في غرفتي لفترات ليست بالقصيرة.

في واحدة من لقاءاتنا استفسرت منه عن سبب عدم استفادته من الموروث الشعبي الكردي لكتابة مسرحيات تغني الادب وتعزز مكانته فاوضح لي ان

لديه اكثر من مسرحية وداوبريت كان قد كتبها ونشرها خارج العراق وداخله في مجلات معروفة وهي من من التراث الشعبي والادبي الكردي الزاخر بالعطاء وعدني ان يزودني بها عند توفرها لديه لكن ذلك لم يحصل الا انني اطلعت عليها بعدئذ منشورة في الاثار الشعرية الكاملة التي ترجمها وقدم لها الدكتور عزالدين مصطفى رسول مما دفعني لاعداد دراسة مطولة عن مسرح عبدالله كوران هي الاولى من نوعها عن مسرح هذا الشاعر المتفرد المبدع.

كان عبدالله كوران خجولا جدا لا يتحدث عن نفسه وشعره الا قليلا، ينصت لحدثه لايرفع صوته اذا تحدث الى الاخرين، يصغي باهتمام عندما يتحدث معه اي انسان لابل كان يحاول ان يقترب من محدثه احتراما له واعتزازا بحديثه، الم يفتب شخصا طيلة فترة تعرفي عليه ولم يتحدث بسوء مع من حاول ايذاءه او الاساءة اليه كان يتحدث باعتزاز واعجاب عن الحركة الوطنية في العراق وكذلك عن الحركة الوطنية للشعب الكردي الذي كان يعاني من ظلم وتعسف وهو جزء من الظلم والتعسف والشقاء الذي كان يعانيه الشعب العراقي وقواه الوطنية والثورية.

عبدالله كوران/ انسان بكل معنى الكلمة مناضل عنيد وجسور وشاعر متفرد وعظيم شفاف بكل تصرفاته رجل صلب،

في احد الايام جاء ليخبرني ان لقاءنا هذا سيكون الاخير فقد قرر الانتقال الى سكن ثاني دون ابداء الاسباب، تأثرت بذلك كثيرا وطلبت منه ان لا يغيب عني ولكي اشجعه واحفزه على استمرار علاقاتنا الحميمة فقد بينت له اني سوف احتفظ بالمجلات والجرائد لازوده بها كلما قدم لزيارتي لكن ذلك لم يحدث مع الاسف الشديد.

لم اتمكن من الاحتفاظ بقصائده التي زودني بها بسبب الهجمة السوداء للحرس الفاشي بعد قيام الانقلاب الدموي المرعب المشبوه في ٨ شباط ٩٦٣ فقد تعرض داري الى التفتيش من قبل جلاوزة النظام الفاشي بعد اقتحام الدار التي كنت اسكنها والعبث بموجوداته واستحواذهم عل غالبية الاثاث وماموجود في الدار من كتب ومجلات وجرائد ورسائل ومن ثم اعتقالي في احد المعتقلات التي امتلأ بها العشرات واحتوت خيرة مناضليه. ومن ضمن ماتم الاستحواذ عليه بعض الصدور العائلية او التي كانت تجمعني ببعض اصدقائي حيث اصبحت دليل ادانة ضدي عند التحقيق معي، فقد صادروا حتى الصور العائلية والشخصية لكنهم لم يستطيعوا ان يصادروا حرية العراقيين وثباتهم. وسيبقى الشعب العراقي يذكر اعمالهم ومخازيهم التي ستكون في مزبلة التأريخ.

لقد مضيت اياما رائعة ومثمرة مع الشاعر العظيم والمبدع عبدالله گوران ولم اتمكن من تكملة المشوار معه والاستفادة من تجاربه وخبراته الثرية فقد قرأت بعد ذلك بعدة شهور اسفت على رحيله المبكر وهو في اوج عطائه وابداعه.

الأنثى و الوطن

في لوحات الفنانة شيلان جبار

دلشا يوسف



من كندا حيث تسكن الفنانة شيلان جبار حملت لوحاتها و حطت كطائر مهاجر في بلدها و مسقط رأسها في السليمانية لتعرض لنا ما ابدعته أناملها من لوحات تحمل روح الفنانة و رقتها اللامتناهي و تناغمها في الألوان حيث الجمال بأرقى اشراقاته. بدأت شيلان بالرسم من بداية الثمانينات، اي منذ الطفولة. حصلت على شهادة الدبلوم من معهد الفنون الجميلة في السليمانية وتخرجت سنة ١٩٩٦. افتتحت اول معرض شخصي بها في ١٩٩٤ في صالة معهد الفنون الجميلة بالسليمانية و غير ذلك شاركت في عدة معارض مختلطة حتى عام ٢٠٠٠. هاجرت الى خارج الوطن في ٢٠٠٠ و انتقلت بين سوريا و بريطانيا الى ان سكنت كندا . في سوريا سنة ٢٠٠١، شاركت في معرض عالمي اقامه المركز الثقافي الفرنسي و لفتت أنظار الفنانين و المعجبين. بعد ذلك و في كندا شاركت في أكثر من اربع مهرجانات عدا معرض شخصي في ٢٠٠٤ و حصلت في نفس السنة على دبلوم التخصص في التصميم و أفلام الكارتون و الكومبيوتر، الى جانب كيماء الألوان من المعهد الفني في كندا. عرضت شيلان آخر معرضها الشخصي الخامس المؤلف من اثنتاعشرة لوحة من نتاج مرحلة الغربة في صالة متحف السليمانية بتاريخ١٣-٥-٢٠٠٦. ستتابع الفنانة شيلان دراستها العليا في آكاديمية الفنون الجميلة في كندا في مجال أفلام الكارتون و الرسم.

التقينا الفنانة شيلان جبار في السليمانية و كان لنا معها هذا اللقاء:

كيفية تشخص الفنانة شيلان الأنثى الطاغية في لوحاتها:

تلعب الأنثى في لوحاتي دور الأم و الأرض، تمثل الأنثى لدي الوردة الحمراء في كل الألوان و الحالات و المستويات. هي الفصول الأربعة. لذا فالأنثى تتلون في لوحاتي بألوان الأرض و الوطن و الغابات و لكوني انثى أشعر و بعمق بدواخل المرأة و لهذا تنعكس على لوحاتي أكثر.

أنا في لوحاتي قاصة و لهذا تظهر شخوصي انثوية أكثر. أعبّر فيها عن روح الأم و الطبيعة. غير ذلك يمثل الجنس الآخر لدي الحب والحنان و الحبيب و الطفل الرقيق لهذا يظهر الرجل في لوحاتي على سمتين فهو مرة يمثل الأب الذي يحتضن ابنته بحنان كبير و في مرة أخرى يمثل الحبيب الذي يوهب الحب و الحياة للأنثى. يبدأ كل شيء و ينتهي بوجود الجنسين معا



في لوحتك التي سميتها (الفتاة المنبهرة) يظهر الجمال بأقصى درجاته، هل هذا نابع من وعيك كإمراة بذاتك أم ماذا؟ من أي منطق تستمدين تعابيرك الجمالية في هذه اللوحة؟

في الوقت الذي رسمت فيه هذه اللوحة شعرت ان كل شيء من حولي جميل و رقيق و لكن قلبي كان حزينا الى جانب انني كنت في قمة شعوري بالغربة و الوحدة. حينما رسمت هذه اللوحة كان أطفالي و زوجي نياما. نعم يبدوا الجمال بأعلى معانيه في الوجه الذي رسمته لكنني في أعماقي كنت أبكي الوطن و الغجريات اللواتي تسكنن اطراف المدن الكردية و الأطفال الذين يفترشون الأرصفة في كردستان و بيدي قلادة جميلة أضعها على أعناقهم. كل هذا الشعور صببته في هذه اللوحة التي أسميتها(الفتاة المنبهرة).

انا من عادتي ان أسمي جميع لوحاتي و ذلك بعدما انتهي من رسمهم تماما. كون لوحاتي نتاج شعوري الحقيقي .فأشعر كأنني ارزق بطفل فأسميه. وكل لوحاتي بمثابة أطفالي.

كيف تربطين بين الروح الشرقية والمفاهيم والمدارس الغربية الجديدة وبالأخص انك تعيشين في بلاد تغد فيها العولمة و ظاهرة التعرّي في الأوج؟

حينما تركت كردستان شعرت بحالة من اليأس و القنوط و لم أكن أتصور حصول ذلك لي و لكن يبدو ان الأمور تطورت بشكل لا شعوري. أنا و بعد خروجي من الوطن شعرت أكثر بقيمة الوطن و مدى حبي و تعلقي به، فقد بكيت للوطن مثل الأطفال. كنت اشعر في بعض الأحيان انني جسد بدون روح. بعد ذلك و عندما اختلطت بالثقافات الأخرى حصل هناك تطورا كبيرا في مفاهيمي و منطق الحياة لدي، ففي سوريا مثلا تطور لدي الحب و الحسن الجمالي و لاقى فني هناك تقبلا كبيرا من قبل شريحة و اسعة من المثقفين و بالأخص لدى الشباب.عكس ذلك و عندما وصلت لكندا شعرت ببرودة كبيرة و تواجهت مع ظروف جديدة حيث الإتجار بالفن و التكنولوجيا و هناك تراجع كبير في العاطفة الإنسانية. حتى ان المجتع أصيب بحالة من الكآبة كون الإنسان تحوّل الى مجرد آلة. هناك فنانين

كثيرين و امكانيات كثيرة، لكن و في حال اذا تغلبت الظروف على الإنسان يحصل كارثة انسانية. فالإنسان يصغر جدا امام القوة التكنولوجية الهائلة، و لكنني تصرفت بحذر عند التعامل مع المجتمع الكندي، كي لا افقد الروح الشرقية. و هنا ارفع امتناني لزوجي الذي يعمل لوحده من أجل تأمين الظروف المناسبة لأستمر انا في الإبداع الفني ـ وتنمية قدراتي و كي لا اضطر الى الإتجار بفني، لأن الإتجار بالفن يقلل بالتأكيد من قيمته الفنية. صحيح انني اعرض لوحاتي للبيع، لكنني لا أرسم لوحاتي بغرض تجاري، فانا ارسم ما يمليه علي روحي وبعد ذلك أعرضهم. يأخذ الفن في الغرب شيئا فشيئا طابعا تجاريا ولكنني رغم ذلك مستمرة في الحفاظ على طابعي الفني الخاص بي الى جانب الإستفادة من الكم الهائل من التطور الفني الموجود في تلك البلدان. لذا فانا أعد نفسي للحصول على الماجستير في فن أفلام الكارتون و الكومبيوتر.



بماذا تحلم و بأي فضاء تحلق الفنانة شيلان حينما رسمت لوحة (شقائق النعمان)؟

هذه اللوحة تظهر فتاة ممددة على أرضية معشوشبة في سهل و قد لبست الأحمر. تحكي اللوحة عن أعماقي التي ترضى فقط ان تنمو وردة حمراء في احدى سهول كردستان و تينع في كل ربيع على أرض الوطن.

تبدو الفنانة شيلان الى جانب حسنها الجمالي العميق، باحثة في دواخل الإنسان. ماذا تقولين بهذا الأمر؟

يتألف الإنسان بشكل اناتومي من كتلة من اللحم و الدم و الخلايا. لكنني أفكر بشكل صوفي و أؤمن بأن الروح واللاشعور مسيطران على العقل و في بعض الأحيان يمكن ان يسيطر حلم ما على الإنسان بشكل كامل. لذا ادعو الإنسان الى البحث في أعماقه ليعرف روحه جيدا من ثم يبدا التحاور مع الآخر . الروح بريء جدا و يحلق كالفراشة في دواخل الإنسان. الإنسان بطبعه قلق دائما، لكن الروح يهبه الجمال فيرى الأشياء أجمل.

اللون الناري(الأورانج) غالب على لوحاتك؟ كيف تطورت لديك تدرج الألوان؟

في أعمالي الماضية اي بين فترة ١٩٩٤-١٩٩٧ كنت أستخدم الألوان القاتمة و الباردة التي تشير الى الهموم

و الأحزان و الخوف. كانت ألواني تحكي عن الحرب الأهلية بين الأطراف الكردية من جهة و استبداد النظام من جهة أخرى. بعد ذلك و كلما تقربت أكثر من داخلي و كشفت في نفسي الروح الغجري، شعرت بتطور كبير طرأ على فني. بعد خروجي من كردستان تدرجت و تحولت لديّ الألوان من ألوان خريفية(قهوائي غامق، أخضر عفني) لكن في الفترة الأخيرة بدأ اللون الناري يطغى على لوحاتي. أظهر من خلال هذا اللون عشقي و شوقي للأرض و الوطن و الأحبة. انه عشق مجنون.

ماذا تقول شيلان في نهاية لقائنا هذه؟

أوجه شكري و محبتي لمحبي و متذوقي فني و أتمنى ان اكون عند حسن ظنهم و اقدم لهم المزيد من الأعمال الفنية في المستقبل.

سلمان رشدي: البشر اخترعوا الديانات و جميع أصدقائي ملحدون.. ولست استثناء بينهم



قال الكاتب البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي صاحب الرواية الشهيرة "آيات شيطانية" لمجلة ألمانية إن التطرف الديني هو "الشيطان المتطرف في عالمنا الحالي"، مؤكدا "جميع أصدقائي ملحدين.. لا أشعر بأني استثناء".

وأضاف سلمان رشدي لمجلة دير شبيجل الواسعة الانتشار "إذ تطلعت إلى التاريخ سوف تجد أن الإدراك حول ما هو خير وما هو شر وجد دائماً وقبل الأديان. لقد اخترع الناس الديانات لاحقاً من أجل التأكيد على هذه الفكرة".

ويروي كتاب رشدي الأخير "شاليمار المهرج" قصة عامل في سيرك يتحول إلى الإرهاب نتيجة امتزاج عدة دوافع سياسية وشخصية لديه.

وقال رشدي أن لأسامة بن لادن "تأثير جيد واحد وهو إقناع بعض التنظيمات مثل إيتا الباسكية بالتخلي عن الإرهاب".

وأضاف "غير أن هناك شيئاً يجب أن يكون واضحاً: الإرهاب ليس السعي وراء أهداف شرعية من خلال وسائل غير شرعية. مهما كان القتلة يحاولون تحقيقه، فإن الوصول إلى عالم افضل ليس بالتأكيد أحد أهدافهم".

وكان رشدي المسلم بالولادة قد نشر كتاب "آيات شيطانية" في العام ١٩٨٨ ما دفع النظام الإيراني بزعامة آية الله الخميني إلى إصدار فتوى أباحت دمه. وخصصت ايران جائزة مالية لمن يقتله. ما تزال قائمة حتى الان.



قراءة لرواية
(الطريق الى تل مطران)

رؤوف بيكەرد

ماذا تكون الرواية بين الاجناس الادبية الاخرى؟ قد تكون ذلك الوعاء الذي يحوي الحياة بكل تعقيداتها واحتمالاتها، ليلج كينونة الانسان ويرصد الاضطرابات النفسية والعاطفية التي تدفعه الى الحب والتضحية او الى ارتكاب الجريمة، او التيه في المعاناة الانسانية الخلاقة التي تطهر الانسان وتؤدي به الى ذروة النقاء والخلود. فكلما كانت الرواية تعبيرا اصدق عن الافكار والرؤى الانسانية لمعاينة ماتخبئه الذات من نوايا او هموم، تفتحت افاقها الابداعية اكثر لايصال رسالتها والسير بديمومتها المتجانسة نحو اغناء مسيرة الحياة. انها، وفي صورة متخيلة، وقوف الذات في العراء بكل تساميها او انتفاخاتها المستورة، انها تجسيد لصورة المجتمع الذي ينتمي اليه الانسان بكل التباساته المتناقضة.

لقد قدر للروائي ان ينغمس عميقا في عوالم ابطاله، ليكشف قداستهم او نذالتهم، او ليلتقط بذرة خير من محاصيل شخوصه الشريرة ليرفعهم الى الاعلى ويحولهم الى ابطال نموذجيين بعد ما كانوا في الواقع شخوصا نمطيين او هامشيين. وبهذا قد انجز الروائي لنفسه مهمة خطيرة ومشرفة في الان ذاته، لخلق عمل فني لايحاكي المعلوم بقدرما ينفذ المجهول.

رواية (الطريق الى تل مطران) للروائي العراقي (علي بدر) اثارت لدي جملة من الاسئلة عن الحياة والجمال. انها رحلة قاسية، وممتعة ايضا، في عوالم عاطفية وفكرية واجتماعية ونفسية. ولاسيما العالم الذي يبدأ ظاهريا بثوابته المعهودة لينتهي بنقضيه المتحرك. عالم من الهواجس والخفايا التي تدور في احدى دور العبادة، ورغم بعده التخيلي،

لكنه الاقرب الى العالم الذي يحيط بنا دون ان نتبه له.

الشخصية الرئيس في الرواية، الذي يستعير لسان الراوي، شاب مثقف يبحث عن عمل، يعيش في بغداد وقد سرح من الجيش عقب انتهاء الحرب مع ايران. يزور المؤسسات الثقافية ومولع بقراءة الكتب. ولاسيما مواضيع النجوم والابراج وتحضير الارواح وقراءة الكف. وقد تأثر كثيرا بصديقته الكلدانية (ليليان سركيس) التي (لها مظهر منجم، والمشبعة بنوع خاص من القدرية (ص ٧) وعند زيارته للمكتبة البريطانية في بغداد، يصادف السيدة (صافيناز اوغلو) التي والدها شاعر تركي معروف وصديق لناظم حكمت. هي جميلة وجذابة ومثقفة، تتكلم عن ادونيس وماسينيون وبولص نويا اليسوعي الذي كتب مقدمة لكتاب ادونيس (الثابت والمتحول) فتقترح ان يذهب الى مدينة (تل مطران) لتعليم اطفال السريان اللغة العربية. وتكتب رسالة باللغة السريانية للأب عيسى اليسوعي وهو يرعى بيعة الكلدان الكاثوليك في المدينة، توصيه بمساعدته وتعيينه كمعلم هناك.

تقع المدينة في شمال غرب الموصل. لها خصوصيتها الدينية والاثنية، سكانها يتكلمون السريانية والكردية والعربية. محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم وبالاساطير وخرافاتهم المتوارثة. وعند وصوله الى هناك في جو قارس من الزوابع والامطار والرياح، ينتابه شعور غريب وهو يحس بظاهرة فريدة من نوعها. لان وجوده هناك يخلق جوا من الرعب والفوضى في نفوس السكان. انهم يهربون منه صارخين، وهو المذعور من المفاجئة. والسبب هو نبوءة عرافة. كردية بأن موت الاب عيسى اليسوعي يصادف مجيء احد الغرباء الى المدينة، ومن ثمة ظهور النبي المنقذ (ص ١١١) عدا ذلك فان الكلدان، كما يدعي القس قاشا (يخشون الغرباء كما يخشون الموت) ولكن المعلم لن يتراجع، جاء بحثا عن العمل وكسبا للمال. لذا يتوجه الى البيعة الكلدانية ليلتقي بالراهب قاشا خوشابا، فيخبره بان الاب عيسى يحتضر وهو على سرير الموت ولايستطيع المعلم ان يزوره ويسلم له الرسالة.

الراهب قاشا شخصية محورية في الرواية وعنصر مهم في مجمل الاحداث والوقائع التي تحدث هناك. انه مولع بالدانونزيو وشوبنهاور ونيتشه. يتحدث عن سركون بولص والسياب وتراجم سعدي يوسف لكافافي ورتيسوس، وترجمة ادونيس للشاعر الفرنسي سان جون بيرس، عن مجلة (الشعر) ومجلة (حوار) وهو صديق الطفولة لسركون بولص عندما كانا يسكنان مدينة كركوك.

مناقشات المعلم مع الراهب تبدأ بالادب والشعر ومن ثم عن مفهوم الخير والشر، النخبة والعامة او كما يسميها القس بـ (الحثالة) ويعبر عن رأيه هذا بصراحة ويبرر الاقتتال فيما بينها، لانها -حسب مفهوم القس- (اكثر الكائنات استعدادا لهذا الامر ليخلص المثقف من شرهم، لان ليس فيهم بريء على الاطلاق، وما ان يرى احدهم المال وتتوفر في يده القوة الكافية حتى يتحول الى جبار (ص ٩١) ويرى القس انه من الضروري ان يقسم العالم الى اخيار واشرار ونصرة الاخيار ليتخلص من الاشرار.

ويتبنى القتل الضروري عن الابادة الحقيقية والصريحة لمجتمعات لم تعد صالحة للحياة. ان هذه الافكار تذكرنا بما طرحه دوستويفسكي في رواية الجريمة والعقاب وعلى لسان بطله الرئيس راسكولنيكوف. فهو ايضا عندما يتكلم عن الجريمة وابعادها ودوافعها يجيز قتل الضعفاء على يد العباقرة والاقوياء. وهو المنهج الفكري للفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه وبطله الخارق (السوبرمان).

ان القس قاشا كاتب وله مؤلفات عن الارساليات وعن تاريخ الفاطميين، وكتاب عن المسرح فيه صورته التي تعود الى ايام شبابه، قبل ان يتحول الى راهب، وله ديوان شعر مع مقدمة لسركون بولص. اما كتابه المهم فهو كتاب –الساعات- الذي يتضمن حياته وافكاره ومسيرته الادبية قبل ان يصبح قسا، يبحث عن نشأته ونظرته الى الدين والحب والفلسفة والشعر والرواية، وكذلك اراء حول نيتشه ودانونزيو، من شتيرنوا الى دوستويفسكي، من ادونيس الى ريلكة، يتحدث فيه عن المسيح ويضرب من حياة ايفاغاردنر مثالا، وعن القدر والمصير ويضرب المثل بمارلين مونرو، وهكذا يصبح كل شيء في خانة واحدة:المسيح وجيرار فيليب، بولص الرسول وكاري كوبر. وهو اخيرا يؤمن بالسريالية ويعتبرها قدر البشرية الاخير ومصيرها. لانها لاتتعارض مع الدين، وبما ان الدين قد تبنى في نشأته المفاهيم الشعرية كالرؤيا والكشف، وحققت المفاهيم الميتافيزيقية والفانتازيا واللامعقول، وبما ان بناء الدين بالاساس بناء شعري، فسيكون خياره الاخير بسبب شعريته بناء سرياليا. لذا تكون فكرة ظهور المخلص كتحقيق سريالي للفكرة الشعرية منه (ص ١١٤). والقس يناقش من لم يقدر قبله ان يوصل هذه الافكار الى نهاية الطريق، بل بقي في منتصفه امثال ادونيس ويوسف سعيد وصلاح فائق. وقد وقع الاختيار الالهي عليه بتأدية دوره النبوئي ونشر رسالته بجدارة واكمال المسير للنهاية.

اما عن الارادة والاختيار فهو يرى في الانسان وكأنه دمية مطواعة ومنزوعة الحرية، ليس لها ارادة التغيير فهو مربوط بخيوط غير مرأية من السماء. تغوص في الظلام وتتهاوى. وان الموت هو السيد الكاسح للبشرية وليس لها الا ان تجد منفذا للتخلص من كابوس المنية لتنعم بالراحة. لذا اخترع القس عالما خياليا لايتمتع فيه الموت بالسيادة، هو عالم الشعر (ص ١١٦) ولو ان القس شاعر فاشل.

في الرواية شخصية اخرى مهمة ومؤثرة ايضا على سير الاحداث. وهي السيدة (شميران) الفتاة الذكية والجميلة والمساعدة للقس، انها غامضة وباطنية ماكرة تعيش منذ زمن هناك وتعرف كثيرا عن المدينة وساكنيها والبيعة وعن نوايا القس واسراره. لقد احب أمها قبل عشرين سنة مضت معلم يشبه تماما هذا المعلم الذي جاء الى المدينة، وفقدت عذريتها معه كما تفقد شميران ايضا عذريته مع هذا المعلم الجديد وفي الغرفة نفسها، وقد هرب في ذلك الحين وخان امها لتقتل هي على يد والدها وكانت امها تريد الانتقام من زوجها ولكن بعد فوات الاوان. وتدعي شميران بانه والدها وتعلق

صورته في غرفتها. تبوح شميران للمعلم بما تعرفه عن القس خوشابا، عن نيته في قتل الاب عيسى والاعلان عن ظهور النبي الذي لايراه احد سواه، وهو الوسيط بين الناس وبين النبي المنقذ كما يدعي هو، كما تخبره بانها تبحث سرا عن كنز الايزديين الذي دفنه الامراء الاكراد الهورامانيون في تل مطران عند والد جدها، وهي تكره القس وتسميه بالخبيث والحقير لانه يكره العامة ويسميهم بالرعاع أو بالحثالة، كما وانه يعيش على المكيدة ونسج المؤامرات. لذا تريد الخلاص منه بأية طريقة كانت، قبل ان ينجح في تنفيذ مآربه ويستولي عليهم ويفرض على الناس كل مايريده باسم النبي (ص ٣٤٦).

وفي الليلة التي يموت —او يقتل فيها الاب عيسى اليسوعي- يحضر قاشا للاعلان عن ظهور النبي المنتظر، يجمع الناس ليبدأ خطابه الشعري والحماسي لهم، كي يستجيبوا لافكاره والاعتراف به كوسيط بينهم وبين النبي المنتظر. تتعهده شميران بانها والمعلم يساعدانه واتباعه في جميع خططه. وتستعد ان تتحدث بعده للناس وتعلن هذه البيعة. ولكنها تهيأ المعلم لقتل القاشا. وما ان يدخل الراهب الى الغرفة بعد خطابه ويطلب من شميران ان تلقي خطابها، حتى يشهر المعلم سكينه ويطعنه امام شميران، ليتمتم الراهب بكلمات لعلها كانت ابياتا من الشعر (ص ٣٦١) ولكن مايرعب المعلم في خطاب شميران ويهزه من اعماقه، هو انها تذكر الناس بالنبوءة الكردية من ان هذا المعلم الغريب (نخرايا) هو الذي سيقتل النبي، فيتحمس الجماهير ويطلبون قتله. ولكن ماسبب هذا اللغز او هذه المؤامرة على الشاب؟ هل لان هذا المعلم يشبه تماما المعلم الاخر، الذي قدم الى تل مطران قبل عشرين سنة وتبادل الحب مع ام شميران وسبب في قتلها؟ او هل شميران تخاف من اعادة هذا السيناريو وتريد ان تفوت الفرصة على المعلم وتبلعه قبل ان يبتلعها هو!

ان القس يريد ان يرتكب جريمة قتل الاب عيسى اليسوعي، لان الاب —كما يقول هو- اصبح ضعيفا ولايفيد الحياة. لذا فكل الضعفاء —حسب مفهوم القس- يستحقون الموت. ان اباحة كل شيء، ولاسيما اراقة الدماء، لها دلالة بان القس لايؤمن في قرارة نفسه بالسلطة الالهية في تقديره لمصير الانسان، او ان الله غير مسؤول عما يقوم به الانسان من اعمال الخير والشر، بل الانسان هو المختار في تحديد موقفه من الحياة حسبما علي عليه طبيعته البشرية وتعين له ماهو مناسب له ولصالح سعادة الانسان وخيره. ويمكن ان يكون القس مرتدا في داخله، ويعتبر الانسان هو سيد نفسه او هو الاله بعينه وهو يريد ان يجرب قواه وسلطانه على الناس لانه الاقوى، ويعتبر القس نفسه من عظماء القوم وعباقرته او هو الانسان الاعلى —كما ورد في محاوراته مع المعلم- ويمكن ان تكون فعلته هذه قد تدخل في مفهوم جريمة قتل الاب (الاب الروحي طبعا هنا) لانه (الاب) يمتلك الثروة الروحية (الكنيسة) فيريد القس ان يتفرد بها، ومادامت سلطة الاب قد انحلت فلابد ان يخلق الرعب بعد ذلك ليقتل الابن (الروحي) وتنتشر الفوضى. وهذا ماوقع فعلا ومادامت هناك حرية الاختيار، والتي

تؤدى كثيرا الى الانحراف مالم يكن الفاعل مدركا بنتائج عمله، كما هو الحال في تبرير الجريمة عند قاشا، فهو لا محالة ينسلخ عن طبيعته البشرية ليقع في الحضيض وفي هاوية الضياع الروحي ويفقد مظهره الانساني. هذا الفراغ الروحي يفقد الحس الانساني والاخلاقي في نفس القس لينخر في ادراكه ايضا، فهو سريعا مايصدق شميران في استسلامها لدعوته علما بانه على علم تام بخداعها ومكائدها السابقة.

ان هذه الرحلة الخطيرة والمتشابكة لتل مطران التي يقوم بها معلم شاب، ليست الا رحلة (حلمية) او تخيلية كما تظهر في آخر الرواية، لان المعلم، وكما تقول له عشيقته ليليان سركيس، لم يغادر مدينة بغداد ابدا وانه، وقبل يوم واحد من ادعاءاته واعلانه لهذه الرحلة، كان محموما ويحلم فقط. ولكنه لن يستسلم لليليان بأنها رحلة حلمية، بل يطلب منها ان يزورا سوية هذه المدينة للاطلاع على مجريات الاحداث هناك.

وفعلا عندما يصلان الى الموصل يسألان عن مدينة تل مطران، ويكون الجواب بالنفي (ليست هناك مدينة بهذا الاسم. بل كانت حامية انكليزية دمرت في الثلاثينيات وهجرها اهلها الى القرى القريبة (٣٧٦) ويجدان قسا يشبه خوشابا وهو شاعر ايضا ويتحدث كثيرا عن الثقافة وعن بعض الاسماء الشعرية والادبية. اما احداث الرواية فلم تكن سوى حلم او رحلة خيالية بناه الراوي، وليس الادب سوى فانتازيا الخلق والابداع لاستحضار واقع خيالي، قد يكون اكثر ثراء ومصداقية من الواقع المحسوس.

يركز علي بدر في سرده للأحداث ومايجول في خواطر الابطال باستعارة صور واقعية لما يراه ويحسه. فهو يرسم الصورة الطبيعية للمدينة او المنطقة كلها، من حيث الطقس والحياة اليومية للسكان والحرف التي يمتهنونها، وكذلك الاعتقادات والثوابت التي ترسخت في اذهانهم، ولاسيما على المستوى الديني والمذهبي، وكذلك العادات والتقاليد المتوارثة، والاساطير والخرافات المتواجدة بينهم، ان هذه المدينة —تمثل سلوكية متناغمة لاناس مختلفين دينيا وقوميا ومتوحدين انسانيا، فالمسلم هناك لايتعرض للمسيحي، وليس بين الكرد والعرب والسريان والايزديين والكلدان اي نزاع او اختلاف يؤدي الى الانشقاق او الكره للآخر، وان سر المصير الانساني وسبب ديمومته يتوقف على هذا الموقف وهذه السلوكية، التي جاءت عفويا من اناس بسطاء لم يتعلموا الخير والشر من الكتب بل من تجاربهم الحياتية. انهم لايعرفون شيئا نظريا عن الانثروبولوجيا او عن الطبيعة البشرية وسايكولوجيتها. فهم يزاولون كل الحرف وحتى بيع الاسلحة، ولكنهم باقون على اصالتهم القوية والانسانية. انها مدينة حلمية، ولكن من الممكن ايجاد مثل هذه المدينة في جميع اجزاء هذه البسيطة.

تموز ٢٠٠٦.

"مشارف" تستضيف "نصّ العراق": يدٌ تأخذ بالأُخرى

هشام نفاع/ حيفا

حيفا - كتب: هشام نفاع - هناك أكثر من مغزى ضمن قرار مجلة "مشارف"، الفصلية الثقافية الصادرة هنا في حيفا، احتضان النص العراقي/نص العراق، في آخر أعدادها، شتاء-ربيع ٢٠٠٦ الذي يحمل الرقم (٢٩). وإن كانت افتتاحيتها قد أفاضت في تقديم واستضافة تلك النصوص، فقد سبقها الى ذلك غلافها المرسوم بأدوات التشكيل.

فعلى امتداد غلافيها، الأول والأخير، تروح العين تلتقط أسماء لمبدعات ومبدعين عراقيين فيما يشبه الخارطة. كانت هذه مقولة الرسام العراقي سعيد فرحان في هذه اللوحة الخاصة بالمجلة، التي رسم فيها جغرافية مدن العراق بأسماء بناتها وأبنائها المبدعين. فمن البصرة الى السماوة، الناصرية، الحلة، كركوك وحتى بغداد، احتشدت الأسماء مفاتيح لخارطة الابداع العراقي الحديث.

أما افتتاحية "مشارف" فقد أحسنت الاحتفاء حين قالت إن المجلة "لا تأخذ بيد نص العراق، في أشدّ ساعات محنة هذا البلد حلكة، بقدر ما يأخذها النص العراقي، على تفرّعات أنواعه وعلى تشعباته الجغرافية، عيانًا بيانًا، الى مناطق جديدة، فنكتشفها ونسبر غورها ونتعلم منها الكثير الكثير، عن العلاقة بالمكان وأبعادها، وعن المخيلة التي قال عالم عبقري ما إن قيمتها تضاهي قيمة المعرفة، والتي تتمظهر هنا في مناخٍ تفجّر أسئلة مكبوتة وتلامس حالات قصوى تراود المبدع والقارئ على السواء".

لم يأتِ فهرس هذا العدد بأبوابه الثابتة، بل تراوح ما بين الشعر والشهادات والرؤى والقص والنص، في تداخل وتناثر محبّب يليق بترك الضيوف يخرجون من رسمية تسمياتهم والتحرك بحرية في هذه المساحة المحرّرة. هذه الملاحظة تغري باستطراد قصير، وهو أن "مشارف" لا تزال قادرة على الجمع ما بين خط تحريري يصرّ على مفاجأة القرّاء بنوعية النص المقدّم وليس بالقفزات التحريرية بين عدد وآخر، ولكنها في الوقت نفسه لا تتردد في التجديد، من حيث هندسة أبوابها وشرفاتها بما يليق بمحورها العينيّ. وفي هذا العدد الجديد تتيح

لقارئها متعة بصرية خاصة جسدتها الصور الفوتوغرافية التي وثقتها عدسة المصور العراقي ن. رمزي، الذي أفلح في تقديم نص عراقي بصري انسجم مع اللغة، هذه التي لا يمكن فصل حبل السرة الذي يربطها بحضارة بلاد العراق، التي سيظلّ الاحرار مقتنعين بضرورة تفوقها على "حضارة" عولمة القوة مهما بلغت بلاغة البلاغات الواهية التي تلفها كرزمة لامعة تلف قنبلة.

// نص كل العراقيين

لم تحدد "مشارف" سقف فضائها بأي راية او بيان سياسي، لكن هذا لا يمكن أن يعني الامتناع عن اتخاذ الموقف، كفعل إنساني تحرري. هذا الأمر تجلى، أيضا، في اختيار الشاعر الكردي شيركو بيكه س ليفتتح بقصائده هذا العدد، الذي جاءت كل مواده حصرية خاصة بالمجلة من مبدعين داخل العراق وفي المنافي والشتات، وهو ما يحمل مقولة واضحة: هذا احتفاء بنص العراق بوصفه نص كافة العراقيين!

ونقرأ للشاعر الذي ترجم بعض إسهاماته عن لغته الكردية الى العربية بنفسه، وترجم الأخرى نوزاد أحمد أسود، القصائد التالية: أخاف من الجموع / مقبرة الفوانيس / أناشيد حجرية / العراق / السفر / أمي.. هناك في ما وراء المحيطات. ومما جاء في القصيدة الأخيرة:

"حلمنا قصير جدا
وميناء العالم طويل
لم يزل هديره يافعا يتحرك
أما جسدنا، فهو موقد خامد
وعيوننا آفاق ضبابية
الخيال قارب مكسور
واللون يسقط ورقة.. ورقة
لماذا التوجه صوب خلف المحيطات يا أمي
وخلف المجهول، خلف الضياع؟"

القاص محمد خضير يتناول القصة العراقية من جهة التحديث في "هوامش على أنطولوجيات السرد"، حيث يكتب أنه يراها: "بمنأى عن سلسلة الانقطاعات الكبرى في الحياة الثقافية والاجتماعية، والدروب النملية للأقدار الفردية المتشابكة. إنها وهي حبيسة سلسلة الجبال التاريخية، تخيم عليها سحب الشك وسوء الفهم والاستنكار، تمطرها وتغرقها في عزلتها، فهي تريد أن تتخلص تماما وتخرج الى منفذ أرحب لتلتحق بقاطرة الأدب الإنسانية".

دنيا ميخائيل تطل في ثلاث قصائد: لارسا / عالم آخر / وحياة ثانية، ونقرأ هنا:

"نحتلج الى حياة ثانية
لنفهم كل تلك الأشياء
نحتاج الى وقت
لنتعلم لغة جديدة
نحتاج الى حياة ثانية
لنمارس اللغة الثانية
بشكل جيد
نكتب الشعر ونمضي".

أما فاضل العزاوي فيكتب في قصيدته "هبوط فاضل الى العالم":

"في الحدائق العامة

رأيت الموتى يزهرون في الربيع

من أجلنا نحن الناجين من الغرق

نحن الذين ضحكنا ذات مرة وبكينا

ممشّطين شعر أسلافنا المجعّد

قبل الذهاب الى الحفلة مع آخر الضحايا"

في قصته "باتجاه المزيد من الينابيع" يتحرك جليل القيسي بين السرد والتأمل من على سرير مستشفى:

"دخل رجل نحيف، طويل، عدائيّ القسمات سبق أن التقيت به مرات عديدة، يتكلم بلغة رصينة وصوت هادئ غريب الوقع على السمع. وضع يده فوق ظهري ثم برفق، باليد الأخرى، دفع العربة الى غرفة ثانية، وسمعت صوت المرأة العارية يطارد سمعي: "لا تحاول أن تهرب مني.. الاحقك مثل جنيّ في خيالك، وأحلامك ويقظتك".

عبد الإله عبد الرزاق يكتب عن شخوص وعن مكان على "الحافة" وهو اسم قصته، جاعلاً الخوض في التفاصيل المغرقة في اليومية تنفتح على مسألة كونية شديد الكثافة: "لم يكن الأمر يعني الوظف المسؤول إطلاقاً، ولم يفكر فيه أدنى تفكير كما لم يكن ينتظر. فالأمر مألوف لديه في كل دورة ثلاثة أشهر، فهو يمارس عمله بنمطية وآلية معتادتين".

في "رحلة الى افريقيا" يخوض سعيد فرحان في أشكال شتى من العزلة، العينيّ منها والوجودي. ففي قصته هذه يجمع شخوصا تكاد تلامس ما يقع خارج وحدتها ولكن من دون اكتمال للمس. يكتب:

"قال وهو يغطي أقدامه بالإزار:

- منفاي ووحدتي وأنا، ننام في هذا المساء المسرّ معًا وبسلام للمرة الأولى. كنت دائمًا أخشى ملامسة أي منهما وكأنني في حرب دائمة مع نفسي. كم بدا الوجود بسيطًا هذا المساء، ربما كان ذلك بسبب حضورك، بسبب هذه الأغنية التي حوّلت غرفتي الى حديقة ملائكة. الرب يعرف أني لم أمسّ جسد امرأة منذ مدة طويلة".

// محاورة الزمان والمكان

يطلّ سركون بولص في ثلاث قصائد: إلى سيّد الوليمة / العقرب في البستان / و مرثية الى سينما بغداد. في هذه الأخيرة نقرأ:

"قالوا لي...

أنهم هدموا سينما السندباد!

يا للخسارة.

ومن سيبحر بعد الآن، من سيلتقي

بشيخ البحر؟

هدموا تلك الأماسي...

قمصاننا البيضاء، أصياف بغداد

سبارتاكوس، أحدب نوتردام، شمشون ودليلة

وكيف سنحلم اليوم بالسفر، الى

أية جزيرة؟".

أما فوزي كريم فنقرأه في: بكّرت للخمرة كي أجرؤ / المدينة / إقامة مؤقتة / جدار / كاتم الصوت / تضحية / الصرخة / و صباح اليوم قرأت على عجل أخبار اليوم.

من "المدينة":

"ليس أقسى على المرء من أن يرى وجه حاضره، وجه ماضيه،

وجه مستقبلٍ يرثيه،

بذات الملامح!"

سالمة صالح تقصّ بكثير من الكثافة قصة لاجئ سياسي في "يوم الأحد": يجلس الآن خلف نافذة يغرق كل ما وراءها في الظلمة، يتذكر أيضا أيام الخوف، المبيت في مساكن غريبة، خوف مضيفيه، الصمت الذي كان يهبط على المكان كلما ارتفع لغط أو توقفت سيارة غريبة في الشارع".

محمود عبد الوهاب يكتب في قصته "دروكوكو":

"ازور هذه المدينة أحيانا، فلم تعد مدينتي تلبي كل رغباتي. لقد اخذت مدننا الصغيرة تنأى عن حاجاتنا، نحن الذين نفترض أنفسنا كتابا. غالبًا ما كانت مدينتي تضيق عليّ كما لو أنني، أنا الرجل، ارتدي ثياب طفل. ماذا تفعل في هذه الحالة؟ تبدأ بفك أزرار قميصك وتضطجع قليلا لتستريح".

عبد الستار ناصر يصمم قصته "الديك الذي اختفى" من مواد التداخل اللافت بين الحقيقة والهذيان لدى شخصية يتوجب اعادتها الى ما يفترض أنه رُشدٌ ما:

"ثم امتزج كابوسي مع صوت الديك، ورأيت أختي أشواق تصفعني بقسوة وهي تغادرني.. ضربتني أختي الوحيدة، بينما الرجل الوسيم يضحك وهو يقول:

- لم ينفع معه كسر أصابعه، علينا أن نجرب شيئا آخر مع هذا الصنف العنيد من البشر".

هاشم شفيق يخصّ المجلة بفصل من "البحث عن الزمن الحاضر"، وهو ديوان قيد الكتابة في السيرة الذاتية. مما جاء في قصيدته "سيرة الطفولة":

"أنا طفلٌ بدائيٌ،

ربيت بئرًا

وشربت أسرارها

عند أفق، أسدلت عليه أستارَ

من أوراق الخس وباقات "الرشاد"".

في قصيدة "الحلزون" يكتب ياسين طه حافظ:

"أنا وحدي أحثث نفسي مضطربًا

إنها الطلقات

تتفصد منها سماء زجاجية، وهي الطلقات

توقف العابرين

ومواقف تمنع أقدامنا والعيون

ومواقف للنفس الراجف والجمل الحذرة.

هذه وردة سُحقت

دمها في التراب!

ذاك وجه مصاب".

من "عشر قصائد" لعبد الكريم كاصد:

"في أقاصي النخيل

في دروب تنام هناك

من ألوف السنين

يسيل

دمٌ

في انطفاء الغروب

في تسلل ليل يؤوب

وفي صرخة

أو عويل

يسيل

دم".

الشاعر يحاور ذاته / قارئه في جملة من الأسئلة عن قصائده، عما يجمعها وكيف تسللت اليها الأسطورة: "لماذا تطالعني الأسطورة في الواقع؟".

يكتب خزعل الماجدي في قصيدة "نام الرعاة" وهي واحدة من سبع قصائد له:

"نام الرعاة

وظلّ فردٌ حارسٌ يهذي بداخله، وهيّجت النجوم

زرعا دفينا غاص في أعماقه

ماذا عن الفردوس؟ كيف أضاعه؟

ومتى يعود اليه؟ كيف يعود؟

ومتى سيبكي الفجرُ أو يحكي وقد طال الخراب؟".

// ستينيّات وسبعينيّات الأدب

في شهادة تحت العنوان "الستينيون: أفراد وفواصل"، يكتب الشاعر ياسين طه حافظ: "من يقول "الستينيون" لا بدّ من أن يحسّ بنوع من الغصة، أو بقصور الدلالة. ذلك أن الستينيين لم يكونوا فريقًا، لم يكونوا مجموعة، لم يكونوا حشدًا مضادًا.. الستينيون حقيقة كانوا أفرادًا بينهم فواصل".

وفي شهادة ثانية يعود ساسون سوميخ، أستاذ الأدب العربي، اليهودي من أصل عراقي، الى "بغداد ١٩٥٠: لا شيء غير الأدب"، مستعرضًا صفحات من ذاكرته التي تشرّبت في بغداد الأدب: "كانت سنة ١٩٥٠، السنة التي بدأ فيها تقوّض واضمحلال جالية يهود بغداد، أقدم جالية يهودية في العالم. بالنسبة لي كانت هذه السنة، سنة اهتمامات أدبية جارفة، إذ أهملت دراستي في مدرسة "شماش" تقريبًا (...) ومثلت في المقاهي "الأدبية" خلال ساعات بعد الظهر، لأشرب الشاي بصحبة الأدباء الشباب".

في قصة "بريق" لأحمد خلف يكتب: "الملامسة العابرة وحدها تنزل على روحه كحد السيف الباشط، إذ أنه يقطع الأوصال وينفي الأنحاء من وجود كثيف. يعلل نفسه بالصبر المملّ والألم الذي لا يرحم، صرخ فجأة: افرنقعوا أولاد الكلبة. لن يصدّق كيف تحلقوا حوله كسرب من جراد أو سيل من حصى وأحجار تنهال عليه وحده وتحيط به".

أما لؤي حمزة عباس فيكتب في قصته "طائر من معدن": "كان يسأل ثامر، كلما دعاه الى زيارته، كيف يرى العالم من هذا الارتفاع؟ تبتسم زوجته وهو يجيب بصوت جاد: كما يراه من يعيش في سرداب، فيقول لا يمكن أن يكون العالم نفسه".

في "عيوب كاتب قصة" يصف عبد الله طاهر في قصته القصيرة كيف "صرفت وقتا وجهودًا تخيلية مضنية مفتشًا عن صيغة قصصية ملائمة أشرح بها محنة كاتب القصص القصيرة. بيد أن حلّ هذه الصيغ الفنيّة والمحاولات التجريبية التي أخضعتها لاختبارات متتابعة جمّة، تبدت لي أنها وقعت أخيرًا بين براثن ما يطلق عليه "الخطيئة"..".

يكتب خزعل الماجدي في مساهمة ثانية له عن "سبعينيات اتحاد الأدباء: أكاديمية خارج النص"، ونقرأ: "كان اتحاد الأدباء وأمسياته ونقاشاته الصاخبة، حتى آخر ساعات الليل ولسنوات عدة، مكانًا ينطوي على الكثير من السحر الثقافي والروحي الذي تعلمت منه ما لم أتعلمه في كل المدارس والكليات التي تخرّجت منها".

يشارك محمد خضير أيضًا في قصة "الستون": "خربشة أيامي المتعرّجة، سنواتي الستون، أطاح بها

جرس الدراجة المصلصل، فيما أسفح يومًا آخر على تخت المقهى، بمواجهة الساحة العمومية لدائرة البريد".

"زهرة أوكيناوا" هو فصل من رواية غير منشورة للطفية الدليمي: "كانت الأشياء تتلاشى وهما ينظران معًا عبر النافذة الى دجلة والجسر والطرق الليلية، المآذن تغيب في العراء والجسر يتهاوى ودجلة يوشك على الامحاء من المشهد ولا يعود لأي شيء من وجود في غبش المساء الطري.. يعودان ثانية الى ملاذهما، ينزلقان مرة أخرى في الحب ويرشفان الليل والمخاوف مع غياب المدينة وحضور الرغبة".

يكتب إبراهيم أحمد في قصة "محاكمة الطير": "كانت الغربان محتدمة ضاجة بأصواتها الناعقة الحادة وقد أخذت تجذب انتباههم. كانت حلقتها تحيط بالطير المتهم، وكان مهتمًا قلقًا بل وفزعًا لغربان حوله، وكأنهم الشهود أو المحامون. وأعجب ما في الأمر أنه لا يطير هاربًا".

"الاشتغال في غابات الفردوس" عبارة عن "مقطعين من قصيدة طويلة" كما يشير بختيار علي:

"أيتها الصخرة العظيمة، يا أجمل من السماء. يا من تدهسك الآلهة ونصالحك نحن. ترميك الآلهة ونلتقطك. فوقك تشرب الآلهة الأنخاب وعليك نحن نموت. يا ألمع من الزمرد، يا من تليق بزينة الملائكة. يا ذهب صائغ يتاجر بالمعجزات. ياقوتة تاجر يرسل لنا البضائع من الطرف الآخر للموت. ها إنني أراك، درة رجل يتاجر مع الجحيم". وقد ترجم النص عن الكردية الكاتب والمسرحي هوشنك الوزيري.

يشارك الشاعر الاسرائيلي من أصل عراقي روني سوميك في "٧ اقصائد"، ترجمها سلمان مصالحة عن العبرية. في "الطريق الى عراد" يكتب:

"النعاج البيضاء في الطريق الى عراد
"أسنان الحليب" في فك الصحراء.
الحرب على قدم وساق
والذئب الذي سيسكن معها لم يولد بعد".

خاتمة العدد جاءت في دراسة لفوزي كريم بعنوان "لا تكن خصمي.. ولا حكمي: الجواهري وسلطات القمع الثلاث"، الفقرة التالية منها تصح خاتمة متعددة المغازي:

"الأجل هو الوقت. الجواهري في ساعات تحرّره من سلطة الموروث وسلطة الشارع يراه وقد أسرى به، وهو طوع أمره عن غير إرادة، رغم كل الملل الذي ينطوي عليه طول المسير، لأنه مسير لا غاية له ولا هدف، إلا أن يضع المشرد الشمس على جبينه ويغذ في السير".

**

رئيسة تحرير "مشارف" سهام داوود.

هيئة التحرير تضم الناقد أنطوان شلحت، دكتور سلمان مصالحة، دكتور محمود رجب غنايم، پروفيسور رمزي سليمان، وپروفيسور أنطون شمّاس. يصممها شريف واكد.

المجلة من ٢٤٨ صفحة

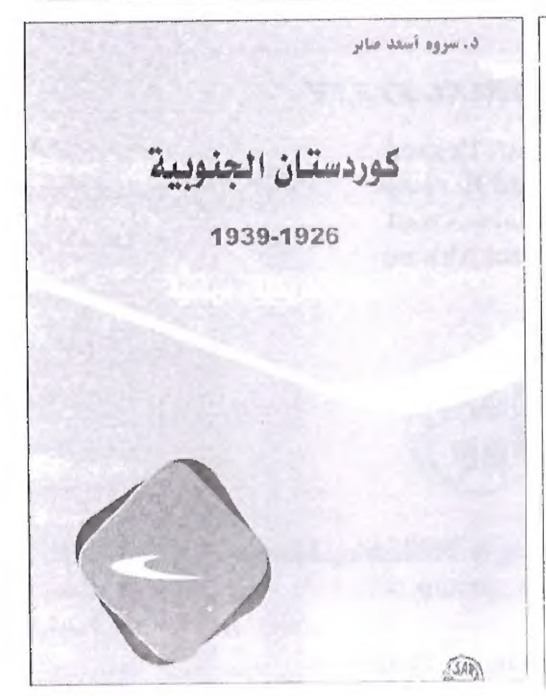
عنوان المجلة الإلكتروني:
masharef@netvision.net.il

من اصدارات دار سردم للطباعة والنشر
سلسلة الكتب العربية









14

Vol,3 Automn 2006

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by Sardam Printing & Publishing House



Sardam Printing & Publishing House
www.sardam.info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 1500 دينار عراقي